

عدد
2

أبحاث العدد

- ✦ مشروع القراءة والكتابة من اجل التفكير النقدي (RWCT)
- ✦ مطالب بتعديل قانون الأسرة المغربي: معاول بناء أم هدم لقيم الإنسان ؟
- ✦ الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة وأثر وسائل التواصل الاجتماعي فيه
- ✦ التواصل الديني بين الإسلام والغرب
- ✦ أثر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على الدراسات البيئية: دراسة موضوعية تحليلية
- ✦ مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي في الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم بين الخلفية الاستشراقية وتحدي عدم القابلية للترجمة: المشكلات والحلول
- ✦ المنهج المقارن في درس الفقه بين الأصالة والامتداد
- ✦ نحو الاستفادة من منطق المناظرة في إدكاء وتطوير المناهج الدراسية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مؤسسة منارات الفكر الدولية

وفريق البحث: التربية اللغات والثقافات بجامعة مولاي اسماعيل مكناس

مجلة أكاديمية دولية محكمة

متخصصة في العلوم الإنسانية والتربوية والشرعية

المشرف العام

الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

نائب المشرف العام

الدكتور عبد الله بربزي

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور خالد صلاح حنفي

نائب رئيس التحرير

الدكتور وداد يتكين

مدير التحرير

الدكتور محمد زيوح

نائب مدير التحرير

الدكتور زهير كسيم

سكرتير التحرير

الأستاذ علي المطهري

العنوان

المبنى رقم 20، شارع الأمير مولاي عبد الله، الطابق الرابع،
مكتب 7. مكناس، المملكة المغربية

الهاتف

00212664029271

الموقع الإلكتروني

www.Dalailjournal.com

البريد الإلكتروني

editor@dalailjournal.com



مجلة دلائل للعلوم الإنسانية

Dalail Journal

of Humanities

ISSN 3085-5373

مجلد 1 اعدد 2

فبراير- شباط 2025

تصدر عن

مؤسسة منارات الفكر الدولية

المغرب إسبانيا

فريق البحث:

التربية واللغات والثقافات

جامعة مولاي إسماعيل المغرب



مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect



جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAIL

المدرسة العليا للإساتذة
ÉCOLE NORMALE SUPÉRIEURE

Dalail is a peer-reviewed international academic journal specializing in human, educational, Islamic

General Supervisor

Dr. Mostafa Ahmed EL HAKIM

Deputy General Supervisor

Dr. BEREZBI Abdellah

Editor in Chief

Dr. Khaled Salah Hanafy Mahmoud

Deputy Editor-in-Chief

Dr. VEDAT Yetkin

Managing editor

Dr. ZERIOUH Mohammed

Deputy Managing Editor

Dr. GASSIM Zouhair

Editorial Secretary

Mr. ELMETAHRY Ali

The address

Building No. 20, Prince Moulay Abdellah Street,
4th floor, Office 7. Meknes, Kingdom of Morocco

Phone

00212664029271

Website

www.Dalailjournal.com

E-mail

editor@dalailjournal.com



Dalail Journal
of Humanities

ISSN 3085-5373

Vol.1, Issue.2 February 2025

Publishers

International Foundation
of Beacons of Intellect

Research team: Education,
Languages, and Cultures,
Moulay Ismail University,
Morocco



مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect



جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

المدرسة العليا للأساتذة
ÉCOLE NORMALE SUPÉRIEURE

مقالة المسر

اسمٌ يحيل على معاني الإبانة والإرشاد والإيضاح والكشف والبرهان والحجة، وهي معان تفتل في حبل الهوية العلمية للمجلة باعتبارها منصة للبحث والنظر العلمي، والاستدلال المنهجي، والكشف عن المعاني، واستغوار الأفكار، واستعراض البراهين، ومطارحة المعارف والنظريات، ومقاربة الآراء والتوجهات والاستراتيجيات.

الرؤية والهوية

مجلة دلائل للعلوم الإنسانية: مجلة علمية محكمة تصدر عن مؤسسة منارات الفكر الدولية، وفريق البحث: التربية، اللغات، والثقافات بجامعة مولاي إسماعيل؛ تُعنى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية، وتروم بناء الجسور وتحقيق التكامل العلمي والتواصل المعرفي والترابط الفكري؛ بما يساعد على حل المشكلات، وتجاوز العقبات، وابتكار الحلول، وبناء الاستراتيجيات.

بالنظر إلى أن حل الإشكالات الفكرية والاجتماعية لن يستقل به تخصص واحد أو علم منفرد بل يحتاج لتضافر الجهود وتوحيد الرؤى من أجل بناء استراتيجيات دامجة للمعارف، عابرة للتخصصات، متعددة المقاربات.

الأهداف

- تحقيق التكامل المعرفي بين مختلف مجالات وتخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- طرح سيناريوهات لاستشراف مستقبل المجتمعات مبنية على تحليل الواقع وإشكالياته.
- تقديم حلول ومقاربات متعددة التخصصات ومن زوايا مختلفة في مواجهة قضايا المجتمعات الإنسانية.
- تشجيع البحث العلمي والدراسات المتصلة بالقضايا والمشكلات المعاصرة.

مجالات الاشتغال

تتوجه مجلة دلائل في اتجاه تحقيق التكامل المعرفي والوصل العلمي بين مجالات الدراسات الشرعية والإنسانية والاجتماعية والعلمية وتوظيفه في خدمة قضايا الإنسان المعاصر، والاستجابة لحاجيات الاجتماع البشري وإشكالاته؛ وبما يفتح الباب لدراسات وأبحاث عابرة للتخصصات، متعددة المقاربات.

الهيئة العلمية الاستشارية

الدولة	المؤسسة	الاسم
مصر	عميد كلية التربية جامعة مطروح	أ.د. أيمن مصطفى عبد القادر
السعودية	جامعة القصيم	أ.د. أحمد محمد التويجري
السعودية	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة	أ.د. أحمد عبد الله درويش سليمان
المغرب	رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان	أ.د. هشام تهناه
المغرب	نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان	أ.د. المعتصم الشارف
صربيا	عميد كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار	أ.د. أنور عمروفيتش
سلطنة عمان	عميد كلية العلوم الشرعية مسقط	أ.د. راشد بن علي الحارثي
السودان	عميد عمادة البحث العلمي والابتكار بجامعة البحر الأحمر	أ.د. فتح الرحمن الطاهر حمد
لبنان	العميد التنفيذي لكلية التربية الجامعة اللبنانية الدولية	أ.د. وسيم أبو ياسين
اليمن	نائب رئيس جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية	أ.د. أسماء غالب القرشي
السودان	نائبة عميد كلية التقنية والدراسات التنموية جامعة أم درمان	أ.د. منال عبد الله
المغرب	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة جامعة عبد المالك السعدي	أ.د. نادية العشري
ألمانيا	جامعة توبنغن	أ.د. محمود عبد الله
العراق	كلية العلوم الإسلامية جامعة تكريت	أ.د. محمود يونس حمادة الحديثي
سلطنة عمان	جامعة السلطان قابوس مسقط	أ.د. الدكتور إحسان صادق اللواتي

الدولة	المؤسسة	الاسم
اليونان	جامعة ارسطوطاليس كلية اللاهوت	أ.د. يسار شريف داماد أوغلو
فلسطين	جامعة فلسطين التقنية/ خضوري	أ.د. محمود عزب
الإمارات	جامعة زايد	أ.د. جمال شاكر يوسف عبد الله
ماليزيا	جامعة ملايا	أ.د. علي جبيلي ساجد
صربيا	كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار	أ.د. سهام موعد
موريتانيا	المدرسة العليا للتعليم	أ.د. ولد الزين الإمام
قطر	كلية المجتمع	د. كمال المقابلة
تركيا	جامعة بيله جيك	د. إحسان دلال
الكويت	جامعة الكويت	د. راشد سعد العجمي
تونس	المعهد العالي للغات التطبيقية والإعلامية بباجة جامعة جندوبة	د. عادل النجلاوي
المغرب	جامعة ابن زهر	د. محمد هنوش
ليبيا	كلية الدعوة الإسلامية	د. عبد الحميد العزابي
ألمانيا	مؤسسة الوقف المالكي	د. محمد العبدوني

قواعد النشر في المجلة

متطلبات تقديم الأبحاث

- يجب على كل راغب في تقديم بحثه للنشر إنشاء حساب بالموقع الإلكتروني للمجلة.
- إعداد البحث حسب القواعد المقررة مع استحضار التوجيهات المحددة المتعلقة بتنظيم البحث وتنسيقه.
- يرسل الباحث نسخة من بحثه في صيغة word وفق قالب البحث مع تعبئة طلب النشر في الموقع الإلكتروني، ويرفق مع طلبه إقرارا وتعهدا بعدم النشر.

- يشترط لقبول البحوث والدراسات المقدمة للنشر بالمجلة أن تتسم بالأصالة الفكرية، والأمانة العلمية، واحترام مناهج البحث، وقواعد النظر العلمي السليم، مع سلامة اللغة، ووضوح الفكرة.
- الانضباط لقواعد التوثيق المعتمدة في مؤسسات البحث العلمي، مع ضرورة الإحالة على المصادر الأصلية.
- ألا يكون قد سبق نشره في مجلة أخرى، وألا يكون مستلا من كتاب مطبوع.
- يجب ألا يقل البحث عن 3000 كلمة، ولا يتجاوز 8000 كلمة.
- لا تقبل الإنابة في تقديم البحوث، حيث يلزم كل راغب في النشر أن يتقدم بطلب النشر بشكل فردي أو في حال كان البحث مشتركا يتم إنابة واحد منهم بناء على إقرار خطي.
- يتم استقبال الأبحاث المكتوبة باللغات التالية: العربية/ الإسبانية/ الإنجليزية/ الفرنسية... ويمكن استثناء النشر بلغات أخرى بناء على تقدير هيئة التحرير.

يبحث البحث مرقونا مصححا مستوفيا
للشروط السالفة إلى البريد الإلكتروني
للمجلة في نسختين: WORD/PDF

editor@dalailjournal.com

محتويات العدد

مجلد 1 | عدد 2 فبراير - شباط 2025

8	مشروع القراءة والكتابة من اجل التفكير النقدي (RWCT) أ.د. يوسف السيساوي المغرب
20	مطالب بتعديل قانون الأسرة المغربي: معاول بناء أم هدم لقيم الإنسان ؟ د. محمد المهدي المغرب
38	الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة وأثر وسائل التواصل الاجتماعي فيه د. عبيد جاسم محمد الشهاب الكويت
51	التواصل الديني بين الإسلام والغرب الباحث ياسين بورمضان المغرب
64	أثر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على الدراسات البينية دراسة موضوعية تحليلية د. لبنى عبد العزيز محمد الحسن أحمد السودان
94	مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي في الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم بين الخلفية الاستشرافية وتحدي عدم القابلية للترجمة: المشكلات والحلول د. عبد العزيز لخفاوني المغرب
113	المنهج المقارن في الدرس الفقهي بين الأصالة والامتداد د. الحسن لتيتم المغرب
133	نحو الاستفادة من منطق المناظرة في إذكاء وتطوير المناهج الدراسية د. ويداح مصطفى الجزائر



The Reading Writing for Critical Thinking (RWCT)

Pr. Sissaoui Youssef

University Cadi Ayad, Morocco

Abstract:

The world has undergone a major transformation in the past ten years, forcing us to find new ways to improve individual thinking and enhance skills. Thus, cognitive psychologists have expanded theories about human cognitive development, a method of teaching and encouraging students to inquire and how to ask for, request and examine information

The staff development program Teaching and Learning Strategies for the Critical Thinking came about to satisfy the need in the schools for deeper learning, that students can use and that makes them not only better students but more productive members of society. This method of thinking in the classroom is inspired by the Reading Writing for Critical Thinking (RWCT) project, a project that worked on with many teachers in 29 countries. It was brought to life by 70 volunteer teachers and educators in the United States, Canada, and Australia. RWCT is based on questioning, examining, creating, solving, interpreting, and discussing the material studied, which means full and useful learning that is applied in the real world, and is a better use of teachers' time

This article seeks to present and evaluate the RWCT project to encourage educational policy makers and textbook authors to integrate critical thinking into the education system and include more critical thinking mechanisms that enhance learning and teaching skills in Arab Islamic countries to ensure that the next generation is curious, open-minded, critical thinkers, analytical and decision-makers

Keywords: critical thinking- Reading-writing- cognitive development

Received: 6/10/2024
Revised: 10/11/2024
Accepted: 28/11/2024
Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
sissaouilog@gmail.com

Citation: Sissaoui, Youssef (2025). The Reading Writing for Critical Thinking (RWCT) . *Dalail Journal of Humanities*, 1 (2).

الاستشهاد المرجعي:

السيساوي ، يوسف (2025) فبراير
مشروع القراءة والكتابة من اجل
التفكير النقدي (RWCT)، مجلة
دلائل للعلوم الإنسانية، عدد 2.
مجلد 1.



© 2025 Publishers/ the International Foundation of Beacons of Intellect / Research team: Education, Languages, and Cultures, Moulay Ismail University, Morocco. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC-ND) license <https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>

مشروع القراءة والكتابة من اجل التفكير النقدي (RWCT)

أ.د. يوسف السيساوي

جامعة القاضي عياض، المغرب

ملخص:

شهد العالم في السنوات العشر الماضية تحولا كبيرا بحيث غيرت التحديات الجديدة طريقة تصورنا للأشياء واجبرتنا على إيجاد طرق جديدة قصد تحسين تفكير الفرد وتعزيز مهاراته، وهكذا طور علماء النفس المعرفي نظريات في طرق التدريس وتشجيع الطلاب على الاستفسار وكيفية الاستعلام عن المعلومات وطرحها وطلبها وفحصها .

لقد جاء برنامج تطوير استراتيجيات التعلم والتدريس للتفكير داخل الفصول الدراسية لتلبية الحاجة في المدارس لتعلم اعمق يمتد مدى الحياة، وهو ما يجعل الطلبة أكثر إنتاجية في المجتمع، وهي طريقة للتدريس الفعال النشط والتفكير النقدي في الفصول الدراسية الحقيقية. هذه الطريقة في التفكير داخل الفصول مستلهمة من مشروع القراءة والكتابة من اجل التفكير النقدي (RWCT) Reading Writing for Critical Thinking وهو مشروع اشتغل عليه مجموعة من المؤلفين والمدرسين في 29 دولة، وقد تم احياءه بواسطة 70 متطوعا من المعلمين والمدرسين في أمريكا وكندا وأستراليا .

ان مشروع RWCT يعتمد على التساؤل والفحص وانشاء وحل وتفسير ومناقشة المواد المدروسة، وهو ما يعني التعلم الكامل والمفيد الذي يطبق على ارض الواقع، وهو استثمار افضل لوقت المدرس واموال المجتمع. تسعى هذه الورقة لعرض وتقويم مشروع RWCT لحث صانعي السياسات التربوية ومؤلفي الكتب المدرسية على دمج التفكير النقدي في النظام التعليمي، و تضمين البرامج التعليمية بالمزيد من آليات التفكير النقدي التي تعزز مهارات التعلم والتدريس في الدول العربية الإسلامية لضمان ان يكون الجيل القادم فضوليا ومنفتحا ومفكرا نقديا وتحليليا ومقرا. الكلمات المفتاحية: تفكير نقدي، قراءة، كتابة، تطور معرفي.



مقدمة:

شهد العالم في السنوات العشر الماضية تحولا كبيرا في طريقة تصورنا للأشياء اجبرتنا على إيجاد طرق جديدة قصد تحسين تفكير الفرد وتعزيز مهاراته. وهكذا طور علماء النفس المعرفي (نظريات بياجي Piaget) منهجيات التطور المعرفي الإنساني من خلال الاستمولوجيا التكوينية، وهي طريقة للتدريس وتشجيع الطلاب على الاستفسار وكيفية الاستعلام عن المعلومات وطرحها وطلبها وفحصها.

لقد جاء برنامج تطوير استراتيجيات التعلم للتفكير داخل الفصول الدراسية لتلبية الحاجة في المدارس لتعلم اعمق يمتد مدى الحياة، وهو ما يجعل الطلبة اكثر إنتاجية في المجتمع. يعتمدون طريقة للتدريس الفعال النشط والتفكير النقدي داخل الفصول الدراسية الحقيقية. هذه الطريقة في التفكير مستلهمة من مشروع القراءة والكتابة من اجل التفكير النقدي Reading Writing for Critical Thinking¹ ((RWCT)) وهو مشروع اشتغل عليه مجموعة من منظري علوم التربية في 29 دولة. وقد تم احياؤه بواسطة 70 متطوعا من المعلمين والمدرسين في أمريكا وكندا وأستراليا. ان مشروع RWCT يعتمد على التساؤل والفحص وانشاء وحل وتفسير ومناقشة المواد المدروسة، وهو ما يعني التعلم الكامل والمفيد الذي يطبق على ارض الواقع، وهو استثمار افضل لوقت المدرس واموال المجتمع.

تسعى هذه المقالة لعرض وتقويم مشروع RWCT الذي انخرطت فيه مجموعة من الدول قصد حث صانعي السياسات التربوية ومؤلفي الكتب المدرسية على دمج التفكير النقدي في النظام التعليمي و تضمين المزيد من آليات التفكير النقدي التي تعزز مهارات التعلم والتدريس في الدول العربية الإسلامية لضمان ان يكون الجيل القادم فضوليا ومنفتحا ومفكرا نقديا و تحليليا ومقررا.

تختلف تحديرات فعل التعلم حسب نماذج نظريات التعلم والتي قد تتقاطع فيما بينها وقد تتكامل. يعتبر البعض ان فعل التعلم قد يساعد على بناء مهارات تغيير طريقة تصرفنا وتفكيرنا، وذلك من خلال اكتساب وتملك المعرفة التي تساعدنا على الانتقال من المعروف الى المجهول². كما يعتبر البعض فعل التعلم مجرد اختزال لمجموع العمليات التفاعلية التي يتعلم فيها الناس فيما بينهم³. والبين من هاذين التعريفين ان للتعلم بعد فردي كما يمكنه ان يتخذ طابعا اجتماعيا. واجمالا يمكن التمييز بين ثلاثة نماذج اساسية تؤطر تصورات التعلم:

¹ Alain Crawford , Wendy Saul ; Samuel Mathews and James Makinster : Teaching and Learning Strategies for Thinking Classroom : Published by the international Debate Education Association. New York 2005

² Meirieu P., Apprendre.....oui, mais comment. Ed .ESF, 1987.

³ Brunner j., l'éducation entrée dans la culture, ed .Retz, 1996, pp 192-1993



1- نموذج البصمة: وهو نموذج قديم يحصر فعل التعلم في تلقي المعرفة، ويستند على الحياض المفاهيمي للمتعلم الذي يعتبره مجرد صفحة بيضاء يترك فيه المعلم بصمته، ويحرص على ان المتعلم قد تلقى ما يريد نقله المعلم، ويمكنه بعد ذلك ان ينجح في تكرار ما نقله المعلم دون ارتكاب اي خطأ⁴.

2- النموذج السلوكي: ويعتبر هذا النموذج التعلم تعديل لسلوك المتعلم، ويستند على قناعة قوامها ان الكائن الحي مشروط ومصمم ومشكل من خلال البيئة والوسط الذي يتطور داخله. ولتقييم التعلم ينبغي على المعلم التركيز على ما يمكن ملاحظته من سلوكيات المتعلم ومواقفه وافعاله القابلة للقياس الكمي⁵.

3- النموذج البنائي: ينحدر هذا النموذج من اعمال عالم النفس السويسري جان بياجيه الذي يعتبر ان فعل التعلم يحدث من خلال بناء المتعلم، وهو نموذج يعارض بشكل صريح نموذج البصمة من خلال تطوير فكرة ان المعرفة يتم بناءها من قبل اولئك الذين يتعلمون، وبالتالي فهذا النموذج البنائي يفتح افاقا جديدة امام طرق التدريس النشطة.

يطور Piaget قناعة نظرية قوامها ان الفرد يبني معارفه من خلال افعاله الخاصة. ذلك ان تطور الذكاء يحدث من خلال عملية التكيف و التفاعل الداخلي الفطري (البنيات الدهنية)، كما يتم كذلك من خلال المكتسب من العالم الخارجي، ذلك ان الذكاء عند Piaget يبني نفسه بنفسه . فهو ثمرة التفاعل بين الواقع و نتيجته. وبذلك يكون الموقف الاستيمولوجي عنده هو في نفس الوقت تفاعلي وبنائي وبنوي⁶. وعليه، فإن الفكر النقدي ينحدر في جانب كبير منه من التصور الاستيمولوجي لـ Piaget .

هناك جدل كبير حول تعريف الفكر النقدي. يعرف Ennis مثلا بان التفكير النقدي هو تفكير تأملي ومعقول يركز على ما تؤمن به او تفعله⁷، في المقابل يعرف Sternberg التفكير النقدي بأنه مجموع العمليات الدهنية والاستراتيجية و التمثلات الذي يستخدمها الناس لحل المشكلات واتخاذ القرارات وتعلم مفاهيم جديدة⁸ بينما يعتبر Facione التفكير النقدي حكما ذاتي التنظيم يؤدي الى التفسير والتحليل والتقويم، والاستدلال، بالإضافة الى شرح الاعتبارات الاستدلالية او المفاهيمية او المنهجية او المعيارية او السياقية التي يعتمد عليها هذا الحكم الذاتي⁹.

مشروع القراءة والكتابة في خدمة الفكر النقدي RWCT

تأسست مجموعة صغيرة سنة 1997 لمساعدة المعلمين لتجريب مناهج تفضل التعليم الايجابي/الفاعل والفكر النقدي بمساعدة Open Society Institute New York. وقد حاول هذا المشروع

⁴ Bourgeois E., les théories de l'apprentissage, ed. Frenay, 2006 pp.21-36

⁵ François j., le conditionnement et l'apprentissage. PUF, 1992.

⁶ Bringuier j., Conversations libres avec J. Piaget, Ed. Robert laffont, 1977.

⁷ Ennis R.H., Alogical basis of measuring critical thinking skills, Educational leadership 43 (2), 1985, pp 44-48.

⁸ Sternberg R., Critica thinking. In France R.L. Essays on the intellect, pp 45-70.

⁹ Facione P.A., Critical thinking New York. American philosophique Association, 1990, p3.



RWCT ارسال اكثر من 70 مكون معلم متطوعون الى 20 دولة اوروبية واسيا الوسطى لمساعدة معلمي الابتدائي والاعدادي لتطوير وتجريب مناهج التعليم الفاعل والايجابي والفكر النقدي. ومنذ بداية المشروع اتضح بان المعلمون كانت لهم دوافع سياسية واقتصادية¹⁰. يتجلى الدافع السياسي في ان المعلمين كانوا يفضلون تهيئ التلاميذ للمشاركة في الحياة السياسية كمواطنين في مجتمع متفتح خصوصا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1989. وهكذا تم اعتبار الفصول الدراسية كمجتمعات مصغرة، وتم اعتماد اساليب تواصلية تشجع على تقاسم السلطة ويتم تشجيع هذه الاساليب داخل الفصول. وقد تم اعتبار هذه الاساليب كأساس للتكوين والمواطنة الديمقراطية. في مقابل اذا ما تم تلقي التلاميذ اسلوب تلقي الاوامر بحيث لا تمنحهم الثقة في انفسهم مما يضع عراقيل عويصة امام النظام ومثله الديمقراطية. وهكذا ظهرت الحاجة الى تطوير اسلوب المبادرة والاستقلال في استعمال الحرية. اما الدافع الاقتصادي فقد اتضح في السنوات الاخيرة بان المقاولات التي تنجح تحتاج لعمال لهم ميولات نحو التعاون وحل المشاكل والابداع في العمل والتواصل الفعال. ذلك ان العمال الذين تكونوا في مدارس تقليدية وكانت لهم معدلات مرتفعة في الروايز المعرفية يكونون اقل ابداعا ونتاجية من العمال خريجي النظام التعليمي العصري الذي يعلمهم كيف يفكرون ويحلون المشاكل. وهكذا حاول دول اوروبا واسيا الوسطى التركيز في نظامهم التعليمي على الابداع وحل المشاكل بشكل يعتمد الفكر النقدي.

وهكذا اعتمد اصحاب مشروع WRCT على خلق سلسلة من تسعة ورشات يقودها مجموعة من المكونين المعلمين من اجل تعليم يستند على منهجيات تفاعلية تشجع التلاميذ على طرح الاسئلة والبحث عن الاجابات، ومحاولة تطبيق ما تعلموه قصد حل المشكلات ومناقشة الافكار بطرق بناءة. وقد جاء هذا النوع من التدريس النشط كاستجابة نظرية لتلبية الحاجة في المدارس الى التعلم العميق الذي يمكن للتلاميذ استخدامه ويجعلهم اكثر انتاجية وابداع في المجتمع. ويسعى برنامج WRCT الى تغيير ممارسة المعلمين لدعم القراءة والكتابة للتفكير النقدي، ودفع التلاميذ للتساؤل والفحص والابداع ومناقشة المواد التي يتلقونها مع امكانية تطبيقها في مواقف حقيقية، وهو تعلم يستثمر بشكل افضل وقت المعلمين واموال المجتمع بدل التعلم التقليدي الذي يجعل الطلبة سلبيين ويرهقهم بروتينته، ويتم نسيانه بسرعة لأنه لا يعتبر تعليما عمليا يمكن الاعتماد عليه.

تنظيم التعليم في عملية التعلم النشط

يعتمد التعليم في هذا البرنامج على تشجيع التلاميذ على الاستقصاء وهي مهمة موكولة للمعلمين لتوضيح كيفية وطرق الاستقصاء وطرح الاسئلة والبحث على المعلومات وفحصها وتطبيقها بطريقة مفيدة. واجمالا يمكن حصر ثلاثة مراحل تتوافق مع أنشطة التعلم التي حددها Piaget واتباعه.

¹⁰ Temple c ; lecture et écriture au service de la pensée critique Caractère 5/3 2001 p18



1- مرحلة الترقب The Anticipation Phase

يبدأ الدرس بمرحلة الترقب، حيث يتم توجيه الطلاب الى التفكير وطرح الاسئلة حول الموضوع من خلال العمليات التالية :

- استدعاء المعرفة التي يمتلكها التلاميذ بالفعل
- تقييم ما يعرفونه بالفعل بما في ذلك المفاهيم الخاطئة
- تركيز الاهتمام على الموضوع المراد دراسته
- توفير سياق لفهم الافكار الجديدة

2- مرحلة بناء المعرفة The building knowlege phase

بعد بدأ الدرس يقود المدرس التلاميذ الى الاستفسار والاكتشاف وفهم الامور. والاجابة على اسئلتهم السابقة وطرح اسئلة جديدة والاجابة عليها. وتعتمد هذه المرحلة على المطالب التالية:

- مقارنة التوقعات مع ما سبق تعلمه .
- تحديد النقط الرئيسية.
- تقديم الاستنتاجات حول المادة.
- اجراء اتصالات شخصية مع الدرس.

3- مرحلة الدمج The Consolidation phase

في نهاية الدرس، وبعد ان يستوعب الطلاب افكار الدرس يطالب الطلبة بإنجاز العمليات التالية:

- تلخيص الافكار الرئيسية
- تبادل الآراء
- تقديم ردود شخصية
- اختبار الافكار
- طرح اسئلة اضافية¹¹

الأصول العرفانية للتفكير النقدي

يستند التفكير النقدي في جانب كبير منه على مكتسبات العلوم العرفانية cognitive science التي حققت انجازات مهمة على مستوى تطوير طرق ومنهجيات التعلم، وكذلك على مستوى تجاوز العوائق الابستمولوجية التي يمكن ان تعطل العملية التعليمية وتعرقلها، و يمكن حصر اربع ركائز لحصول تعلم فعال وناجح:

¹¹ Ibid Alain Crawford , Wendy Saul ; Samuel Mathews and James Makinster : Teaching and Learning Strategies for Thinking Classroom pp 2-3



1: الانتباه L'attention ويضم مجموع الاليات التي من خلالها يختار دماغنا المعلومات ويضخمها ويوجهها ويعمقها. ويعتبر المدخل الرئيسي الذي يسمح للفرد بالتركيز على المادة واختيار المعلومات وتعديل معالجتها. ذلك ان الانتباه الانتقائي بطبيعته يسمح بتوزيع الفائض من الضروري والتركيز بشكل اساسي على المعلومات الاساسية. فرغم اعتقاد البعض بان بعض الاشخاص يستطيعون انجاز مهام متعددة في نفس الوقت، غير ان معالجة المعلومات تتم بشكل تسلسلي داخل الدماغ واحدا تلو الآخر. فقد ثبت انه عندما نفكر في التوفيق بين عدة مهام فإننا لا نعمل ذلك بشكل متزامن، ولكننا ننتقل من مهمة الى اخرى مع حذف المهمة الاولى. ويعتبر الانتباه رهانا اساسيا بالنسبة للذي يعطي المعلومة (استاذ او مكون¹²)، وتعتمد عملية إثارة الانتباه على التفسيرات الواضحة او الأدوات البيداغوجية الخاصة التي تسمح بأن يستقبلها المتلقي. ويمكن حصر ثلاثة مكونات فرعية للانتباه: التنبيه والتوجيه، والرقابة التنفيذية، وينبغي تفعيل هذه المكونات بطريقة منسقة. كما يفترض ان يكون المتعلم يقظا بحيث يتوافق الانتباه مع حالة اليقظة العامة للجهاز العصبي المركزي الذي يحيل على الاستعداد لمعالجة المعلومات والاستجابة للمحفزات البيئية، مع التركيز فقط على المعلومات ذات الصلة والمقدمة بجرعات مناسبة، والامتناع عن اغراق الطفل بكمية كبيرة من المعلومات الفوضوية¹³.

2- المشاركة النشيطة: l'engagement actif

- يفترض التعليم الفعال رفض السلبية و ابداء الرغبة والفضول في استكشاف المعلومات مع توليد الفرضيات. ذلك ان المتعلم ليس مجرد متلقي سلبي ولكنه فاعل ومهتم ومندمج في العملية التعليمية. والملاحظ ان التفكير النقدي يثمن هذه المشاركة النشيطة للتلاميذ داخل الفصول الدراسية، كما يشجعهم على ابداء الرأي والتواصل فيما بينهم في بناء معارفهم وتطويرها.

3- عودة المعلومة le retour d'information

رغم ان المشاركة النشيطة تعتبر ضرورية في جميع المراحل ولكنها تبقى غير كافية، لذلك يعتبر الجانب التربوي للخطأ احد مفاتيح التعلم الفعال، وهو ما يعني اختبار الاطفال لأنفسهم بانتظام (التعلم من الاخطاء) لصقل معرفتهم، وتفعيل المراجعة المتباعدة بانتظام، وهذا ما يجعل التعلم ظاهرة متكررة تعمل وفق دورات والتي يمكن تقسيمها الى اربع خطوات متتالية:

أ- استقبال المعلومات

ب- مقارنتها وتصحيحها اذا لزم الامر

ج- تحسين التنبؤ

د- ردود الفعل التي تعتبر ضرورية

¹² Meunier J.C. l'Apport des neurosciences dans l'enseignement, analyse Fapeo 12/15 p61

¹³ Ibid

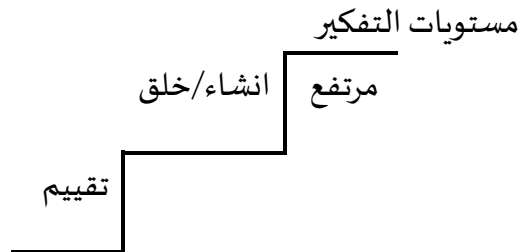


يعتبر الخطأ من وجهة نظر بيداغوجيا التفكير النقدي امرا طبيعيا ومتميزا، وهي مسألة ينبغي ان يلاحظها المتعلم بشكل فعال وان تحصل بمساعدة المعلم.¹⁴

الاسئلة واهداف الدرس

يعتقد Anderson انه من بين الطرق التي يتبعها المعلمون الذين يدرسون التفكير النقدي والتعلم النشط لتنظيم اهداف التدريس والتعلم هي انشاء فئات وانواع من الاسئلة واهداف التدريس.¹⁵ والفكرة هي ان مجرد تذكر بعض الحقائق يعتبر سؤالا وهدفا في نفس الوقت "منخفض المستوى"، وفي الطرف الاخر من القائمة يوجد فعل لإنشاء الافكار الجديدة او استخلاص استنتاجات جديدة "مرتفعة المستوى". فعندما نتحدث عن مستويات الاسئلة فإننا نشير الى الفرق بين الاسئلة التي تتناول التفاصيل (الاسماء والتواريخ والاماكن.) والاسئلة التي تتناول افكارا اكثر تعقيدا مثل العلاقات بين المفاهيم او اسباب بعض الاحداث او المواقف. تطرح الاسئلة المنخفضة المستوى اسئلة حول الحقائق والتفاصيل، بينما تكون الاسئلة من الدرجة الاعلى تلك التي تسأل كيف ولماذا يحدث شيء ما، وهذا يعني ان الطلاب قد يستخدمون الحقائق والتفاصيل في عملية الاجابة على السؤال، ولكن يجب عليهم تجاوز الحقائق والتفاصيل لبناء اساس منطقي للإجابة. عندما يتعلق الامر بالأسئلة من الدرجة الاعلى، فان الشخص المستجيب يؤكد بنشاط على موقف ما حول الاسباب او العلاقات، ويتطلب هذا النوع من الاسئلة استخدام استراتيجيات ذهنية مرتبطة بالتفكير النقدي تخدم الانشطة التعليمية المتعددة الاغراض، ويمكن حصر هذه المراحل الثلاث من التدريس في:

مرحلة التوقع Phase anticipation بحيث تزرع البذرة في تربة غنية ولا يعتمد نجاح الدرس على هذه "البذرة" فحسب، بل يجب ان يعتمد ايضا على المعرفة التي يمتلكها التلاميذ بالفعل تماما، كما يجب ان تعتمد البذرة على العناصر الغذائية الموجودة في التربة. بعد وضع الاساس الضروري، ينتقل المعلم الى مرحلة بناء المعرفة Building Knowledge بحيث تنبت بذرة القمح جذورا وينمو النبات. ويختتم الدرس بمرحلة التوطيد، Phase de consolidation، بحيث تكون سنبلة القمح قد نضجت وتحتوي على بذور العديد من النباتات الاخرى، وبالتالي يمكن ان يؤدي الدرس الى العديد من الانشطة الاخرى.



¹⁴ Meunier J.C. l'Apport des neurosciences dans l'enseignement, analyse Fapeo 12/15 p7

¹⁵ Anderson L.w. et al., Taxonomy for learning, teaching and Assessing, New York Longman, p 44.



تطبيق استراتيجيات التدريس

بعد كل ورشة عمل يستخدم المشاركون هذه الاساليب في فصولهم الدراسية ويشاركون في اجتماعات شهرية في مجتمعاتهم حيث يناقشون الدروس التي تعلموها وتقديم النصائح لبعضهم البعض حول كيفية التحسين. و هكذا يمكن حصر الدليل البيداغوجي المعتمد في مشروع القراءة و الكتابة من اجل التفكير النقدي في تسع وحدات :

1- إطار التعلم النشط والتفكير النقدي

تقدم هذه الوحدة عرضا تقديميا جدليا لصالح التفكير النقدي والتعلم التفاعلي ويوضع نموذج ثلاثي المراحل لهذا العرض، حيث يتم في المرحلة الاولى تشجيع الطلاب على صياغة فرضياتهم حول الموضوع، ومن تم صياغة اسئلتهم. بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية في إطار الدرس نفسه حيث يستمر الطلاب في نشاطهم ويقومون بأبحاث حول الموضوع. المرحلة الثالثة تسمى "التأمل" تشجع الطلبة على القيام بفحص ما تعلموه ومقارنته بفرضياتهم الاولى، والتساؤل ومناقشة التأكيدات الواردة في الوثائق، ثم النظر في آثارها، والتفكير في الموضوع من وجهات نظر مختلفة، مع محاولة تطبيق الافكار المقدمة على وضعيات جديدة. من خلال هذه الوحدة يتعلم المعلمون اولا مجموعة من استراتيجيات التدريس حتى يتمكنوا من تطبيق هذا النموذج على مراحل الثلاث. في نهاية هذه الوحدة، سيكون الطلبة قد تعلموا اكثر من 60 استراتيجية يمكن استخدامها مع وثائق مختلفة لأغراض مختلفة.¹⁷

2- اساليب تعزيز التفكير النقدي

¹⁶ Anderson L.w. et al., Taxonomy for learning, teaching and Assessing, New York Longman, 2001 CHAP

¹⁷ Temple c. lecture et écriture au service de la pensée critique. Caractère 5/3 2001p 19



تقدم هذه الوحدة كيفية استخدام مستويات مختلفة من الاستجابات للاستفزاز ومناقشة حول النصوص. تتضمن هذه الوحدة مجموعة من الاسئلة الحرفية واسئلة الفهم التي تطلب من الطلاب استخدام افكارهم وحل المشكلات او مقارنة وجهات النظر المختلفة او تقييم تماسكها.

3- القراءة والكتابة في كل تخصص

يتم التأكيد على الترابط بين المهارات اللغوية (القراءة، الكتابة، التحدث والاستماع) في فصل دراسي تفاعلي، تركز الوحدة على التقنيات المطبقة على جميع المجالات التي تستخدم القراءة والكتابة كأدوات للتعليم، توضح الوحدة ايضا طرقا تتيح للتلاميذ جعل الدروس اكثر حيوية بأسلوب الاسئلة والاجوبة التي تزيد من مشاركة الطلاب واخصاب تفكيرهم.

4- استراتيجيات جديدة لتعزيز الفكر النقدي

بالعودة الى نموذج التدريس ثلاثي المراحل لبرنامج RWCT تقدم الوحدة استراتيجيات جديدة يمكن استخدامها في كل من المراحل الثلاث، وهنا يتعلم المعلمون العديد من الاستراتيجيات التي تمكنهم من تشجيع المناقشات واستراتيجيات المناقشات، وتحليل الحجج وكيفية استخدام المناظرات كتحضير لكتابة النصوص بطريقة حجاجية.¹⁸

5- التعلم التعاوني

تساعد اساليب التعليم التعاوني الطلاب على دراسة المواد بعمق اكبر وتسمح لهم ان تكون علاقاتهم مبنية على الاحترام المتبادل، ويتم تقديم تقنيات التعلم التعاوني ودعمها طوال الوقت في الوحدات، وهذا يستدعي مجموع الاستراتيجيات التي تسمح للطلبة بإعطائهم دورا فعالا في المساعدة التي يقدمونها في تعلمهم.

6- اعداد الدرس وتقييمه

يتعين على المعلمين في مشروع RWCT العمل في ظل قيود زمنية تطبق استراتيجيات التدريس وفق اجراءات مشددة، ويحاولون ايجاد طرق للترقية بالتفكير النقدي والتعلم النشط اثناء تدريس مناهجهم الرسمية. وتوفر ورشة العمل هذه، نموذجا لإعداد الدرس والذي يسمح للمعلمين بتدريس المحتوى المطلوب، مع تشجيع الطلاب على البحث و التفكير. ويظهر ايضا كيف يمكن تقييم تقدم طلابهم وحتى تحديد مستوياتهم عندما يسمح لهم التدريس بذلك مع مزيد من الاستقلالية والابداع بين التلاميذ.

7- ورشة الكتابة: من التعبير الشخصي الى كتابة النصوص الجدلية

تتيح ورشة الكتابة امكانية تهيئة الظروف المواتية في الفصل الدراسي لعمل الكتابة وامكانية تهيئة الظروف المواتية في الفصل الدراسي لعمل الكتابة الحقيقي، والذي يمكن تنفيذه وفق العمليات العادية. وتمنح الكتابة الشخصية للطلبة فرصة التفكير حول تجربتهم وتكوين اراء ومعرفة بعضهم البعض بشكل

¹⁸ ibid



افضل، وتشجيعهم على تغطية مجموعة كاملة من انواع النصوص ابتداء من قصص التجارب الحياتية المعاشة حتى النصوص التفسيرية والحجاجية.

8- تدريب القراء المستقلين

توضح هذه الوحدة للمعلمين كيفية اعداد وادارة ورش عمل القراءة والتي تهدف الى تزويد الطلبة باختيار واسع للقراءة مع تشجيع التفكير المتعمق في ما يقرؤونه والسماح لهم بتجربة قراءة اقل "تقييدا" وابحث شخصية تشجع على القراءة المستقلة.

9- كيف نصبح مكونين؟

يغادر المشاركون هذه الوحدة مع الاستعدادات التفصيلية لأوراش العمل الاولى، و المهارات والمعارف التي اكتسبوها، والمواقف اللازمة لإعداد واجراء التدريبات الجديدة.¹⁹

10_تقويم المشاريع

لقد سمح المشروع الذي تم تنفيذه منذ 2000 بتقييم ايجابي خصوصا ملاحظات المعلمين حول التغييرات التي طرأت على الطلبة وعلى المعلمين انفسهم:

- اصبح الفصل الدراسي مجالا للثقة في النفس / اكثر امانا نفسيا وراحة.
- اصبح الطلبة يتحملون المزيد من المسؤولية في تعلمهم
- يشعر الطلبة براحة أكبر في تعبيرهم عن الافكار الابداعية والرفيعة المستوى عندما نسأل الطلبة ما الذي تغير في تعلمهم يلاحظون النقاط التالية:
- يقضون المزيد من الوقت لإعداد دروسهم
- قبل تدريس موضوع ما، يحددون الفرص المتاحة لتعزيز التفكير النقدي
- توفير المزيد من الفرص للتلاميذ للعمل بمفردهم و في مجموعات
- يبحثون عن وثائق اضافية تساعد على العمل بأنفسهم
- يأخذون المزيد من الوقت للاستماع الى ما يقوله التلاميذ
- يشجعون على تنوع أكبر في اجاباتهم على اسئلتهم
- يسهرون على ان يستطيع التلاميذ ربط ما يتلقونه مع تجاربهم ومعارفهم السابقة.
- يفكرون في الطريقة التي يستطيع التلاميذ بناء معرفتهم الخاصة بدل ان يكونوا مجرد متلقين للمعارف.
- اصبح للمعلمين موقف اقرب لما كانوا يتمنون ان يحصل لتلامذتهم: الصبر والمرونة، المخاطرة، التحليل.

¹⁹ Temple c, lecture et écriture au service de la pensée critique. Caractère 5/3 2001 p20



وهكذا يساعد المعلمون التلاميذ على ان يصبحوا مواطنين متعاونين متسامحين، منتجين ومستقلين ويساعدونهم على مواجهة هذا المستقبل بنجاح حيث تكون اليقينيّات الوحيدة هي التحدي غير المتوقع لما يحمله المستقبل²⁰.

خاتمة:

أظهرت تجربة RWCT أن الفصول الدراسية الأكثر نجاحاً هي تلك التي تشجع الطلاب على التفكير بأنفسهم والانخراط في التفكير النقدي الذي يسمح بالتعبير عن أفكارنا الخاصة ومعرفة الأسباب التي تقف وراء وجهات نظرنا. وهذا يعني أننا نفكر بطرقنا الخاصة في اتخاذ القرارات وحل المشكلات. والملاحظ ان التفكير بهذه الطريقة يعني أن أفكارنا موجهة بوعي نحو هدف ما. ولا تستند أفكارنا إلى تحيزاتنا أو أحكامنا المسبقة، بل إلى المنطق والمعلومات التي قد نجتمعها ونفرزها من مصادر عديدة. فعندما نفكر بشكل نقدي، فإننا ندرك دائماً ما نفكر فيه وكيف نفكر. وعندما نكتشف خطأً أو طريقة مختلفة للتفكير في مشكلة ما، فإننا نستكشفها بشغف. والواقع أن الطلاب الذين يفكرون بشكل نقدي نجدهم متحمسين عادةً لتعلمهم. فهم يتطلعون للتحديات وفرص التعلم حتى في أصعب المهام الفكرية. إن هؤلاء الطلاب يدركون الفرص المتاحة لاستخدام مهارات التفكير النقدي لديهم، وعادة ما ينخرطون في هذه الفرص بشغف سواء في سياق الفصل الدراسي أو في عالم مجتمعاتهم، هؤلاء هم الطلاب الذين يجعلون التدريس ممتعاً ومثيراً.²¹

قائمة المراجع:

- Anderson L.w. et al., Taxonomy for learning, teaching and Assessing, New York Longman., 2001
- Bourgeois E., les théories de l'apprentissage, ed. Frenay, 2006.
- Bringuier j., Conversations libres avec J. Piaget, Ed. Robert laffont, 1977.
- Brunner j., l'éducation entrée dans la culture, ed. Retz, 1996, 1993
- Crawford A. , W. Saul ; S. Mathews and J. Makinster : Teaching and Learning Strategies for Thinking Classroom : Published by the international Debate Education Association. New York ;Thinking Classroom . 2005

²⁰ Temple c , lecture et écriture au service de la pensée critique Caractère 5/3 p21

²¹ Ibid Alain Crawford , Wendy Saul ; Samuel Mathews and James Makinster : Teaching and Learning Strategies for Thinking Classroom p4



- Ennis R.H., Alogical basis of measuring critical thinking skills, Educational leadership 43 (2), 1985.
- Facione P.A., Critical thinking New York. American philosophique Association, 1990 .
- François j., le conditionnement et l'apprentissage. PUF, 1992.
- Meirieu P., Apprendre.....oui, mais comment. Ed .ESF, 1987.
- Meunier J.C. l'Apport des neurosciences dans l'enseignement, analyse Fapeo 12/15 2017
- Sternberg, R. J. et Halpern, D. F Critical Thinking in Psychology (2e éd.). Cambridge : Cambridge University Press 2020
- Temple c lecture et écriture au service de la pensée critique Caractère 5/3 2001.



Calls for Amending the Moroccan Family Code: A Step towards Progress or a Threat to Human Values?

Dr. El Mehdi Mohamed

Professor of Law, Faculty of Law, Moulay Ismail University, Meknes, Morocco

Abstract:

Values and virtuous good morals are among the greatest assets that nations cherish and distinguish themselves by, as they play a pivotal role in shaping righteous individuals. These values reflect a nation's culture and civilization, and the more elevated a nation's values are, the greater its civilization becomes. Conversely, the abandonment of such values inevitably leads to the nation's decline and exposes it to ruin.

The moral and ethical deterioration observed in our society today largely stems from neglecting these values and substituting them with alternatives, often imported from foreign cultures. Unfortunately, many Moroccan associations contribute to this situation, either knowingly or unknowingly, by embracing and advocating for the full implementation of international conventions on various societal issues where values play a significant role, without taking into account the constitution, which recognizes Islam as the official religion of the state.

Among these issues are those reflected in the Moroccan Family Code, particularly the prohibition of child marriage and polygamy. These associations also demand the abolition of the inheritance system. Furthermore, they call for the decriminalization of consensual relationships-whether involving married or unmarried individuals-and for the legalization of abortion under all circumstances. When examined collectively, these demands reveal a concerted effort to dismantle the value system upon which individuals and families are built. They aim to replace these principles with ones that are entirely detached from our civilizational values rooted in Islamic teachings, ultimately compromising societal integrity and weakening individuals, turning them into agents of societal destruction rather than contributors to its growth and development.

Keywords: Values, child marriage, polygamy, inheritance system.

Received: 24/11/2024

Revised: 26/12/2024

Accepted: 18/1/2024

Published: 1/2/2025

* Corresponding author:

: dr.abeeralshehab@gmail.com

Citation: El Mehdi, Mohamed (2025). Calls for Amending the Moroccan Family Code:

A Step towards Progress or a Threat to Human Values? .

Dalail Journal of Humanities, 1 (2).

الاستشهاد المرجعي:

المهدي ، محمد (2025 فبراير)

مطالب بتعديل قانون الأسرة

المغربي: معاول بناء أم هدم لقيم

الإنسان ؟، مجلة دلائل للعلوم

الإنسانية، عدد 2. مجلد 1.

مطالب بتعديل قانون الأسرة المغربي:

معاول بناء أم هدم لقيم الإنسان ؟

أ.د. محمد المهدي

أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب

ملخص:

إن القيم والأخلاق الحسنة هي من أعظم ما تعتر به الأمم، وتمتاز به عن غيرها، لما لها من دور في بناء الإنسان الصالح، وهي تعكس ثقافة الأمة وحضارتها، وبقدر ما تعلق قيم الأمة تعلق حضارتها، وفي مقابل ذلك كلما تم التخلي عن تلكم القيم إلا وتهافت الأمة وصارت عرضة للهلاك .

ولعل ما أصاب حال مجتمعنا اليوم من ذوبان قيمي، وانحطاط أخلاقي، إنما يعود في جزء كبير منه إلى التفريط في تلكم القيم والاستعاضة عنها بقيم بديلة غالبا ما تكون وافدة من الخارج، ومع كل أسف فإن كثيرا من الجمعيات المغربية تسهم بشكل أو بآخر في هذا الوضع، حينما نجدتها تتمسك عن وعي أو عن غير وعي بكل ما تتضمنه المواثيق الدولية وتدعو إلى تفعيلها، في عدد من القضايا المجتمعية التي تبرز فيها القيم بشكل كبير، دون أي اعتبار للدستور الذي يعتبر الإسلام الدين الرسمي للدولة .

ومن تلك القضايا ما نجدتها شاخصا في مدونة الأسرة المغربية، خاصة على مستوى زواج القاصرات والتعدد، حيث تطالب بمنعها، وإلغاء نظام الإرث، دون أن يفلت القانون الجنائي من ذلك، حيث تطالب بإباحة العلاقات الرضائية، سواء بين المتزوجين أو بين غير المتزوجين، فضلا عن تقنين الإجهاض على نحو يكون متاحا للنساء في مطلق الحالات، وبيربط هذه المطالب بعضها البعض نجد أنها تروم في مجموعها هدم منظومة القيم التي يبني على أساسها الإنسان داخل أسرته، والاستعاضة عنها بقيم بعيدة كل البعد عن قيمنا الحضارية المستمدة من ديننا الإسلامي، تضرب في الصميم نظافة المجتمع، لتكون النتيجة بذلك هي هدم بناء الإنسان، وبالتالي إضعافه حتى يصير معول هدم للمجتمع لا معول بناء.

الكلمات المفتاحية: القيم، زواج القاصرات، التعدد، نظام الإرث.



© 2025 Publishers/ the International Foundation of Beacons of Intellect / Research team: Education, Languages, and Cultures, Moulay Ismail University, Morocco.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC-ND) license <https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>



مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، وبعد:

فإن القيم والأخلاق الحسنة هي من أعظم ما تعزز به الأمم وتفخر، وتمتاز به عن غيرها، لما لها من دور في بناء الإنسان الصالح وتشديد صرحه، وهي تعكس ثقافة الأمة وحضارتها، وبقدر ما تعلقو قيم الأمة تعلقو حضارتها.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

"إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا"¹.

وفي مقابل ذلك كلما تم التخلي عن تلكم القيم إلا وتهافت الأمة وصارت عرضة للهلاك وزال كيانها، يقول الله تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا"²، ودليل ذلك ما أصاب حال الأمة اليوم من ذوبان قيمي، وانحلال أخلاقي، نتيجة الأخذ ببعض القيم الوافدة من الخارج، التي ساهمت فيه بعض الجمعيات الحقوقية دونما تمييز بين ما ينفع منها وما يضر.

فرغم أن الغرض الأساس من العمل الجماعي في مختلف البلدان هو الوقوف إلى جانب مؤسسات الدولة من أجل مساعدتها على استكشاف مكامن الخلل في التسيير أو التشريع، مما قد لا تقوى عليه الدولة لكثرة انشغالاتها، ليكون بذلك مضطعا بدور محوري وهام جدا في حياة المجتمع، خاصة على مستوى تتبع صبيب حقوق الإنسان، إلا أنه مع كل أسف نجد عددا مهما من الجمعيات ببلادنا زاغت عن الغرض المذكور، حيث استعملت نفسها آلية من آليات الضغط لهدم قيم المجتمع، عن طريق التطويل لتلك القيم المستوردة بكل حرية³، والمطالبة بتفعيلها وتعديل القوانين الوطنية حتى تصير منسجمة معها.

ولعل المجال الخصب الذي يحظى باهتمام العمل الجماعي في المغرب بشكل كبير، هو مجال الأسرة، الذي تبرز فيه مفاعيل منظومة القيم بشكل كبير، حيث يلاحظ تناسل العديد من الجمعيات المهمة بهذا المجال، مع اختلافها من حيث المواقف تجاه هذا النوع من القضايا، سواء تعلق الأمر بقضايا الأسرة بشكل عام، أو بقضايا المرأة أو الطفل بشكل خاص، فضلا عن اختلافها في الأهداف والغايات، ومن مظاهر هذا الاهتمام، ما نجده ممثلا في مطالها الملحة بملاءمة قانون الأسرة مع الموثيق الدولية، فقد طالبت العديد منها منذ أمد بعيد بإدخال تعديلات على مدونة الأحوال الشخصية لسنتي 1957-1958،

1- ورد هذا البيت الشعري الشهير في قصيدة: "صفوا المواكب"، التي قالها شوقي في رثاء الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني، والقصيدة نشرت في ديوانه "الشوقيات"، دار المعارف، القاهرة، 1992، الجزء الثالث، ص: 51.

2- سورة الإسراء، الآية 16.

3- من الملاحظ أن العمل الجماعي تطور في المغرب بشكل كبير بفضل تطور حقوق الإنسان، ومنها حق التعبير الذي كرسته الموثيق الدولية، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة 19، وكرسه الدستور الجديد للمملكة المغربية لسنة 2011، بصريح العبارة في الفصل 25 منه.



على نحو يضمن تحقيق المساواة بين الجنسين، على حسب فهمها ومنظورها لهذه المساواة، التي لا تكاد تختلف في شيء عن منظور الأوقاف الدولية، ورغم أن الكثير من مطالبها تحققت لها بصدور مدونة الأسرة لسنة 2004، إلا أنها ما لبثت أن تبين لها أن المستجدات التي جاءت بها هذه المدونة لم تكن في مستوى الطموحات والأمال، خاصة وأن المغرب عرف عددا من التحولات الاقتصادية والاجتماعية، فانتفضت على إثر ذلك من جديد، معلنة عن مطالب جديدة تراها كفيلة بتحقيق الآمال المنشودة في مواجهة التحديات المعاصرة، مطالب لم تقتصر على تعديل مدونة الأسرة وحسب، وإنما تعدتها إلى ربطها بمطالب أخرى تروم تعديل بعض مقتضيات القانون الجنائي، لتتخذ بعدا أكثر جرأة من ذي قبل، كما هو الشأن بالنسبة للمطالبة برفع تجريم الفساد بإلغاء الفصل 490، ورفع تجريم الخيانة الزوجية بإلغاء الفصل 491، وإباحة الإجهاض بشكل يصبح متاحا لكل النساء.

وإذا كان قانون الأسرة المغربي قد تضمن عددا من القيم النبيلة المستمدة من شريعتنا الإسلامية السمحاء، والتي من شأنها الإسهام في بناء الإنسان وجعله أداة في التقدم والنماء، فإنه لم يسلم من سهام النقد، بحجة أنه لا يساير حقوق الإنسان كما هي متعارفا عليها دوليا، ولذلك، فإننا في هذه المقالة، سنحاول رصد أهم مطالب الجمعيات المومأ إليها، مع الوقوف عن كثب على المبررات التي يحتجون بها في هذا الباب، ومن ثم مناقشتها وتبيان أثرها على بناء الإنسان، في ضوء استحضار طبيعة المجتمع المغربي، والهوية الوطنية، والثوابت الدينية، التي ما فتى جلاله الملك محمد السادس يدعو إلى التثبث بها والحرص عليها، سيرا على منوال والده الراحل الحسن الثاني، كل ذلك من أجل الإجابة على الإشكالية الكبرى التي يطرحها الموضوع، والتي تتعلق أساسا بما إذا كانت هذه المطالب تروم بالفعل مصلحة الأسرة والحفاظ على قيمها، أم تروم هدمها والنزول بها إلى مهاوي الابتذال والتفكك؟.

ولتحقيق ذلك، ارتأينا اعتماد المنهجين الوصفي والتحليلي، في مقارنة الموضوع، الذي اخترنا تقسيمه وفق خطة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مطالب بتعديل مدونة الأسرة، قصور في التبرير وضعف في الاستدلال.

المبحث الثاني: ارتباط مطالب التعديل بتعديل القانون الجنائي، صدفة أم تخطيط؟.

خاتمة: نتائج ومقترحات.

المبحث الأول: مطالب بتعديل مدونة الأسرة: قصور في التبرير وضعف في الاستدلال.

هناك عدة مطالب تقدمت بها الجمعيات النسائية قصد تغيير أو تعديل مدونة الأسرة، ولعل من أهم هذه المطالب التي تركز عليها، وتثيرها في مختلف المناسبات، تلك التي تتعلق بقيم المجتمع، وأخص بالذكر مطلب منع زواج القاصرات (المطلب الأول)، ومطلب منع تعدد الزوجات (المطلب الثاني)، ومطلب إلغاء قاعدة التفاضل في الإرث (المطلب الثالث)، وهي مطالب لا يفهم الغرض الحقيقي منها إلا باستحضار المطالب المضمنة بالمبحث الثاني.



المطلب الأول: مطلب منع زواج القاصرات

قبل تبيان ما تريد الجمعيات المعنية تعديله في هذا الباب، نستعرض أولاً المقتضيات القانونية الحالية المتعلقة بزواج القاصرات في عجلة شديدة (أولاً)، ثم نبين الأسس التي تبني عليها هذه الجمعيات قناعتها في تعديل هذه المقتضيات (ثانياً).

أولاً: التنظيم القانوني لزواج القاصرات.

إن المشرع المغربي أسوة بغيره من كثير من التشريعات حدد سن الزواج كقاعدة عامة في 18 سنة، الذي هو سن الرشد القانوني، واستثناء من ذلك أجاز الزواج لمن لم يبلغ هذه السن إذا كانت مصلحته تقتضي ذلك، لكنه لم يبين حداً أدنى لهذا الاستثناء، تاركا الأمر للسلطة التقديرية للقاضي، الذي عليه أن يراعي ضرورة توفر القاصر على النضج والأهلية الجسمانية لتحمل تبعات الزواج، وذلك وفق مسطرة خاصة نصت عليها المادة 23 من المدونة، خاصة وأن السن الذي يمكن النزول إليه قد يختلف بحسب اختلاف الحالات، لاختلاف القدرة الجسمانية والنفسية من قاصر إلى آخر، وإن كان البعض نادى بضرورة: "اعتماد السن كعنصر موضوعي أساسي موحد للإذن بزواج القاصر"، أي: "اعتماد سن كحد أدنى لا يمكن النزول عليه"⁴.

فرغم أن الوضع العادي المنسجم مع الطبع والشرع هو ألا يتزوج الذكور والإناث إلا بعد أن يقدرُوا على الزواج، ويستعدوا كفاية لتحمل مسؤولياته، ويؤهلوا للقيام بما يضعه على عاتقهم من واجبات وما يقيدهم به من التزامات، إلا أنه في ظروف استثنائية قد تقتضي المصلحة السماح لهم بذلك، حماية لهم، وابتعاداً بهم عن سبل الابتذال والفساد، نظراً للحاجة المجتمعية للزواج⁵، خاصة وأن هذا الأخير يعصم أخلاق الناس من الانحراف، ويهدئ أعصابهم، ويقيم أخطار الانفعالات النفسية ذات الأثر الضار على اتجاههم السلوكي في الحياة، وفي مقابل ذلك، يكون من شأن منعهم من الزواج أن يؤدي إلى حرمانهم من التمتع بحياتهم بصفة شرعية، مما قد يفضي إلى انتشار الفساد وكثرة أبناء الزنا واللقطاء⁶، ويجعل كثيراً من

4- فاتح كمال: دراسة أولية لأهم الإشكاليات المثارة بخصوص مسطرة الإذن بتزويج من لم يبلغ سن الزواج: تحديد الاختصاص المحلي ونطاق السلطة التقديرية لقاضي الأسرة المكلف بالزواج، مجلة الملف، مارس 2008، العدد 12، ص: 201.

5- لعل من مظاهر ذلك، أن زواج من هم دون سن الأهلية عرف نوعاً من الارتفاع من سنة إلى أخرى، حيث انتقل من 18341 زواجا خلال سنة 2004 إلى 35152 خلال سنة 2013 مثلاً، والملاحظ أن طلبات الإناث القاصرات تشكل النسبة الأكبر من طلبات الزواج، حيث وصلت هذه النسبة خلال سنوات 2007-2013 إلى 99 %، إذ لم تتعد طلبات الذكور 92 طلباً خلال سنة 2013 في مقابل 43416 طلباً للإناث، و106 طلباً للذكور سنة 2012 في مقابل 42677 طلباً للإناث، ونفس الأمر يلاحظ في السنوات السابقة حيث بلغت طلبات الذكور 326 مقابل 46601 للإناث خلال سنة 2011، أما خلال سنة 2010 فبلغت طلبات الذكور 438 طلباً مقابل 44134 للإناث، وسجلت سنة 2009 ما مجموعه 174 طلباً للذكور مقابل 46915 للإناث، وسنة 2008 تم تسجيل 308 طلباً للذكور مقابل 39296 للإناث، كما شهدت سنة 2007 تقديم 379 طلباً للذكور مقابل 38331 للإناث. (وزارة العدل: القضاء الأسري، الواقع والآفاق، عشر سنوات من تطبيق مدونة الأسرة، دراسة تحليلية إحصائية، 2013-2014، ماي 2014، ص: 40 و44).

6- مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة 1999، ص: 52-53.



الأمهات العازبات يعشن مآسي طوال حياتهن⁷، ومن جهة أخرى قد يدفع الكثير من الآباء إلى تزويج بناتهم القاصرات بعد رفض القاضي للإذن لهن بذلك - أو استئثالا لإجراءات طلب الإذن- زواجا غير موثق، ثم يتم اللجوء فيما بعد إلى رفع دعوى ثبوت الزوجية وفق المادة⁸16.

ثانيا: مطلب الجمعيات بمنع زواج القاصرات: محاولة في التقييم.

رغم أن الزواج دون السن القانونية معمول به في كثير من الدول الغربية، التي تهاتف الجمعيات إلى اقتباس قوانينها، فقد اتفقت كثير من الجمعيات على مطلب إلغاء زواج القاصرات بالمرة، على اعتبار أن القاصر غير قادرة على تحمل مسؤولية الزواج، وأن المكان الطبيعي لها هو المدرسة، وهو مطلب يبدو مخالفا لفلسفة المشرع، التي تقوم على أن زواج القاصر هو مجرد استثناء في حدود ما يحقق مصلحة القاصر، إذا كانت هذه المصلحة مؤكدة، والمصلحة هي أحد ضروب العدل الذي تنشده البشرية جمعاء، والاستثناء لا يهدم القاعدة، كل ما هناك أنه ينبغي استعماله في أضيق الحدود، وهذه مهمة القضاء، فكم من قاصر مارست الجنس خفية فنتج عن هذه الممارسة حمل، ورغبت مع شريكها في إصلاح الأمر وتجنب الفضيحة والعار، فلماذا نحول دون لم الشمل بينهما، ونحافظ على سمعتهما، ونجنهما ألسنة الناس، ونضمن للطفل أن يولد في إطار زواج حتى لا يشعر بالمعرة؟.

أي نعم، يستقيم القول بتحديد السن الأدنى لزواج في سن معقول، وهو ما ارتأه المجلس العلمي الأعلى حيث قرر مؤخرا تحديده في 17 سنة، وهو ما رأته الجمعيات الأنفة الذكر مخيبا للآمال، مع أنه ينسجم مع قوانين بعض دول العالم (النمسا، بلغاريا، كرواتيا، إيطاليا، إسبانيا، البرتغال.. وغيرها)، ذلك أنها تصر على اتباع قوانين دولاً أخرى مثل ألمانيا والدانمارك وهولندا والسويد، التي حددت سن الزواج في 18 سنة، مع السماح للقاصر بممارسة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج في سن 14 أو 15، أو في سن 16 أو 17، دون أن تنتبه إلى أن لكل مجتمع خصوصيته، خاصة وأن زواج القاصرات في بلادنا مرده إلى جملة من الأسباب، حسبنا منها ما يلي:

- العرف والممارسة المتوارثة عبر الأجيال، من قبيل أن الفتاة التي لا تتزوج إلا بعد بلوغها سن 18 غالبا ما يقل حظها في الزواج، فلا تجد لها راغبا، ولا تنتظر طالبا، خاصة في البوادي.

- غياب التعليم الأساسي الإجباري مع الهشاشة الاقتصادية التي تدفع الآباء إلى تأجير بناتهم خادمت في البيوت بشروط وظروف مزرية، وإلى تزويجهن لأول راغب، فلماذا لا يطالبون بنفس الحدة وبنفس الحماس بتنزيل المقتضى الدستوري الذي ينص على أن: "التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة" (الفصل 32 من الدستور)، ومقتضى اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989 التي تقضي في مادتها 28

7- ابراهيم بحماني: زواج القاصرة ممن اختطفها أو غرر بها وضوابطه وآثاره، ضمن أشغال ندوة: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 5، مطبعة الأمانة بالرباط، 2012، ص: 61.

8- الخمليشي: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، ضمن أشغال ندوة: ضمن أشغال ندوة: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 5، مطبعة الأمانة بالرباط، 2012، ص: 12.



بـ"جعل التعليم الابتدائي إلزاميا ومتاحا للجميع، واتخاذ تدابير لتشجيع الحضور المنتظم في المدارس والتقليل من معدلات ترك الدراسة"⁹.

- عامل الفقر، ولعله السبب الأساس، ذلك أنه يلاحظ أن المشتغلين ممن يقدمون طلب الزواج دون سن الأهلية يشكلون نسبة منخفضة جدا مقارنة مع الأشخاص الذي بدون مهنة، حيث بلغ عدد المشتغلين على سبيل المثال سنة 2013 ما مجموعه 31 شخصا فقط، في حين أن 43477 بدون مهنة، وسنة 2012 بلغ عدد المشتغلين 199 فقط مقابل 42584 بدون عمل، والأمر نفسه يلاحظ خلال سنة 2011 بعدد مشتغلين بلغ 717 مقابل 46210 بدون عمل، فلماذا لا يطالبون بنفس الحدة وبنفس الحماس بتنزيل المقتضى الدستوري المضمن في الفصل 34 من الدستور¹⁰، الذي ينص على أن تسهر المؤسسات العمومية على: "معالجة الأوضاع الهشة لفئات من النساء والأمهات وللأطفال والأشخاص المسنين والوقاية منها"¹¹.

المطلب الثاني: مطلب منع تعدد الزوجات.

يعتبر موضوع تعدد الزوجات من المواضيع الإسلامية الحساسة التي كثر حولها الجدل منذ زمن بعيد، وتفاقم هذا الجدل في واقعنا المعاصر بشكل أكثر حدة، خاصة في محيط النساء، حتى أصبح مطلب منع زواج التعدد مؤكدا عند كثير من الجمعيات والغائه بالمرّة، بل وهناك من يطالب بتجريمه أسوة بالتشريع التونسي.

فكيف نظم المشرع هذا الموضوع؟ (أولا)، وما هي المبررات التي تستند عليها الجمعيات في طلب منعه؟ (ثانيا).

أولا: التنظيم القانوني للتعدد.

نشير بداية إلى أن نظام التعدد ليس من ابتكار المشرع، وإنما هو نظام معروف منذ زمن بعيد، وجده الإسلام قائما في المجتمعات السابقة بصورة غير إنسانية، فنظمه وحدده في أربع زوجات بعد أن كان مباحا بأكثر من ذلك ودون حدود أو قيود، بل ووضع له آدابا وأحكاما تحفظ للمرأة كرامتها، وذلك لما لاحظ فيه من مصالح قد تعود بالنفع على المجتمع عموما والمرأة والرجل خصوصا، ولعل ذلك هو ما جعل كثيرا من التشريعات تقره وتأخذ به وتستوحيه من عطر الشريعة الفيحاء، ومنها التشريع المغربي الذي أقره سابقا في مدونة الأحوال الشخصية بشكل يتماشى ومنطق الشريعة الإسلامية، غير أن هذه المدونة بما احتوته من فصول تعرضت لتعديلات أكثر من مرة تحت ضغط مطالب نسائية وفعاليات سياسية ومدنية، حتى آل الوضع إلى تقييده بشكل أكثر صرامة في مدونة الأسرة¹¹، حفاظا على استقرار الأسرة، حيث جاء فيها أن

9- أحمد الخليلي: المرجع السابق، ص: 14-15.

10- القضاء الأسري، المرجع السابق، ص: 48.

11- محمد المهدي: المرجع العملي في شرح قانون الأسرة المغربي، دراسة تحليلية في ضوء الفقه والعمل القضائي، نشر دار الأفق المغربية، مطبعة الأمنية بالرباط، ط 2021، الجزء الأول، ص: 314.



الإذن بالتعدد رهين باستيفاء عدد من الشروط الصارمة، التي يتضاءل معها الأمل في الإذن المذكور، وهو ما يفهم من قراءة المواد 39 من المدونة وما بعدها.

ثانيا: مبررات طلب منع التعدد: محاولة في التقييم

لعل مجمل مبررات المنع تصب في أن التعدد يشكل إهانة للمرأة، مع أن الإسلام الذي استقى منه المشرع فلسفته لا يجبر المرأة على قبول الزواج برجل متزوج، بل هو يترك لها ولأهلها حرية الاختيار في حال خطبتها من رجل متزوج في قبول الزواج به أو رفضه، فإذا قبلت هي عن طيب خاطر وبمباركة من أهلها وبعد دراسة أخلاقه، كان ذلك دليلا على أن هذا الوضع لا ينطوي في نظرها ولا في نظرهم على ضرر ولا على ضرار، فلماذا الإصرار على حرمان الكثير من النساء البالغات الراشدات من التزوج برجل متزوج؟، وما مصير الواحدة منهن إذا كان قد فاتها قطار الزواج إذا لم يرغب فيها سواه؟، لماذا يريدون حرمانها من العفاف ومن حقها في نعمة الأمومة؟، ولماذا يعدمون حريتها هنا ويعترفون لها بهذه الحرية حينما يتعلق الأمر بالإجهاض أو بالفساد كما سنرى؟، لماذا يريدون منع التعدد وهم يدركون أن ميل الرجل مثلا إلى إنجاب من يخلفه ويرث ما يجمعه ويكده، طبيعة بشرية ورغبة غريزية جامحة، أودعها الله تعالى في خلقه، قد تدفع به إلى طرق جميع الأبواب، في حالة إقفال باب التعدد، حتى لو اقتضاه الأمر إلى فك عرى الزوجية، مما سيؤثر لا محالة على أجيال المستقبل (الأطفال)، فضلا عن الوقوع في الفساد إذا كان سبب التعدد هو عجز المرأة الأولى عن تلبية الرغبات الطبيعية للزوج؟.

وإذا افترضنا أن كل الرجال الذين عددوا في المغرب أساؤوا استعمال رخصة التعدد، مع أن هذا الافتراض مستبعد، فإن عددهم لا يتجاوز ما نسبته 0,34% ممن يتزوجون، حسب المصادر الرسمية، فهل هذه النسبة كافية للمطالبة بمنع التعدد مطلقا؟، وحتى إن كانت هناك من عيوب، فهل هي راجعة إلى التعدد كنظام شرعي يستمد مقوماته من ديننا الحنيف، أم هي نابعة من سوء الفهم ومن سوء التطبيق؟. إن المجلس العلمي الأعلى تصدى لهذا المطلب بالرفض، لمخالفته للشريعة الغراء، ووعيا منه بما يمكن أن يترتب على التعدد من مفساد، فقد قيد السلطة التقديرية الممنوحة للمحكمة في إعطاء الإذن بالتعدد، بجعل التعدد على وجه العموم جائزا في حالتين فقط، هما حالة مرض الزوجة الذي يحول دون المعاشرة الزوجية، وحالة عقمها، وحسنا فعل لأن هذين الحالتين تمثلان أهم مبررين يمكن أن يدفع الرجل إلى التعدد، فوجب الاقتصار عليهما، خاصة وأن التعدد لا يعدو أن يكون مجرد رخصة.

المطلب الثالث: مطلب إلغاء قاعدة التفاضل في الإرث

طالبت بعض الجمعيات النسائية المهتمة بقضايا المرأة والطفل، بإلغاء قاعدة التفاضل في الإرث - كحق من الحقوق المالية-، المنصوص عليها في مدونة الأسرة، مع أنها قاعدة قطعية واردة في نص صريح من القرآن الكريم، فعلى ماذا تبني مطلبها هذا، وماذا تقترح في هذا الشأن؟.

أولا: التنظيم القانوني للإرث.

بداية ينبغي أن نعترف ونقر بأن هناك جانبا مهما من أحكام الإرث في مدونة الأسرة، مصدره القرآن أو السنة أو الإجماع، ولم يثبت مطلقا على امتداد أطوار التاريخ الإسلامي أن تجرأ عليه أحد بدعوى الاجتهاد،



لا في عهد الصحابة، ولا في عهد التابعين، ولا في عهد تابعي التابعين ومن بعدهم، ولذلك تبناها المشرع المغربي في مدونة الأحوال الشخصية السابقة، وأعاد تكريسها في مدونة الأسرة كما هي، دون إدخال أي تعديل فيها أو تغيير، ويتعلق الأمر بـ:

1- الأنصبة الإريثة: التي قدرها الله عز وجل في كتابه العزيز، وهي النصف ونصفه ونصف نصفه والثلثان ونصفهما ونصف نصفهما، وبلغه الأرقام النصف والربع والثلثان والثلث والسدس.

2- تحديد الورثة، وطريقة إرثهم: إذ نجد ورثة ذكرهم الله عز وجل بصفاتهم، وبهم الأمر الابن والبنت، والأم والأب، والزوج والزوجة، والإخوة، سواء كانوا أشقاء أو لأب أو أم، وأضافت السنة بنت الابن المباشر، والجدة من جهة الأم، وأجمع العلماء على توريث بنت الابن غير المباشر، والجدة من جهة الأب، ومن هؤلاء من يرث بالفرض ومنهم من يرث بالتعصيب، على أن الأولوية تكون لأصحاب الفروض المقدر، والباقي يكون لأصحاب التعصيب، كما جاء في الحديث حسب الرواية المنصوص عليها في صحيح البخاري: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر"، وفي رواية مسلم: "اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله، فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر"¹².

3- قاعدة التفاضل: التي تعني أن للذكر مثل حظ الأنثيين، وهي قاعدة غير مطلقة، أي غير مضطردة في جميع الظروف والأحوال، تجد تمثلاتها في أربع حالات خاصة واردة على سبيل الحصر لا المثال:

- حالتان صريحتان، وهما حالة اجتماع الابن والبنت، في قوله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ"¹³، وحالة اجتماع الأخ مع أخته، أشقاء أو لأب، في قوله تعالى: "وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ"¹⁴، وهو ما كرسته مدونة الأسرة في المادة 351.

- وحالتان غير صريحتين، وهما حالة اجتماع الأب والأم مع عدم وجود أولاد ولا زوج أو زوجة، في قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ"¹⁵، أي وللأب الباقي، وهو الثلثان، وحالة إرث أحد الزوجين في الآخر، فعند وجود الولد يرث الزوج في زوجته الربع، في حين ترث الزوجة الثمن في زوجها، وعند عدم وجود الولد، يرث الزوج في زوجته النصف، في حين ترث الزوجة الربع في زوجها.

وفي مقابل ذلك، هناك جانب آخر من أحكام الإرث كان محل اجتهاد واختلاف بين فقهاء الشريعة، سواء تعلق الأمر بتقدير فرض لا يوجد في القرآن وهو ثلث الباقي، الذي يثبت للأم في مسألة شاذة، تسمى مسألة الغراوين، ويثبت للجد أيضا في بعض أحواله مع الإخوة، أو تعلق الأمر بإرث بعض الورثة ممن يطلق عليهم ذوو الأرحام، كالجدة وبنت البنت وغيرهما، فهناك من يورثهم وهناك من لا يورثهم، وبعد التورث يقول

12- وهو ما كرسته مدونة الأسرة في المادة 336، التي جاء فيها، أنه: "إذا لم يوجد أحد من ذوي الفروض أو وجد ولم تستغرق الفروض التركة، كانت التركة أو ما بقي منها للعصبة بعد أخذ ذوي الفروض فروضهم".

13- سورة النساء، من الآية 11.

14- سورة النساء، من الآية 176.

15- سورة النساء، من الآية 11.



فقهاء المذهب المالكي الذي أخذ به المشرع المغربي في المدونة، فضلا عن إرث الإخوة الأشقاء أو لأب مع الجد، فهناك من يورثهم وهناك من لا يورثهم، وبتوريثهم أخذت المدونة في المادة 354. وما يهمننا هنا هو قاعدة التفاضل، التي كثر حولها اللغط، فهي منصوص عليها كما هو معلوم في قوله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"، فالإيصاء هنا بمعنى الإيجاب والفرض كما يقول العلماء، بدليل تأكيده بقوله تعالى: "فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"¹⁶، وفي آية أخرى وردت في ذات السياق: "تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ"¹⁷، والحدود توجي بضرورة الدفاع عنها وعدم السماح باختراقها أو تجاوزها. وهذا يعني أن عدم المساواة في الإرث، وتفضيل الذكور على الإناث، في بعض الحالات والصور على قلتها وندرتها هو قرار إلهي وحكم رباني، مبني على علمه سبحانه المحيط بمصالح العباد¹⁸، يقول الله تعالى: "وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ"¹⁹، وفي آية أخرى: "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"²⁰.

ثانيا: مبررات الدعوة إلى إلغاء قاعدة التفاضل: محاولة في التقييم.

تقوم مبررات هذه الدعوة على جملة من الدفوعات، حسبنا منها ما يلي²¹:

- 1- عالمية مبدأ المساواة بين الجنسين، التي تنص عليه المواثيق الدولية، ويكرسه الدستور الجديد لسنة 2011، حسب الفصل 19 منه، الذي جاء فيه أن المواطنين المغاربة متساوون في الحقوق والحريات المدنية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية.
- 2- تغير الأوضاع الاجتماعية في المغرب، بحيث إن المرأة خرجت إلى العمل، وأصبحت تعيل أسرتها، ربما أكثر مما يفعل الرجال.

وكلا من هذين المبررين فيه شيء من الصحة، ولكنهما قابلان للمناقشة من وجوه:

- بالنسبة لارتكازهم على المواثيق الدولية في إقرار المساواة بين الجنسين بما في ذلك الإرث، والاستعاضة بها عن كتاب الله عز وجل، يعني اعترافا ضمنيًا بأن هذه المواثيق هي أكثر عدالة مما جاء في القرآن الكريم، وأكثر صلاحية منه، وإذا كان الأمر كذلك فعلا، فلماذا إذن يقر كثير من الباحثين الغربيين أنفسهم بعكس ذلك، يقول الطبيب المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: "منح القرآن المرأة حقوقا إرثية بأحسن مما في قوانيننا الأوروبية، وأن قوانين الميراث التي نص عليها القرآن على جانب كبير من العدل والإنصاف، وأن الشريعة الإسلامية منحت الزوجين حقوقا في الموارث لا نجد مثلها في قوانيننا"، فهذا من قبيل وشهد شاهد من أهلها.

16- سورة النساء، من الآية 11.

17- سورة النساء، من الآية 13.

18- محمد التاويل: دعوى المساواة في الإرث، مطبعة أنفو برانت، فاس، دون تاريخ، ص: 50.

19- سورة ق، من الآية 29.

20- سورة الكهف، من الآية 49.

21- للتوسع في الموضوع يراجع: محمد المهدي: إلغاء قاعدة التفاضل في الإرث: عدالة أم تعسف؟، مقال منشور بالمجلة المغربية للرصد القانوني والقضائي، العدد 12، 2021، ص: 65 وما بعدها.



وإذا كان غرضهم هو المساواة بين الرجل والمرأة في الإرث، فلماذا لا يتحدثون عن المغربية اليهودية، ولا يطالبون بتسويتها في الإرث مع الرجل، وهم يعلمون علم اليقين بأن المواثيق الدولية التي يتشبثون بأذيالها تنبذ التمييز ليس على أساس الجنس وحسب، بل حتى على أساس الدين؟.

- وأما بالنسبة لاستدلالهم بالدستور، فهو استدلال غير سليم نتيجة سوء الفهم وقصور الرؤية، ذلك أنه من عادة الدساتير أن تضع القواعد العامة وتسطر المبادئ الأساسية، بينما تتكفل القوانين الأدنى ببيان التفصيلات والجزئيات، بما في ذلك مدونة الأسرة.

ثم إن النصوص لا ينبغي قراءتها بمعزل عن بعضها البعض، فما نصت عليه المادة 19 من الدستور من مساواة بين المواطنين من حيث المبدأ، لا ينبغي قراءته وفهمه بمعزل عن المادة 175 مثلا من ذات القانون، التي تنص صراحة على أنه: "لا يمكن أن تتناول المراجعة الأحكام المتعلقة بالدين الإسلامي"، الذي يعتبر الإرث من قطعياته، التي لا مجال فيها للرأي والاجتهاد، لكون أحكامه منصوصة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية²²، بدليل أن المادة 19 نفسها المستدل بها بعد أن نصت على مبدأ المساواة، قيدت ذلك بنطاق أحكام الدستور التي تدخل ضمنها المادة 175 المذكورة، وأيضا بثوابت المملكة وقوانينها، وإذا لم تكن النصوص القرآنية القطعية من الثوابت فماذا تكون هذه الثوابت إذن؟.

وبناء عليه، فالمبدأ وإن ورد في الدستور فهو لا يعني المساواة المطلقة للأفراد أمام أحكام القانون وفي كل الأحوال، وإنما هو يرمز كما يقول الأستاذ الخمليشي عن حق إلى نبذ نظام الامتيازات الذي يصوغ فيه القانون الحقوق والالتزامات العامة على أساس طبقي أو عرقي أو ما إلى ذلك، أما الاختلاف الذي يقرره القانون بين الأفراد في الأحكام الجزئية فلا يتعارض مع مبدأ المساواة²³.

- أما بالنسبة لحجة تغير الأوضاع وخروج المرأة إلى العمل، وكونها أصبحت نتيجة لذلك تعيل أسرتها، مما لم يعد للقوامة أي معنى، فمناقشة هذه الحجة من وجوه متعددة، يكفيها منها ما يلي:

* هل هناك إحصائيات مؤكدة دقيقة تثبت أن عامة النساء العاملات، ينفقن ويعلنن الأسر، أم أنها مجرد حالات خاصة معزولة؟، والحال أن وضع القواعد القانونية كما لا يخفى على دارجي القانون ينبغي أن يتسم بالتجريد والعمومية²⁴.

2: على فرض صحة هذا الادعاء، والتسليم بأن المرأة المغربية أصبحت فعلا هي المعيل للأسرة، فهل هذا الوضع غير الطبيعي وغير العادل سببه الشرع حتى نهال عليه بمعاول الهدم، أم سببه التغير الذي عرفته منظومة القيم ببلادنا نتيجة البعد عن هذا الشرع؟.

المبحث الثاني: ارتباط مطالب التعديل بتعديل القانون الجنائي، صدفة أم تخطيط؟.

لا يمكن فهم المغزى الحقيقي من وراء المطالب السابقة إلا بربطها بمطالب أخرى تروم إدخال تعديلات على القانون الجنائي، ويتعلق الأمر بمطلب رفع التجريم عن الفساد والخيانة الزوجية (المطلب الأول)

22- مجموع الفتاوى: جمع ناصر بن حمد الفهد، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 196/19-280.

23- أحمد الخمليشي: وضعية المرأة وعقدة تفسير النصوص، منشور بالمجلة المغاربية للكتاب مقدمات، عدد خاص رقم 2، في موضوع: إصلاح قانون الأسرة حصيلة خمسين سنة من النقاش، السنة 2002، ص: 333 و334، هامش 5.

24- رجاء ناجي: مدخل للعلوم القانونية، الجزء الأول: نظرية القانون، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، دون تاريخ، ص: 61.



ومطلب توسيع حالات الإجهاض (المطلب الثاني)، فبعد الوقوف على هذين المطلبين ستنتضح خلفيات الربط بين مطالب تعديل المدونة ومطالب تعديل القانون الجنائي على قيم الأسرة (المطلب الثالث).

المطلب الأول: التنظيم القانوني لجريمتي الفساد والخيانة.

بالرجوع إلى القانون الجنائي المغربي نجده قد جرم كلا من الفساد في الفصل 490 (أولاً)، والخيانة الزوجية في الفصل 491 (ثانياً)، وهو ما تسعى بعض الجمعيات إلى رفعه، لمبررات يخيّل لها أنها وجمعة ومقنعة، مع أنها ليست كذلك (ثالثاً).

أولاً: تجريم الفساد.

الفساد بكل بساطة حسب الفصل 490 من القانون الجنائي هو: "كل علاقة جنسية بين رجل وامرأة لا تربط بينهما علاقة الزوجية..."، وهي جريمة من جرائم العرض التي عاقب عليها المشرع في الفصل المذكور بالحبس من شهر واحد إلى سنة، وذلك حماية للأخلاق وحسن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المغربي المسلم من جهة، ومن جهة ثانية لما يترتب عليها من نتائج تضر بكيان المجتمع من قبيل فساد الأخلاق والقيم وانتشار الأمراض الجنسية المعدية واختلاط الأنساب الذي يفضي إلى ازدياد عدد اللقطاء²⁵.

ثانياً: تجريم الخيانة الزوجية

إن جريمة الخيانة الزوجية هي على عكس الفساد، تتصور في حالة العلاقة غير الشرعية التي يقيمها شخص متزوج، ونظراً لفداحتها فقد جرمها المشرع وخص صاحبها بعقوبة أشد، إذ نص الفصل 491 من القانون الجنائي على أنه: "يعاقب بالحبس من سنة إلى سنتين أحد الزوجين الذي يرتكب جريمة الخيانة الزوجية..".

ثالثاً: مبررات مطلب إباحة العلاقات الرضائية.

يقوم مطلب رفع التجريم عن العلاقات الرضائية (الزنا) على عدد من المبررات، منها ما يتم الكشف عنه صراحة، ومنها ما يتم التلميح إليه، وعموماً هي تدور حول ما يلي:

- قدسية الحرية الشخصية، مع أن هذا التقديس يغيب عند الجمعيات في موضوع زواج المرأة برجل متزوج؛
- الجسد ملك خاص لصاحبه، يفعل به ما يشاء، أخذاً بشعار "جسدي حرتي"، وهو منطق يغيب أيضاً في موضوع زواج التعدد؛
- عدم جدوى العقوبة، على اعتبار أن معاقبة الزاني لن يوقف الزنا، مع أن ذات المنطق يمكن تطبيقه على باقي الجرائم، فمعاقبة السارق لن يوقف السرقة، ومعاقبة القاتل لن يوقف القتل، وهكذا، فهل نلغي جميع العقوبات؟، مع أن وظيفة العقوبة هي الردع، وحتى يكون المعاقب عبرة لغيره.

المطلب الثاني: التنظيم القانوني لجريمة الإجهاض

25- فاضل محمد: جريمة الفساد، تقديم ذ. أحمد الخمليشي، نشر المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة بالرباط، دون تاريخ، ص: 9.



يعتبر الإجهاض جريمة شنعاء في نظر المشرع، ولذلك خصها بعدد كبير من الفصول، بدءاً من الفصل 449 إلى غاية 458 من القانون الجنائي (أولاً)، لكن الجمعيات مع ذلك ترى أنه ينبغي رفع هذا التجريم، وذلك بناء على مبررات تبدو واهية في معناها ومبناها، تحاول الإقناع بها في مختلف المناسبات (ثانياً).

أولاً: التنظيم القانوني للإجهاض.

من المجمع عليه أن الإجهاض²⁶ غير جائز في شريعتنا السمحاء²⁷ إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون استمرار الحمل فيه خطر على حياة الحامل، ذلك أن كثيراً من الباحثين تتبعوا هذا الموضوع، وتبين لهم حرمة إسقاط الجنين، وأنه لا ولاية لأحد في إسقاطه - أبا كان أو أما أو غيرهما- إلا لعذر، كالخوف على حياة الأم من بقاء الجنين في بطنها، حيث يباح في هذه الحالة التضحية بالجزء في سبيل إنقاذ الكل، أو بالفرع في سبيل إنقاذ الأصل، على اعتبار أن حق الحياة للجنين ملك لمانح هذه الحياة، وليس ملكاً لمن هو مملوك مثله، وعلى هذا دأبت التشريعات الوضعية، وفي مقدمتها التشريع المغربي، الذي جرم بدوره الإجهاض مبدئياً وعاقب على ارتكابه من أي كان²⁸، سواء قامت به المرأة الحامل بنفسها أو بمشاركة غيرها.

فبالنسبة للمرأة الحامل، نص الفصل 454 من القانون الجنائي على أنه: "تعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين وغرامة من مائتين إلى خمسمائة درهم، كل امرأة أجهضت نفسها عمداً أو حاولت ذلك، أو قبلت أن يجهضها غيرها، أو رضيت باستعمال ما رشدت إليه أو ما أعطي لها لهذا الغرض".

وبالنسبة للغير، نص الفصل 449 من نفس القانون على أنه: "من أجهض أو حاول إجهاض امرأة حبلى أو يظن أنها كذلك، برضاها أو بدونه، سواء كان ذلك بواسطة طعام أو شراب أو عقاقير أو تحايل أو عنف أو أية وسيلة أخرى، يعاقب بالحبس من سنة إلى خمس سنوات، وغرامة من مائتين إلى خمسمائة درهم"²⁹.

26- لم يورد التشريع المغربي تعريفاً للإجهاض، تاركاً ذلك للفقهاء والقضاء، وفي هذا الصدد عرفه الكثير من الفقهاء بما لا يخرج عن كونه: إخراج الجنين عمداً من الرحم قبل الموعد الطبيعي لولادته، قصد وضع حد لحياته (انظر مثلاً: محمود نجيب حسني: شرح قانون العقوبات المصري، ط 1978، ص: 299- أحمد جوييد: الوجيز في شرح القانون الجنائي الخاص، محاضرات مخصصة لطلبة الحقوق بفاس، السنة الجامعية 97-98، ص: 60)، وقيل: هو: "القيام بأفعال تؤدي إلى إنهاء حالة الحمل لدى المرأة قبل الوضع الطبيعي إذا تمت تلك الأفعال بقصد إحداث هذه النتيجة". (كامل السعيد: الجرائم الواقعة على الأخلاق والآداب العامة والأسرة، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط 1، 1995، ص: 189)، وعلى هذا إذا تعلق الأمر بقتل جنين كنا أمام جريمة الإجهاض، وإذا تعلق الأمر بقتل طفل ولد بشكل طبيعي ورأى النور كنا أمام جريمة قتل الأطفال.

27- فالإجهاض لا يحمل في الإسلام غير اسم واحد، هو قتل النفس، أما الأسماء التي أطلقها الغرب عليه من قبيل حرية المرأة في استخدام جسدها، وما شاكل ذلك من أسماء، فهي تحترم مادامت مستخدمة في البلاد التي أطلقتها، ولكن عندما تعبر المحيط الأطلسي لتحل ضيفاً ثقيلًا علينا بقوة المعونات الاقتصادية والإعلام الذي يغير العقول، فلا يلومنا أحد في مقاومتها واستعدادها ونبذها (أماني أبو الفضل: ولا تنسوا النساء في صياغتك للمستقبل، ضمن كتاب: مستقبل الإسلام، دار الفكر بدمشق، ط 1، أكتوبر 2004، ص: 168).

28- يراجع في الموضوع: عبد الواحد العلي: شرح القانون الجنائي المغربي، القسم الخاص، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ط 3، 2011، ص: 295 وما بعدها.

29- ذلك أن الاعتداء على المرأة الحامل يعتبر في حقيقة الأمر اعتداءً على شخصين، وهو ما أقرته الشريعة الإسلامية منذ أكثر من 14 قرناً، حينما خولت للجنين شخصية ومنحته أهلية للوجود، مما يؤكد أن لدينا قيماً حضارية وإنسانية يمكن عولمتها إذا ما نحن أحسننا معرفتها وأحسننا العمل بها.



وعلى هذا، إذا شارك أحد في إجهاض امرأة، كالعشيق الذي يقدم النقود ثمنا لإجراء العملية، أو المرشد الذي يعين كتابة الوسائل الواجبة الاستعمال، أو الصديقة التي تعطي عنوان المرأة التي تقوم بالعملية، أو الشخص الذي يقدم منزله لإجراء عملية الإجهاض، فتطبق عليه أحكام الفصل 449، وإذا شارك المرأة التي أجهضت نفسها، فلا تطبق عليه سوى العقوبات البسيطة الواردة في الفصل 454³⁰.

ولم يستثن المشرع من تجريم الإجهاض وفق المقتضيات القانونية المارة بنا، إلا الحالة التي يتم اللجوء فيها إلى الإجهاض قصد الحفاظ على صحة الأم كما مر بنا، ففي هذه الحالة لا يعاقب مرتكب الإجهاض عملا بمنطوق الفصل 453 من القانون الجنائي³¹.

ثانيا: مطلب رفع التجريم عن الإجهاض: محاولة في التقييم

في سنة 2015، اندلع نقاش مجتمعي محتدم حول الحق في الإجهاض، على إثر مطالبة بعض التنظيمات النسائية والحقوقية برفع التجريم الطبي عن الإجهاض بشكل نهائي، وصل إلى النفق المسدود، لما لقيه من معارضة شديدة من قبل الإسلاميين، وعلى رأسهم حزب العدالة والتنمية، الشيء الذي أفضى إلى تدخل جلالة الملك، الذي أمر في مارس 2015، كلا من المصطفى الرميد، وزير العدل والحريات آنذاك، وأحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وإدريس اليزمي، رئيس المجلس الوطني لحقوق الإنسان، بالانكباب على دراسة موضوع الإجهاض، بالتنسيق والتعاون مع المجلس العلمي الأعلى، وخلصت هذه اللجنة في نهاية المطاف إلى تحديد ثلاث حالات، يمكن أن يسمح بها للقيام بالإجهاض، وهي: "أولا: عندما يشكل الحمل خطرا على حياة الأم أو على صحتها، ثانيا: في حالات الحمل الناتج عن اغتصاب أو زنا المحارم، ثالثا: في حالات التشوهات الخلقية الخطيرة والأمراض الصعبة التي قد يصاب بها الجنين".

وعلى إثر ذلك صادقت الحكومة سنة 2016 على مشروع قانون يسمح بالإجهاض وفق الحالات المذكورة، لكن بشروط معينة تم تفصيلها حسب كل حالة على النحو الآتي:

- عدم المعاقبة على الإجهاض إذا كان ناتجا عن اغتصاب أو زنا المحارم، وذلك شريطة أن يقوم به طبيب في مستشفى عمومي أو مصحة معتمدة لذلك، وأن يتم قبل انقضاء تسعين يوما على الحمل؛
- عدم المعاقبة على الإجهاض إذا كانت الفتاة الحامل مختلة عقليا، شريطة أن يقوم به طبيب في مستشفى عمومي أو مصحة معتمدة لذلك، وأن يتم قبل انقضاء تسعين يوما على الحمل، وأن يتم بموافقة الزوج أو أحد الأبوين إذا لم تكن متزوجة، أو النائب الشرعي إذا كانت قاصرا، أو الشخص أو المؤسسات

30- وزارة العدل: دليل القانون الجنائي المغربي، سلسلة الدلائل والشروح القانونية، رقم 5، وزارة العدل، المعهد الوطني للدراسات القضائية، دون طبعة أو تاريخ، ص: 319.

31- ينص الفصل 453 من القانون الجنائي على أنه: "لا عقاب على الإجهاض إذا استوجبت ضرورة المحافظة على صحة الأم متى قام به علانية طبيب أو جراح بإذن من الزوج.

ولا يطالب بهذا الإذن إذا ارتأى الطبيب أن حياة الأم في خطر، غير أنه يجب عليه أن يشعر بذلك الطبيب الرئيسي للعمالة أو الإقليم. وعند عدم وجود الزوج أو إذا امتنع الزوج من إعطاء موافقته أو عاقه عن ذلك عائق، فإنه لا يسوغ للطبيب أو الجراح أن يقوم بالعملية الجراحية أو يستعمل علاجا يمكن أن يترتب عنه الإجهاض إلا بعد شهادة مكتوبة من الطبيب الرئيسي للعمالة أو الإقليم يصرح فيها بأن صحة الأم لا تمكن المحافظة عليها إلا باستعمال مثل هذا العلاج".



المعهد إليها رعايتها، مع ضرورة إشعار مندوب وزارة الصحة في المنطقة أو الإقليم قبل إجراء عملية الإجهاض؛

- يسمح بالإجهاض في حال ثبوت إصابة الجنين بأمراض جينية حادة، أو تشوهات خلقية غير قابلة للعلاج وقت التشخيص، بواسطة شهادة تسلمها لجنة طبية يعينها وزير الصحة في كل جهة من الجهات، على أن يتم الإجهاض قبل مرور 120 يوما من الحمل.

ولعل ما يعاب على هذه الجهود المبذولة أنها تصب فقط في إطار محاربة الإجهاض السري، عن طريق الترخيص بوأد الجنين، لكن دون أن تعير اهتماما لأسبابه ودواعيه المختلفة، مع أن الأولى هو الانكباب على البحث في أسباب جريمة الإجهاض واقتراح سبل علاجها، انسجاما مع مبادئ علم الإجرام الذي يعالج ظاهرة الجريمة بالبحث في أسبابها، لا أن يكون الحل السهل والطريق المعبد هو الاعتداء على مخلوق ضعيف لا ذنب له ولا جرم، وحرمانه من حقه في الوجود والحياة التي وهبها الله له، وكفلها دستور المملكة من خلال الفصل 20، الذي ينص على أن: "الحق في الحياة هو أول الحقوق لكل إنسان، ويحمي القانون هذا الحق"³². فضلا عن ذلك، هناك ملاحظات واردة على الحالات المحددة في المشروع، من حيث عدم تصور بعضها، أو من حيث بناؤها على التخمين لا على اليقين، خاصة ما يتعلق منها بالحمل الناتج عن اغتصاب والحمل المشوه.

فبالنسبة للأول يلاحظ أن الإجهاض يتوقف بدهشة على ثبوت الاغتصاب بمقتضى حكم قضائي نهائي، وهذا الحكم النهائي لن يصدر إلا بعد أن يكون الجنين قد نفخ فيه الروح، واقترب من ولادته، فكيف إذن سيتحقق شرط أن يتم الإجهاض قبل انقضاء تسعين يوما على الحمل؟، أما بالنسبة للثاني، فنعتقد أنه على الرغم من تقدم الطب الحديث، فإنه لم يصل إلى درجة اليقين أو الظن الغالب بأن الجنين سيكون مشوها، وإنما هو احتمال فقط، فضلا عن أن أهل الاختصاص من الأطباء، يؤكدون أن كثرة الأجنة التي بها تشوه شديد لا يمكن معه أن تهيأ أسباب الحياة لهم، فهم يجهضون تلقائيا في الأسابيع الأولى من الحمل، وما بقي بعد هذه المدة فإنه يستمر إلى نهاية الحمل، إما لعدم وجود تشوهات، وإما لأن هذه التشوهات لا تمنعهم من ممارسة الحياة، ومن جهة أخرى، فإن ما تيقن منه أو غلب عليه الظن أنه مشوه خلقيا، لا يقتضي بالضرورة إجهاضه، وإنما يستلزم معالجته، سواء قبل الولادة أو بعدها، فالعلم الحديث أثبت أنه قادر على معالجة الكثير من التشوهات، وأنها أصبحت من الأمور السهلة، وهذا ما يشهد به الواقع من معالجته لعدة حالات، كحالات الالتصاق أو اشتراك الجنينين في عمود فقري واحد، وكذلك العيوب التي تصيب الوجه أو الشفتين أو غيرهما³³.

ورغم هذا التوسع في الحالات المبيحة للإجهاض، فإنه لم يرق للجمعية المغربية لمكافحة الإجهاض السري التي يقودها الطبيب شفيق الشرايبي، الذي كان وراء انطلاق الشرارة الأولى لهذا النقاش، حيث رأت

32- محمد المهدي: المرجع العملي في شرح قانون الأسرة المغربي، المرجع السابق، الجزء الأول، ص: 510 وما بعدها.

33- عائشة أحمد سالم حسن: الأحكام المتعلقة بالحمل في الفقه الإسلامي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط1، 2008، ص: 394-395.



أنها غير كافية للقضاء على ظاهرة الإجهاض السري، لكونها لا تمثل سوى 10 في المائة من الحالات المتفشية في المجتمع، وأنه كان من الأولى أن تشمل حق القاصرات في الإجهاض، والحمل غير المنتظر الذي قد يسبب الاكتئاب، إلى درجة انتحار الحامل، أو الفتاة المهتدة بالقتل من طرف أهلها، أو المهتدة بالطرده من البيت. ولا يخفى ما في هذه المطالبة من توسيع حالات الترخيص بالإجهاض على النحو المذكور، من استهتار مكشوف وصارخ بأرواح الأجنة، ومن دعوة مبطنة إلى إشاعة الفساد لا أقل ولا أكثر، فهي تشكل إحدى الخطوات التي ألمحنا إليها في مقدمة هذه المقالة، التي تبدأ بالمطالبة بمنع زواج القاصرات ومنع التعدد، وتمر من رفع تجريم الزنا، وتنتهي بالسماح لهن بالإجهاض³⁴.

المطلب الثالث: وجه المناسبة بين مطالب تعديل المدونة وتعديل القانون الجنائي.

بعد استعراض ما مر بنا من مطالب سواء على مستوى مدونة الأسرة أو على مستوى القانون الجنائي، يتبين بجلاء أن لكل مطلب هدفا، ولكن بتجميع مختلف المطالب وتأملها نجدها في نهاية المطاف تلتقي في رسم غاية أساسية، وهي هدم منظومة القيم في الأسرة، التي تجعل منها حصنا منيعا وركنا ركينيا في بناء المجتمع عموما والإنسان خصوصا.

وهكذا، كانت البداية مع منع زواج القاصر، بعلة أن مصلحتها في غير زواجها، لكن إذا حصل أن رغبت في إقامة علاقة غير شرعية فلها ذلك مادامت المطالب جادة في رفع تجريم الفساد، وإذا حملت فلا خوف عليها، يمكنها التخلص مما في رحمها ورميه في القمامة، مادامت المطالب جادة في رفع تجريم الإجهاض، ثم رأينا منع التعدد، بعلة العمل على استقرار الأسرة، لكن إذا رغب الزوج في قضاء حاجته الجنسية في حال عجز زوجته عن تلبيةها يمكنه البحث عن ضالته في الشارع، مادامت الجهود قائمة في العمل على رفع تجريم الخيانة الزوجية، أما إذا انتشرت الأمراض، أو تمخض عن مثل هذه العلاقات أطفال لقطاع، أو اضطرت الزوج لتطليق زوجته من أجل البحث عن أخرى تصونه أو تنجب له الذرية، فلا يهم كل ذلك، مما يعني أن المقصود ليس هو حماية الأسرة كما يدعون، بقدر ما يدل على الرغبة في إعطاء الحق للمرأة تتصرف في جسدها بما يستجيب لنزواتها.

خاتمة:

إن المتأمل في هذه المطالب التي تقدمت بها عدد من الجمعيات المغربية يجدها لا تقف على أرض صلبة، فهي عارية عن أي مبررات مقنعة، هدفها الوحيد هو التمرد والتطاول والتعالم على شرع الله من أجل استبعاده عن كل ما ينظم حياة الأسرة المغربية، لأنه يعيق تحقق الصورة الحداثية التي يريدونها لهذه الأسرة، تشبها بأذيال بعض دول الغرب، الذي تأثروا بفكره وانهمروا بحياته، ولذلك نستطيع أن نجزم بأن الأسرة المغربية في ضوء تلك المطالب يمكن أن تعرف منعطفًا خطيرا على مستوى منظومة القيم، تدخل على إثره في دوامة من الفوضى لن تخرج منها إلا إلى جو غارق في الجهمية، حيث استباحة الأعراض، واختلاط

34- محمد المهدي: المرجع العملي في شرح قانون الأسرة المغربي، المرجع السابق، الجزء الأول، ص: 513.



الأنساب، وانتشار ظاهرة الأطفال اللقطاء، واتساع لائحة الأمهات العازبات، وغير ذلك من مظاهر البؤس الاجتماعي.

وحيث إن المغرب دولة ما زالت سائرة في طريق النمو، خاصة أمام السياسة الارتجالية للحكومات المتعاقبة، فلن يستطيع كبح جماح هذه الهيمنة، ولا مواكبة السيل الجارف من الآثار السلبية المترتبة عنها، ولذلك فإننا نناشد الجهات التي تناضل من أجل تحقيق المطالب المذكورة، بحجة أنها مكرسة من طرف صناعات الأوقاف الدولية، سواء كانت تفعل ذلك عن وعي أو عن غير وعي، أن تعود إلى رشدها، وتستوعب اللعبة القذرة التي قد تكون ضحية لها، وعليها أن تتساءل ألف مرة لماذا توجد عليها جهات أجنبية، تفكيرها يختلف تماما عن تفكيرنا، بكل تلك التمويلات السخية. وفي مقابل ماذا؟، عليها أن تستبعد أن هذه الجهات تكلف نفسها الجود بهذه الأعطيات محبة في الشعب المغربي، أو أنها تنفقها عبثا ودون هدف، إنها على علم بكل خطوة تخطوها في هذا الباب، وعلى علم تام بما ستجنيه من وراء ذلك.

إن المتتبع للسياسة الغربية، يعي جيدا أن تدخلها في شؤون الدول التي تجعل الإسلام دينها الرسمي، هو من أجل القضاء على هذا الدين حتى لا يبقى عنصرا أساسيا في بناء قيم الإنسان، لأنه يشكل خطرا على أمنها حسب ما تعتقد، ولذلك فهي تبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق هذا الحلم، حلم إفساد الإنسان المسلم انطلاقا من إفساد الأسرة، حيث المرتع الحقيقي للقيم التي عليها مدار قوة الشعوب، خاصة إذا كانت هذه القيم مستوحاة من شريعتنا السمحاء، حيث العفة والطهارة، حتى إذا ما تحقق لها ذلك، سهل عليها اللهو بها، والسيطرة عليها كما يجب.

وفي النهاية، إذا كانت الأسرة هي القلب النابض في المجتمع، بحيث إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسدت فسد المجتمع كله، فلأنها تقوم على القيم والأخلاق الكريمة والرحمة والمودة بين آحادها، فإذا ذهبت هذه القيم واضمحلت الأخلاق وعم الفساد بكل أعراضه ومخاطره، نزلت الأسرة التي هي عماد المجتمع وقوامه من عليائها إلى مرتبة الهيمنة والدونية.

وبناء عليه، ينبغي تضافر جميع الجهود من أجل التصدي لكل من يريد أن يلقي بهويتنا وقيمنا في مزبلة التاريخ من أصحاب المصالح والغايات، ممن جرفه بريق العهود والاتفاقيات، ظنا منه أنها منبع الحقوق وتحقيق الأمنيات، وأعمى بصيرته عن بريق الحق سبحانه، المنبع الحقيقي لكل حقوق هذا الإنسان، من لحظة الولادة إلى لحظة الممات.

المصادر والمراجع:

- ابراهيم بحماني: زواج القاصرة ممن اختطفها أو غرر بها وضوابطه وآثاره، ضمن أشغال ندوة: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 5، مطبعة الأمنية بالرباط، 2012.
- أحمد جوييد: الوجيز في شرح القانون الجنائي الخاص، محاضرات مخصصة لطلبة الحقوق بفاس، السنة الجامعية 97-98.



- أحمد الخمليشي: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، ضمن أشغال ندوة: ضمن أشغال ندوة: زواج المغتصبة والقاصرة بين النصوص القانونية والواقع العملي، سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 5، مطبعة الأمنية بالرباط، 2012.
- أحمد الخمليشي: وضعية المرأة وعقدة تفسير النصوص، منشور بالمجلة المغربية للكتاب مقدمات، عدد خاص رقم 2، في موضوع: إصلاح قانون الأسرة حصيلة خمسين سنة من النقاش، السنة 2002.
- أماني أبو الفضل: ولا تنسوا النساء في صياغتك للمستقبل، ضمن كتاب: مستقبل الإسلام، دار الفكر بدمشق، ط1، أكتوبر 2004.
- رجاء ناجي: مدخل للعلوم القانونية، الجزء الأول: نظرية القانون، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، دون تاريخ
- عائشة أحمد سالم حسن: الأحكام المتعلقة بالحمل في الفقه الإسلامي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط1، 2008.
- عبد الواحد العلمي: شرح القانون الجنائي المغربي، القسم الخاص، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ط3، 2011.
- فاتح كمال: دراسة أولية لأهم الإشكاليات المثارة بخصوص مسطرة الإذن بتزويج من لم يبلغ سن الزواج: تحديد الاختصاص المحلي ونطاق السلطة التقديرية لقاضي الأسرة المكلف بالزواج، مجلة الملف، مارس 2008، العدد 12.
- فاضل محمد: جريمة الفساد، تقديم ذ. أحمد الخمليشي، نشر المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة بالرباط، دون تاريخ.
- كامل السعيد: الجرائم الواقعة على الأخلاق والآداب العامة والأسرة، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط1، دون تاريخ.
- محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى: جمع ناصر بن حمد الفهد، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1423 هـ، الجزء 19.
- محمد التاويل: دعوى المساواة في الإرث، مطبعة أنفو برانت، فاس، دون تاريخ.
- محمد المهدي: المرجع العملي في شرح قانون الأسرة المغربي، دراسة تحليلية في ضوء الفقه والعمل القضائي، الجزء الأول، نشر دار الأفاق المغربية، مطبعة الأمنية بالرباط، ط 2021.
- محمد المهدي: إلغاء قاعدة التفاضل في الإرث: عدالة أم تعسف؟، مقال منشور بالمجلة المغربية للرصد القانوني والقضائي، العدد 12، 2021.
- محمود نجيب حسني: شرح قانون العقوبات المصري، ط 1978.
- مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة 1999.



- وزارة العدل: القضاء الأسري، الواقع والآفاق، عشر سنوات من تطبيق مدونة الأسرة، دراسة تحليلية إحصائية، 2013-2014، ماي 2014.
- وزارة العدل: دليل القانون الجنائي المغربي، سلسلة الدلائل والشروح القانونية، رقم 5، وزارة العدل، المعهد الوطني للدراسات القضائية، دون طبعة أو تاريخ.



Family security and its relation to the objectives of Sharia and the impact of social media on it

Dr. Abeer Jassim Mohammed Al-Shehab 

Department of Jurisprudence and its Fundamentals College of Sharia, Kuwait University, State of Kuwait

Received: 6/10/2024
Revised: 27/10/2024
Accepted: 15/11/2024
Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
: dr.abeeralshahab@gmail.com

Citation: Al-Shehab, Abeer
Jassim Mohammed (2025).
Family security and its relation
to the objectives of Sharia and
the impact of social media on
it .*Dalail Journal of
Humanities, 1* (2).

Abstract:

The research at hand addresses a topic related to family and its security, titled "Family Security and its Relation to the Objectives of Sharia and the Impact of Social Media on It." The research aims to clarify the relationship between family security and the objectives of Islamic Sharia, as well as the extent to which social media affects family security both negatively and positively. The nature of the research required the use of the inductive method and the comparative analytical method. The research is divided into an introduction, two main sections, and a conclusion. The introduction highlights the importance of the topic, reasons for choosing it, the research problem, its objectives, previous studies, methodology, and plan. The first section discusses the meaning of family security both linguistically and terminologically, and its relationship with the objectives of Sharia. The second section addresses the definition of social media and its impact on family security, whether by destabilizing it or by using it within legal and Sharia boundaries. The conclusion summarizes the key findings and recommendations, including that achieving family security is one of the most important objectives of Sharia in marital life, and that the improper and uncontrolled use of social media affects the privacy of marital life, causes separation between spouses, and results in negative effects on children in terms of education, ethics, and religion.

Keywords: Family Security, Social Media, Objectives of Sharia, Relationship.

الاستشهاد المرجعي:

الشهاب ، عبيد جاسم محمد (2025)
فبراير الأمن الأسري وعلاقته
بمقاصد الشريعة وأثر وسائل
التواصل الاجتماعي فيه، مجلة
دلائل للعلوم الإنسانية، عدد 2.
مجلد 1.

الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة وأثر وسائل التواصل الاجتماعي فيه

د. عبيد جاسم محمد الشهاب

قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة، جامعة الكويت، مدينة الكويت، دولة الكويت

ملخص:

يتناول البحث الذي بين أيدينا موضوعًا يتعلق بالأسرة وأمنها، عنوانه «الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة وأثر وسائل التواصل الاجتماعي فيه»، ويهدف البحث إلى بيان علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشريعة الإسلامية، ومدى تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الأسري سلبيًا وإيجابًا. وقد اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي المقارن. وتم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ فالمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وأهدافه والدراسات السابقة عليه ومنهجه وخطته، ثم تناولت في المبحث الأول معنى الأمن الأسري لغة واصطلاحًا والعلاقة بينه وبين مقاصد الشريعة، وفي المبحث الثاني تناولت تعريف وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في الأمن الأسري سواء أضرها في زعزعة أمن الأسرة أو استخدامها بضوابط شرعية وقانونية. وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، ومن هذه النتائج إن تحقيق الأمن الأسري من أهم المقاصد الشرعية في الحياة الزوجية، وأن الاستخدام الخاطئ وغير المنضبط لوسائل التواصل الاجتماعي يؤثر على خصوصية الحياة الزوجية، ويسبب الفرقة بين الزوجين، وينتج عنه آثارًا سلبية على الأولاد من الناحية التربوية والأخلاقية والدينية.

الكلمات المفتاحية: الأمن الأسري، وسائل التواصل الاجتماعي، مقاصد الشريعة.



© 2025 Publishers/ the
International Foundation of
Beacons of Intellect / Research
team: Education, Languages,
and Cultures, Moulay Ismail
University, Morocco.
This article is an open access
article distributed under the
terms and conditions of the
Creative Commons Attribution
(CC BY-NC-ND) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>



مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وبعد:

فإن للأسرة المسلمة أحكام نظمها شريعة الإسلام وحثت على التزامها؛ حرصاً على تماسكها وعدم تفككها، فجعلت من مقاصد هذه الشريعة حفظ النسل والعرض؛ لتحقيق الأمن الأسري، فقال تعالى: {ومن آياته إن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} [الروم: 21]، وقد ظهر في العصر الحديث وسائل تقنية- نتيجة للتطور التكنولوجي المستمر- تتيح للبشر أن يتواصلوا مع بعضهم عبر رسائل نصية أو مشاهدات متلفزة أو رسائل صوتية، أطلق على هذه الوسائل: وسائل التواصل الاجتماعي، وقد كان لهذه الوسائل أثر كبير سلباً وإيجاباً على الأسرة المسلمة وأمنها.

وعلى هذا كان على الباحثين البحث في شقين مهمين للوصول إلى تحقيق أمن أسري وفق أحكام الشريعة الإسلامية المستنبطة من أصلها: القرآن والسنة النبوية وما استنبط منهما من أصول أخرى اعتمدها الفقهاء والعلماء في الاستدلال، هذان الأمران هما: بيان علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشرع الحنيف، وأثر وسائل التواصل الاجتماعي في الأمن الأسري، وهذان هما مدار الحديث في هذا البحث، الذي جعلت عنوانه: «الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة وأثر وسائل التواصل الاجتماعي فيه».

أولاً: أهمية البحث وسبب اختياره:

- 1- أنه يتناول مسألة من المسائل المتعلقة بالأسرة التي هي قوام المجتمعات وأساسها، وتماسكها يدفع إلى استقرارها ونشر الطمأنينة فيها وترابطها.
- 2- أنه يوضح بجلاء صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان ومكان، وعدم وقوفه عائقاً أمام التطور والنماء، بل يؤكد على مقصد درء المفساد وجلب المصالح الذي شرعت لتحقيقه كثير من الأحكام.
- 3- أنه يبين أثر مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال التطبيق العملي على مسألة من مسائل الفقه المتعلقة بالأسرة وأمنها.
- 4- أنه يبين أثر أحد المستجدات التقنية الحديثة- وسائل التواصل الاجتماعي- في أحد القضايا المجتمعية المتعلقة بالأسرة.

ثانياً: مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث من خلال طرح عدة تساؤلات، والإجابة عنها تعد حلاً لهذه المشكلة:

- 1- ما المراد بالأمن الأسري؟ وما علاقته بمقاصد الشريعة؟
- 2- ما مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الأسري؟



ثالثًا: أهداف البحث:

- 1- بيان معنى الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة.
- 2- بيان معنى وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في الأمن الأسري.

رابعًا: الدراسات السابقة:

ثمة دراسات سبقت هذه الدراسة تناولت الأمن الأسري من منظور آخر غير ما جاء في هذه الدراسة، من هذه الدراسات الآتي:

- 1- مقال بعنوان (الأمن الأسري) دراسة في الأسس والمرتكزات. جريد هوية بريس. مقال منشور تاريخ 19-أكتوبر 2021م.
- 2- بحث بعنوان: (الأمن الأسري من منظور تربوي إسلامي مفهومه، ومقوماته وتحدياته)، د. عبد الكريم عبد الله سليمان الرفاعي /د. ليما محمد أحمد الشوحة، بحث منشور في العدد الأول يناير 2020 من مجلة سناد.

ولم أقف على دراسة تناولت علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشريعة، وأثر وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الأسري.

خامسًا: منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أسلك المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي المقارن؛ لبيان التأصيل الشرعي للمسائل محل البحث.

سادسًا: خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث ومشكلته وأهدافه والدراسات السابقة عليه ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: تعريف الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة.

المطلب الأول: الأمن الأسري لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في الأمن الأسري.

المطلب الأول: وسائل التواصل الاجتماعي لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: زعزعة وسائل التواصل الاجتماعي للأمن الأسري.



المطلب الثالث: ضوابط استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في تحقيق الأمن الأسري.
الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الأمن الأسري وعلاقته بمقاصد الشريعة

المطلب الأول: الأمن الأسري لغة واصطلاحاً

أولاً: الأمن الأسري لغة:

الأمن الأسري مركب لفظي يتكون من كلمتين، لكل منهما معناه الخاص به في اللغة، فالكلمة الأولى هي الأمن، وهي من الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سُكُونُ الْقَلْبِ، وطمأنينة النفس وزوال الخوف⁽¹⁾. وعدمُ تَوْفَعٍ مَكْرُوهٍ فِي الزَّمَنِ الْآتِي،⁽²⁾ ولها معنى آخر وهو التَّصْدِيقُ.⁽³⁾
وأما الكلمة الثانية وهي الأسري فنسبة إلى الأسرة، وهي: الدرع الحصينة. وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك⁽⁴⁾.

ثانياً: الأمن الأسري اصطلاحاً:

يعرف بأنه: "حماية الزوجين والأبناء بشكل منظم ومستمر وفق الضوابط الشرعية، من كل خطر يهدد استقرار الأسرة ومنظومتها داخلياً وخارجياً في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية والنفسية تحقيقاً لمقصودها من التماسك والسكن والإنتاج"⁽⁵⁾.
ويمكن تعريف مهددات الأمن الأسري بـ: "وجود خلل في النظم الاجتماعية المختلفة وعجزها عن القيام بوظائفها وأدوارها المتوقعة منها"⁽⁶⁾.

(1) مختار الصحاح الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ص21.

(2) تاج العروس 184/34

(3) مجمل مقاييس اللغة لابن فارس 133/1، لسان العرب 21/13.

(4) المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية ج1/ص17.

(5) انظر: مهددات الأمن الأسري الناجمة عن الإدمان الإلكتروني للزوجين، رقية محمد أحمد هلال زهري، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) مجلد 15 عدد2 يوليو 2023م ص10، مروه ناجح البعول وسميرة عبدالله الرفاعي، مقومات الأمن الأسري من منظور تربوي إسلامي ودرجة تحققه لدى العاملات في جامعة اليرموك، ورقة بحثية بمجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية المجلد 29 العدد2 قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، 2021م ص53، سماح جودة علي وهبة، الأمن الأسري وعلاقته بالتنمر المدرسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية، ورقة بحثية منشورة بمجلة البحوث في التربية النوعية، المجلد السابع، العدد 36، كلية التربية النوعية جامعة المنيا، 2021م، ص14-15

(6) مهددات الأمن الأسري الناجمة عن الإدمان الإلكتروني للزوجين <رقية محمد أحمد هلال زهري، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) مجلد 15 عدد2 يوليو 2023م ص11.



المطلب الثاني: علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشريعة الإسلامية

يبين الإمام الماوردي رحمه الله الكيفية التي يكون من خلالها صلاح الدنيا، فيقول: "ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة، ستة أشياء: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دارٌ، وأمل فسيح"⁽⁷⁾.

إن ذلك أساس كل اجتماع إنساني وأهمه الأسرة وما يكون بين الزوجين وبيانه، أن الدين المتبع ويكون ابتداءً بالاختيار على معيار التدين كما هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم "فاظفر بذات الدين تربت يداك"⁽⁸⁾، وبالتواصي بالحق وصيانة الأسرة ومدارتها الدينية والخلقية كما قال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"⁽⁹⁾، وذلك بصرف النفوس عن شهواتها حتى يصير قاهراً للسرائر زاجراً للضمائر رقيباً على النفوس في خلواتها، نصوحاً لها في ملماتها⁽¹⁰⁾ وهو كما سيأتي محققاً مقصد حفظ الدين والعقل والنسل بالعفة والاستعفاف، فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الأسرة واستقامتها واجدها نفعاً في انتظامها.

أما قوله سلطان قاهر، فالمراد منه في المكون الأسري إدارة الأسرة بالقوامة الشرعية التي تأتلف بقرارتها المختلفات، وتجتمع بهيبتها القلوب المتنافرة.

وأما قوله عدل شامل فبيانه في الأمن الأسري بأداء كل من الزوجين مؤداه من الحقوق والواجبات الشرعية التي تحقق الطمأنينة وتقلل النزاع وتحقق السكن.

وأما الأمن العام في المكون الأسري فهو الشامل للأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة والسكينة الداخلية الذي يبعث الثقة بين الزوجين، ويتحقق بحسن اختيار الزوجة القائم على التدين والخلق ابتداءً، ومروراً بإقامة الحياة الزوجية وفق ميزان الشريعة بالحقوق والواجبات والإحسان؛ مما يعزز المحبة والثقة بين الزوجين، وانتهاءً بحسن الظن والتغافل والتواصي بالحق بين الزوجين. والأمن الذي ينتج العدل حيث يسكن إليه البريء ويأنس به الضعيف.⁽¹¹⁾

وأما قوله خصب دارٌ، فنعني به الأمن الاقتصادي بتحقيق مقصد حفظ النفس للزوجة وكفايتها، وحفظها هي لمال الزوج وحسن الإدارة المالية للأسرة. لأن الخصب يؤول للغنى والغنى يؤول للأمانة والسخاء، وبعبارة أخرى يحدث من أسباب الفساد ما ضاهاها.

(7) الماوردي/أدب الدين والدنيا ص217

(8) رواه مسلم رقم: (1466).

(9) رواه البخاري، رقم (2554)، ومسلم، رقم: (1829).

(10) الماوردي/أدب الدين والدنيا ص217

(11) الماوردي/أدب الدين والدنيا، ص142.



وأخرها قوله: أمل فسيح، ونعني به في الأمن الأسري أن يتحقق لأفراد الأسرة التطلع لحماية الأسرة وتطويرها واستثمار قدرات أفرادها وأثرهم على مجتمعهم.

فالأمن هو الذي يحفظ مقاصد الشريعة الخمسة من جانب العدم، لأنه يمنع الخلل الواقع أو المتوقع فيها⁽¹²⁾. إذ ليس لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة كما ذكر الامام الماوردي-رحمه الله-⁽¹³⁾.

فحفظ الدين بإقامة الأمن الديني للأسرة بحسن اختيار الزوجة على معيار الدين ودوام التواصل بالحق، وحفظ النفس بالأمن الاقتصادي وتحقيق كفاية الزوجة والأبناء مادياً، وحفظ العرض بإعفاف الزوجة عاطفياً والإشباع العاطفي للأبناء بما يحقق الألفة الجامعة، وحفظ العقل بصيانة الأسرة أخلاقياً، وحفظ المال بحسن إدارة الأسرة مالياً.

المبحث الثاني: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في الأمن الأسري

المطلب الأول: وسائل التواصل الاجتماعي لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي لغةً:

وسائل التواصل الاجتماعي مركب لفظي يتكون من ثلاثة كلمات لكل منها معناه الخاص في اللغة، فكلمة الأولى هي الوسائل وهي جمع وسيلة، ومعناها في اللغة: الوصلة والقربة، والواصل الراغب⁽¹⁴⁾. وهي ما يتَقَرَّبُ إِلَى الْغَيْرِ بِهِ مِنْ عَمَلٍ⁽¹⁵⁾ وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ⁽¹⁶⁾.

وأما الكلمة الثانية فهي التواصل وهي: مصدر للفعل تواصل وهو ضد الهجر والقطع⁽¹⁷⁾، ويأتي أيضاً بمعنى الجمع والاقتران، فيقال: وصلت الشيء بغيره وصللاً فاتصل به، وبينهما وصلة أي اتصال⁽¹⁸⁾.

والثالثة الاجتماعية ومعناها وهي نسبة إلى المصدر اجتماع، وفعله (اجتمع) ضدّ (تفرق) قال تعالى: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:88]، وتأتي أيضاً بمعنى الالتقاء قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف:20] ومنه سمي المسجد الجامع، ويوم الجمعة لاجتماع الناس فيه⁽¹⁹⁾.

(12) الشاطبي/ الموافقات ج2/ص20

(13) الماوردي / أدب الدين والدنيا ص136

(14) لسان العرب، مادة: وسل. (213/15). وتهذيب اللغة 48/13.

(15) لسان العرب 338/1.

(16) تاج العروس 75/31.

(17) لسان العرب، ابن منظور، ط1، 1414هـ، ص72.

(18) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت صيدا، ط5، 1999م، ج1، ص340.

(19) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص68.



ثانياً: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي اصطلاحاً:

تطلق في الاصطلاح ويراد بها: التقاء أفراد في مكان وزمان معينين؛ لتبادل وجهات النظر⁽²⁰⁾.

وتعرف أيضاً بأنها: "منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تتيح التفاعل بين الأشخاص حيث يشاركون أو يتبادلون المعلومات والأفكار في مجتمعات وشبكات افتراضية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع"⁽²¹⁾.

المطلب الثاني: زعزعة وسائل التواصل الاجتماعي للأمن الأسري:

ثمة أمور تهدد الأمن الأسري فيما يتعلق باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، تتمثل في الآتي:

1- الإدمان الإلكتروني وهو: "استغراق الإنسان معظم وقته في التعامل مع الإنترنت، بحيث ينسى القيام بواجباته وأمور حياته العادية ويصبح هاجساً له، أينما كان ولا يستطيع الاستغناء عنه"⁽²²⁾ فهذا الاستخدام المفرط القسري للشبكة المعلوماتية، على ما يشبه الإدمان⁽²³⁾ والعيش في بيئة افتراضية، وتخليهم عن بيئتهم الواقعية، ينتج تداعيات سلبية كسلوك الانحراف أو سوء الحالة النفسية والعزلة الاجتماعية والاعتراب الزوجي⁽²⁴⁾.

ومما ينتج عن سوء استخدام هذه المواقع:

1- الطلاق والتفكك والعنف الأسري بأشكاله والتنمر الإلكتروني والانحلال الأخلاقي والانحراف الثقافي⁽²⁵⁾.

2- من الآثار النفسية التي تسببها وسائل التواصل الاجتماعي: زيادة الشعور بالغيرة وعدم الثقة بين الأزواج، بالمقارنة وعدم الرضا بالحياة الزوجية⁽²⁶⁾.

3- نشر الخصوصيات واستغلال أحد الزوجين نشر الطرف الآخر خصوصيات الأسرة وأفرادها، مع غياب التشريع القانوني الذي يلزم الطرفين بضرورة الحفاظ على السرية التامة للحياة الأسرية وحمايتها

⁽²⁰⁾ زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، بحث منشور في مجلة التربية، جامعة عمان الأهلية، ص 23.

⁽²¹⁾ انظر: مقال بعنوان " وسائل التواصل الاجتماعي الإيجابيات والسلبيات" موقع الجزيرة 7/3/2023، ص 12 بحث بعنوان " مواجهة نشر الشائعات عبر شبكات التواصل الاجتماعي في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. بحث مقدم للمؤتمر العلمي السادس لكلية الحقوق جامعة طنطا المنعقد 22-23 أبريل 2019م. بعنوان القانون والشائعات. للباحثة رضا إبراهيم البيومي.

⁽²²⁾ أسماء فتح السيد علي، 2020، (ص 2553) الإدمان الإلكتروني لدى طلاب جامعة المنوفية وعلاقته بممارستهم للأنشطة الجامعية، ورقة بحثية منشورة بالمجلة التربوية، العدد السادس والسبعون، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة المنوفية.

⁽²³⁾ خالد العمار، 2014، ص 401) ادمان الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعة دمشق فرع درعا، ورقة بحثية بمجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد الأول.

⁽²⁴⁾ انظر: الهادي ورشيد 2021م، وبله 2021م.

⁽²⁵⁾ انظر: مهددات الأمن الأسري الناجمة عن الإدمان الإلكتروني للزوجين <رقية محمد أحمد هلال زهري، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) مجلد 15 عدد 2 يوليو 2023م ص 34.

⁽²⁶⁾ انظر المرجع السابق.



من العالم الإلكتروني، حيث يجري العمل في المحاكم بعد انتشار العديد من الحالات المماثلة، بأحكام تصل إلى «الطلاق للضرر» أو «إسقاط الحضانة»، نتيجة عدم احترام الاسرار الزوجية، وقد تسقط حضانة المرأة لعدم أمانها على الأطفال وقيامها بتصويرهم أثناء الرقص والاحتفالات أو في حالة ظهورهم بملابس غير مناسبة في مواقع التواصل الاجتماعي.⁽²⁷⁾

1- الخيانة الإلكترونية بالاستعمال الخاطئ لبرامج التواصل الاجتماعي، حيث يشكل وقوع الزوج أو الزوجة في فخ الخيانة الزوجية «طامة كبرى» في المحاكم الكويتية.

2- نشر تفاصيل الخلافات الزوجية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مما يجعلها جريمة يعاقب عليها القانون، لدخولها في حيز التشهير والقذف، حيث يلجأ البعض إلى نشر خلافاته القضائية التي يتخللها الكثير من الأمور الكيدية والضرر وتراشق الاتهامات، وقد تطرق المحامي نايف النيف لذلك، وأضاف أنه في تلك الحالات ينتمي بوقوع الزوجين تحت طائل قانون الجزاء وخاصة مادتيه (209 و210) اللتين تعاقبان كل شخص يرتكب أو يسند للآخر واقعة تستوجب العقاب أو تؤذي سمعة المجني عليه، أو في حالة قيام الجاني بسب المجني عليه على نحو يخدش شرفه أو اعتباره، وقد صدر قانون الجرائم الإلكترونية وتقنية المعلومات رقم 36 لسنة 2015، والذي يعاقب بالحبس أو الغرامة كل من يرتكب جريمة إلكترونية مثل السب والقذف والتشهير عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يضع الزوجين تحت المساءلة القانونية.⁽²⁸⁾

المطلب الثالث: ضوابط استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في تحقيق الأمن الأسري

ثمة عوامل تدفع الإنسان إلى سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بما يهدد الأمن الأسري، من هذه العوامل:

1-الهروب من المشاكل الزوجية والخلافات وعدم حلها.

2-إهمال الزوجة لزوجها نتيجة الأعباء المنزلية المضاعفة وسلبية الزوج بالحرمان من حاجاتها في العلاقة⁽²⁹⁾، والافتقار للإشباع العاطفي بين الزوجين، والرغبات الجنسية، والبحث عن تلبية حاجته في وسائل التواصل.

3-إهمال الوازع الديني والبحث عن المتعة والتغيير.

4-الفراغ وعدم الأنشطة المشتركة بينهما.

⁽²⁷⁾ انظر: مقال بعنوان: "نشر أسرار الحياة الزوجية على فيسبوك" إيمان الحكيم، اليوم السابع، 2024/7/8.

⁽²⁸⁾ حوار مع جريدة الأنباء الكويتية ت: 2017/8/26م.

⁽²⁹⁾ انظر: مهددات الأمن الأسري الناجمة عن الإدمان الإلكتروني للزوجين <رقية محمد أحمد هلال زهري، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) مجلد 15 عدد2 يوليو 2023م ص40.



5-محاولة الزوجة تسليع أسرتها وأبنائها، لتغطية احتياجاتها المادي وتعريض حياتها وبناتها لخطر الظهور على تلك المواقع، مما ينتج عنه التفكك الأسري والانحراف الديني والأخلاقي⁽³⁰⁾.

بعد عرض مهددات الأمن الأسري وعواقبه تحتم الآن بيان الضوابط الشرعية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تتمثل في الآتي:

أ-ضوابط في الزوجين:

1- استشعار الرقابة الإلهية التي تعول الشريعة عليها ابتداءً، إذ يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من استغلال غياب الرقابة في ارتكاب المحاذير الشرعية فيما رواه ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال بيضا فيجعلها الله هباءً منثورا" وقال في وصفهم: ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"⁽³¹⁾.

2- ألا تشغله هذه المواقع عمّا هو أهمُّ؛ كالعبادات، ورعاية الأبناء، وطاعة الأبوين، وطلب العلم النافع، وصلة الأرحام، وغيرها.

3- تجنب نشر الصور الشخصية، وصور أفراد الأسرة؛ وخاصة النساء والبنات ممّا قد يهتك الأستار، حين تتسرّب الصُّورُ، وتظهر الزوجات مُتبرّجات بزِينتهن، كما قد يقوم البعض بنشر صور الحفلات والأعراس، وفيها من العفيفات وكم أدّى هذا التصرّف إلى الخصومة وإلى الطلاق بين الأزواج.

4- وجود المسوغ الشرعي للتواصل بين الجنسين وعدم الخضوع في القول؛ بل إذا اقتضته مصلحة شرعية كطلب علم أو فتوى شرعية أو استشارة وفق الضوابط الشرعية⁽³²⁾: قال تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}⁽³³⁾.

5- عدم إظهار وتصوير مظاهر النعم من ملابس ومأكل وسفر وهدايا وطريقة التعامل الزوجي في وسائل التواصل الإلكتروني مما ينتج المقارنات والغيرة. قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ﴾⁽³⁴⁾، قال ابن تيمية- رحمه الله -: "يتناول النظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا...وذلك أنّ الله تعالى يمتّع بالصور كما يمتّع بالأموال، وكلاهما من زهرة الحياة الدنيا، وكلاهما يفتن أهله وأصحابه، وربما أفضى به إلى الهلاك دنيا وأخرى. والهلكى رجلان: فمستطيعٌ وعاجزٌ؛ فالعاجزُ مفتونٌ بالنظر ومدِّ العين إليه، والمستطيعُ مفتونٌ فيما أوتي منه، غارق قد أحاط به ما لا يستطيع إنقاذ نفسه منه"⁽³⁵⁾.

(30) المرجع السابق ص44

(31) أخرجه بن ماجه ج2/ص1418 حديث رقم 4245

(32) بيان أحكام وسائل التواصل الاجتماعي وضوابطها ونشر المعلومات والأخبار وتناقيلها عبرها بغرض الإنكار أو الإشاعة أو الإساءة (الدكتور محمد يونس الزعبي/ مفتي محافظة العاصمة. بحث منشور على موقع دار الإفتاء الأردنية

(33) [سورة الأحزاب: 32]

(34) طه 131

(35) مجموع الفتاوى (15/397).



6- عدم التخاطب العلني بين الزوجين في حسابات التواصل عن الخلافات الزوجية أو عيوب الزوجين وخصوصيات الأسرة مما يهتك حرمة الأسرة ويعرضهم للمساءلة القانونية. . فقد حثَّ الشرع على الستر والاستتار؛ لأنَّ أمور العباد الخاصة بهم مبنية على الستر؛ فلا يصح من أحد أن يكشف ستر الله عليه ولا على غيره؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ»⁽³⁶⁾. قال ابن عبد البر-رحمه الله- : [وفيه أيضاً ما يدل على أن الستر واجب على المسلم في خاصة نفسه إذا أتى فاحشة وواجب ذلك عليه أيضاً في غيره] ⁽³⁷⁾ اهـ.

7- غضَّ البصر عن مواقع النساء والرجال؛ قال تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم}⁽³⁸⁾.

ب-ضوابط في الاستخدام:

1- عدم استعمال مواقع التواصل للتجسس العكسي أو الاستعانة بالآخرين للإغراء والاختبار. قال تعالى {ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه}⁽³⁹⁾. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم⁽⁴⁰⁾ وهذا الحديث دليل على منع التجسس وطلب الغرة والتعرض لما فيه الفتنة وسوء الظن⁽⁴¹⁾.

2- عدم متابعة مواقع النسوية التي تحرض على قطع العلاقات الأسرية والتمركز حول الذات.

3- متابعة المواقع والدورات التدريبية التي تحقق الأمن الأسري من متخصصين موثوقين.

4- عند الحاجة للاستشارة في المنصات الإلكترونية ضرورة الاستيثاق من المنصة، وعرض المشكلة بسريّة. ولا يلجأ للأعلى إن أمكن دفعه بالأدنى، تعريضاً أو تصريحاً صوتاً بلا صورة وهكذا، والدخول باسم مستعار إن أمكن حفظاً لخصوصية الأسر.

5- دخول مجموعات الدعم الجمعي بحذر مع ستر الخصوصيات والاستفادة من الإيجابيات كالاستشارات الشرعية أو النفسية.

ج-ضوابط قانونية وتشريعية:

1- الإلزام بدورات تأهيلية للمقبلين على الزواج.

2- إنشاء خط ساخن تديره الدولة لتسوية المنازعات الأسرية، ضماناً للخصوصية وحفظاً للأسرة.

⁽³⁶⁾ أخرجه ابن ماجه 3/ 580، حديث رقم (2546) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

⁽³⁷⁾ في "التمهيد" (337/5)، ط. مؤسسة قرطبة

⁽³⁸⁾ سورة النور: 30.

⁽³⁹⁾ [سورة الحجرات: 12]

⁽⁴⁰⁾ أخرجه البخاري 5/2007، حديث رقم (4948).

⁽⁴¹⁾ شرح صحيح البخاري لابن بطال 13/ص372.



3- إطلاق وزارة الإعلام للحملات التوعوية.

4- استحداث قوانين تحمي الحياة الزوجية من انتهاك خصوصيتها وفق برامج التواصل الإلكتروني.

الخاتمة:

بعد أن بينت معنى الأمن الأسري ووسائل التواصل الاجتماعي، وذكرت علاقة الأمن الأسري بمقاصد الشريعة، وأثر الوسائل المشار إليها على الأمن الأسري سلبيًا وإيجابيًا، أستطيع التوصل إلى عدة نتائج وبعض التوصيات.

أولاً: النتائج:

1- الأمن الأسري عبارة عن حماية الزوجين والأبناء بشكل منظم ومستمر وفق الضوابط الشرعية، من كل خطر يهدد استقرار الأسرة ومنظومتها داخليًا وخارجيًا في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية والنفسية تحقيقًا لمقصودها من التماسك والسكن والإنتاج.

2- تحقيق الأمن الأسري من أهم المقاصد الشرعية في الحياة الزوجية، لما له من أثر في استقرار الحياة الزوجية، ومفهومه راجع لتحقيق المقاصد الكلية الخمسة في الأسرة، فحفظ الدين في الأمن الديني والجانب الأخلاقي للأسرة، وحفظ العرض في الأمن الأسري بتحقيق إعفاف الزوجة والاشباع العاطفي بين الزوجين، وحفظ العقل النفس والمال بالأمن الاقتصادي للأسرة، وحفظ العقل بصيانة الأسرة أخلاقيا.

3- الاستخدام الخاطئ وغير المنضبط لوسائل التواصل الاجتماعي يؤثر على خصوصية الحياة الزوجية، ويسبب الفرقة بين الزوجين، وينتج عنه آثارًا سلبية على الأولاد من الناحية التربوية والأخلاقية والدينية.

4- استعمال وسائل التواصل الاجتماعي يعترضها الأحكام التكليفية الخمسة بحسب ما توصلت إليه واستعملت فيه فللوسائل احكام المقاصد، ويجب ان يحكم هذه الوسائل ضوابط شرعية حال استعمالها بين الجنسين.

5- أن الشريعة الإسلامية لا تقف عائقا أمام تطور التقني، بل تحث على التأصيل لها في التشريع الإسلامي والدعوة إلى العمل بها فيما يفيد الأمة بما يدرأ عنها المفسدة ويجلب لها المصلحة.

ثانياً: التوصيات:

1- القيام بحملات توعوية، ودورات تدريبية؛ لتبصير الأسر بأهمية ترشيد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وفقاً للضوابط الشرعية والقانونية.



2- جمع قضايا ومشاكل الأسرة المعاصرة وتقديم حلولها في كافة الجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

3- عقد المؤتمرات للدول المسلمة كافة مجتمعة تحت شعار محاربة مفاصل وسائل التواصل الاجتماعي والوقوف ضد انتشارها وتوسعها في المجتمعات والوقوف ضد انتشارها وتوسعها في المجتمعات.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن بطال، شرح البخاري، مكتبة الرشد-الرياض 2003م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
- ابن ماجه، السنن، دار إحياء التراث، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- أبو داود، السنن، ط المكتبة العصرية ت: محمد محي الدين عبد الحميد.
- أحمد بن فارس/ مقاييس اللغة، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- أسماء فتح السيد علي، الإدمان الإلكتروني لدى طلاب جامعة المنوفية وعلاقته بممارستهم للأنشطة الجامعية، ورقة بحثية منشورة بالمجلة التربوية، العدد السادس والسبعون، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة المنوفية، 2020م.
- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، 1412هـ.
- بحث بعنوان "مواجهة نشر الشائعات عبر شبكات التواصل الاجتماعي في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.
- بحث بعنوان: بيان أحكام وسائل التواصل الاجتماعي وضوابطها ونشر المعلومات والأخبار وتناقضها عبرها بغرض الإنكار أو الإشاعة أو الإساءة (*)، الدكتور محمد يونس الزعبي/ مفتي محافظة العاصمة. منشور على موقع دائرة الإفتاء الأردنية.
- البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي/ الأشباه والنظائر: (54/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1991م.
- الترمذي، السنن، ط الرسالة 2009م.
- الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- حوار مع جريدة الأنباء الكويتية ت: 2017/8/26م.
- خالد العمار، 2014، ص 401 إدمان الشابكة المعلوماتية (الانترنت) وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعة دمشق فرع درعا، ورقة بحثية بمجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد الأول.
- الرازي، مختار الصحاح الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، العصرية- بيروت 1999م.



- رقية محمد أحمد هلال زهري، مهددات الأمن الأسري الناجمة عن الإدمان الإلكتروني للزوجين، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) مجلد 15 عدد2 يوليو 2023م.
- زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، بحث منشور في مجلة التربية، جامعة عمان الأهلية.
- سماح جودة علي وهبة، الأمن الأسري وعلاقته بالتنمر المدرسي لدي طلاب المرحلة الإعدادية، ورقية بحثية منشورة بمجلة البحوث في التربية النوعية، المجلد السابع، العدد 36، كلية التربية النوعية جامعة المنيا، 2021م.
- الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان 1997م.
- شاهه ناهي العلاطي، الأحكام الفقهية المتعلقة بالسياسة الشرعية في وسائل التواصل الاجتماعي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2017م.
- طه أحمد الزيدي، الضوابط الشرعية في استخدام مواقع التواصل والألعاب الإلكترونية، من إصدارات المجمع الفقهي العراقي، 2018م.
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.
- لسان العرب، بن منظور، ط1، 1414هـ.
- الماوردي أدب الدين والدنيا، مكتبة الحياة، بدون طبعة.
- محمد الطاهر بن عاشور/ مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ٢٥ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي/ تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي/ تاج العروس من جواهر القاموس، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.
- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت صيدا، ط5، 1999م.
- مروه ناجح البعول وسميرة عبد الله الرفاعي، مقومات الأمن الأسري من منظور تربوي إسلامي ودرجة تحققه لدى العاملات في جامعة اليرموك، ورقة بحثية بمجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية المجلد 29 العدد2 قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، 1955م.
- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، القاهرة 1972م.
- المغرب في ترتيب المعرب 1979 م ت: فاخوري، (1/129).



Religious communication between Islam and the West

Yassin Bourmadan

PhD researcher at Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Faculty of Sharia and Law, Morocco

Received: 6/7/2024

Revised: 6/8/2024

Accepted: 15/10/2024

Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
: dr.abeeralshahab@gmail.com

Citation: Bourmadan, Yassin (2025). Religious communication between Islam and the West. *Dalail Journal of Humanities*, 1 (2).

Abstract:

his research paper addresses the topic of religious communication between Islam and the West, examining the main issues that hinder this communication and lead to tensions between the two civilizations. The study begins with a critical analysis of Samuel Huntington's "Clash of Civilizations" theory and discusses its impact on contemporary Western thought towards Islam. The paper also reviews different perspectives of Muslim and Western thinkers on the causes of existing tension between the Islamic and Western worlds.

The study aims to highlight the importance of constructive dialogue and mutual understanding as an alternative to theories of clash and conflict. The paper also suggests ways to enhance positive communication between the two cultures, focusing on the role of religion in building bridges of understanding and promoting peaceful coexistence.

The study concludes by emphasizing the importance of overcoming stereotypes and preconceptions, and the necessity of building a shared vision based on mutual respect and common human values, which contributes to achieving effective religious and cultural communication between Islam and the West.

Keywords: Islam, the West, religious communication, the clash of civilizations, interfaith dialogue, peaceful coexistence.

الاستشهاد المرجعي:

بورمضان، ياسين (2025 فبراير)
التواصل الديني بين الإسلام
والغرب، مجلة دلائل للعلوم
الإنسانية، عدد 2. مجلد 1.

التواصل الديني بين الإسلام والغرب

الباحث ياسين بورمضان

باحث دكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الشريعة و القانون، المغرب

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية موضوع التواصل الديني بين الإسلام والغرب، مستعرضة الإشكاليات الرئيسية التي تعيق هذا التواصل وتؤدي إلى توتر بين الحضارتين. تبدأ الدراسة بتحليل نقدي لنظرية "صدام الحضارات" لصامويل هنتنغتون، وتناقش تأثيرها على الفكر الغربي المعاصر تجاه الإسلام. كما تستعرض الورقة وجهات النظر المختلفة للمفكرين المسلمين والغربيين حول أسباب التوتر القائم بين العالمين الإسلامي والغربي.

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية الحوار البناء والتفاهم المتبادل كبديل عن نظريات الصدام والصراع. كما تقترح الورقة سبلاً لتعزيز التواصل الإيجابي بين الثقافتين، مع التركيز على دور الدين في بناء جسور التفاهم وتعزيز التعايش السلمي.

تخلص الدراسة إلى أهمية تجاوز الصور النمطية والأحكام المسبقة، وضرورة بناء رؤية مشتركة قائمة على الاحترام المتبادل والقيم الإنسانية المشتركة، مما يساهم في تحقيق تواصل ديني وثقافي فعال بين الإسلام والغرب.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الغرب، التواصل الديني، صدام الحضارات، حوار الأديان، التعايش السلمي.



© 2025 Publishers/ the International Foundation of Beacons of Intellect / Research team: Education, Languages, and Cultures, Moulay Ismail University, Morocco. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC-ND) license <https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>



مقدمة:

يتبادل المفكرون المسلمون والمفكرون الغربيون اتهامات حول من المسؤول عن التوتر القائم بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، فينطلق الغرب من نظرية صدام الحضارات القائمة على فكرة مفادها أن الإسلام عامة واستغلال الدين في السياسة من طرف الحركات الدينية المتطرفة خاصة هو السبب الرئيس للصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية، في حين يتهم المسلمون الغربيين بأنهم كانوا وراء جميع الحروب التي شهدها التاريخ منذ القدم ولا زالت مستمرة إلى اليوم، بينما الإسلام بريء من هذه الاتهامات.

المطلب الأول: نظرية صدام الحضارات

ينطلق أصحاب هذه النظرية من أساس كراهية الإسلام للديانات الأخرى، وأن العالم الإسلامي يستغل عامل الدين في إثارة الصراع مع العالم الغربي، عن طريق الحركات الأصولية التي تسعى إلى ملء الهوة الحاصلة بين الهوية الاجتماعية والسياسية لدى الشعوب المسلمة. ونجد صامويل هانتنجتون يقول في هذا الصدد: "وكما يحدد الناس هويتهم وفقا لمعايير عرقية ودينية، فمن المرجح أن ينظروا إلى علاقة "نحن" مقابل "هم"، تقوم بينهم وبين أصحاب ديانة أو عرق مختلف، وسمح انتهاء الدول الإيديولوجية في شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي السابق بأن تحتل العداوات والهويات العرقية صفوف المقدمة، وتخلق الاختلافات في الثقافات والدين خلافات حول قضايا السياسة"¹.

إن هاجس الخوف من الدين، ومن الإسلام خاصة، هو أهم الأسباب التي دفعت صمويل هانتنجتون وغيره إلى بسط النظرة التشاؤمية القائمة على الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية، زد على ذلك صعود اليمين المتطرف إلى مراكز القرار السياسي كما حدث في فرنسا مثلا، ويؤكد هذا الرأي الباحث هشام المكي حيث قال: "ويوازي نجاح أحزاب اليمين المتطرف، تنامي موجة الكراهية للإسلام والمسلمين، وهو ما يظهر كشكل دفاعي، ناتج عن خوف كبير من الإسلام أو المسلمين (إسلاموفوبيا) نتيجة ما يروج له الإعلام الغربي من ارتباط الإرهاب بالمسلمين، وهو الخوف المتنامي ليس في أوروبا وحدها، بل وفي العالم الغربي بأسره"²، وفي قراءته للتقرير الذي أصدره مركز الأبحاث الأمريكي "بيو" بتاريخ ال اربع من أبريل 2014، حول التعددية الدينية في العالم، يقول الباحث: "واللافت في التقرير، أنه ينسف كل ما يفتخر به المسلمون من تسامح ديني، وقبول للديانات الأخرى واحترامها، وذلك بتصنيفه معظم الدول الإسلامية ضمن مجموعة الدول ذات تعددية دينية منخفضة"³. ولعل مثل هذه التقارير تنحو نفس منحى الاتجاه

¹ صمويل بي هانتنجتون، الإسلام والغرب آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص 19.

² هشام المكي، عن مستقبل الإسلام في الغرب، مجلة المنتدى، منتدى العلاقات العربية والدولية، العدد الأول، ربيع 2015، ص 70.

³ نفس المرجع، ص 71.



القائل بعدوانية العلاقة بين الإسلام والغرب، بل أكثر من ذلك، ونظرا لكونها تحظى بالمصداقية العلمية فإنها تركز هذه النظرية لدى المهتمين والباحثين.

ويأتي هذا التقرير بعد ثلاث وعشرين سنة من صدور تقرير مماثل عن مجلس الأمن القومي الأمريكي سنة 1991، الذي دعا إلى محاربة خطورة الإسلام من خلال تدابير وخطط منها إشعال الحروب بين المسلمين لإضعافهم، وضرورة تغيير الحكومات الإسلامية مع منع العناصر الإسلامية من الوصول إلى الحكم، ثم خلق عداوات بين التيارات الإسلامية المتعددة وإقحام الدول التي لها فكر إسلامي مثل باكستان والسودان في خلافات ومشاكل⁴.

وكتبرير لهذا التحاقن الحاصل بين الإسلام والغرب يقول هنتنجن: "أسباب هذا النمط من الصراع لا تكمن في ظاهرة انتقالية مثل العاطفة المسيحية في القرن الثاني عشر، أو الأصولية الإسلامية في القرن العشرين، إنها تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليهما. الصراع كان من ناحية نتيجة الاختلاف، خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز ويربط بين الدين والسياسة، ضد المفهوم المسيحي الذي يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر"⁵. وهو بهذا لا يخفي موقفه من الإسلام ويصفه بالرجعية وأنه أصبح متجاوزا، ويحمل الدين، وخاصة الإسلام، مسؤولية الصدام الحاصل بين الحضارتين. وقال هنتنجن: "العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثوذكسية أو الغربية كانت عاصفة غالبا، كلاهما كان الآخر بالنسبة للآخر، صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية"⁶.

وهناك من يرى في هذه المقولة أنها لا تعبر عن الواقع الحقيقي للعالم اليوم، وأن أصل الصراع سياسي وليس دينيا عقديا، حيث يكشف لنا الواقع أن كثيرون من ظواهر الصراع والصدام لا ترجع بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في الانتماء الديني والحضاري، بل يعود إلى قاعدة سياسية اقتصادية. كما أنها تدفع باتجاه صناعة أري غربي يرفض التعايش، وهذا يؤدي بدوره إلى اتخاذ مواقف مجتمعية غريبة من المهاجرين من الشعوب والأمم الأخرى، الذين يعيشون في الغرب⁷.

لم يكن هانتنجن الوحيد الذي اختزل علاقة الغرب والإسلام في الصراع والصدام، بل هناك العديد من الباحثين والمفكرين الغربيين وغير الغربيين ممن سبقوه إلى هذا الطرح أو جاؤوا بعده ليؤكدوه، ومنهم المفكر الأمريكي ريتشارد نيكسون الذي قال: "إن الإسلام والغرب متضادان، وإن الإسلام سوف يصبح

⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، دار الفكر، طبعة 2017، ص 48.

⁵ صمويل هانتنجن، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، دار النشر غير محددة، الطبعة الثانية 1999م، ص 341.

⁶ نفس المرجع، ص 338.

⁷ محمد محفوظ الإسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998، ص 133-134.



قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة، وأنهم يوحّدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو لمواجهة الخطر العدواني للعالم الإسلامي"⁸. وما قاله وزير خارجية بريطانيا الأسبق روبن كوك: "إن بعض الناس يقولون إن الغرب بحاجة إلى عدو، وما دامت الحرب الباردة قد انتهت، فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفييتي القديم، وسيصبح هو العدو"⁹. وفي الاتجاه نفسه نجد برنار لويس، الذي يجعل كحجر الزاوية في فكرته عن الإسلام فكرة عداة الإسلام للمسيحية ورفضه لغيره من الثقافات والأديان الأخرى، وخاصة المسيحية واليهودية، وهو يعتمد أن يصدم القارئ الغربي بلاءات ثلاثة: لا اعتراف ولا تعايش ولا تعامل مع المسلمين¹⁰.

إن الدافع الذي جعل هؤلاء يطلقون أصواتهم بالتحذير من الصراع القادم بين الإسلام والغرب هو خوفهم من الإسلام نفسه ومن سرعة انتشاره والقواعد السمحة التي بني عليها خصوصا دعوته إلى التسامح والتعايش، والعدل السياسي والاجتماعي، وهذه الفوبيا تصيهم بالأساس خوفا على الديمقراطية الغربية وأرسمالية السوق¹¹ من جهة، وعلى الحضارة الغربية من جهة أخرى، حيث جسدت أوروبا هذا الخطر في نسيج حياتها وتمثلته بعصبية معادية لكل ما هو إسلامي¹².

المطلب الثاني: علاقة الإسلام والغرب من منظور عربي إسلامي

ونجد نفس التصور للعلاقة الإسلامية الغربية عند مفكرين عرب ومسلمين، لكن من زاوية مختلفة، إذ يوجهون الاتهام للغرب بكونهم هم مصدر العداوة والصدام بين الإسلام والغرب، منذ تشكل "المسألة الصليبية" والاستعمارية في الغرب في نظام سياسي وديني معادها جسده الإطاحة بالمشروع الإسلامي العالمي من جذوره¹³. حيث يقول الباحث اللبناني أمين معلول:

"إنه لا يمكن في عالم إسلامي معتدى عليه أبدا أن نمنع بروز شعور بالاضطهاد يتخذ عند بعضهم شكل وسواس خطر... فإنه واضح أن الشرق العربي لا يزال يرى في الغرب عدوا طبيعيا. وكل عمل عدائي ضده، سواء أكان سياسيا أم عسكريا أم بتروليا، ليس سوى ثأر شرعي. ولا يمكن الشك في أن الصدع بين هذين العالمين يعود تاريخه إلى الحروب الصليبية التي يشعر العرب، بأنها إلى اليوم أيضا، انتهاك واغتصاب"¹⁴.

⁸ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة أحمد صدقي مراد، طبعة القاهرة 1992م، ص 153-152-141-138-28.

⁹محمد بن عبد الله السلومي، الإسلام والغرب بين المنافسة والصراع: رؤية مستقبلية للواقع العربي والإسلامي وعلاقته بالآخر، مركز الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1438هـ/2017م، ص 139.

¹⁰برنارد لويس، أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ترجمة محمد عناني، مطبعة سطور الأولى، 2003م، ص 16-17.

¹¹السيد أحمد فراج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004م، ص 9.

¹²سمير سليمان الإسلام والغرب إشكالية التعايش والصراع، سلسلة كتاب التوحيد، العدد الثاني، 1998م، ص 21.

¹³نفس المرجع، ص 213.

¹⁴أمين معلول الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، دار الفرابي بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1998م، ص 328.



ويقول في كتاب "غرق الحضارات": "قيل في غسق القرن العشرين، إن العالم سيشهد من الآن فصاعدا صداما بين الحضارات، ولا سيما بين الأديان، ولم تكذب الأحداث تلك النبوءة التي يكتنفها التشاؤم. ولقد أخطأنا الظن بشدة حين افترضنا أن هذا "الصدام" بين مختلف المناطق الثقافية سيعزز اللحمة داخل كل منها. فما حدث هو عكس ذلك. والبشرية لا تتسم اليوم بنزعة للتجمع في مجموعات واسعة جدا، بل تنزع نحو التفتت، والتشردم، وغالبا ما يحصل ذلك وسط العنف والقسوة"¹⁵. وهنا يؤكد الكاتب نظرية صدام الحضارات القائمة أساسا على الصراع بين الأديان، وأنه قد أصبح من المستحيل تحقيق مبدأ التعايش بين المجتمعات والشعوب، حيث سيؤسود العنف والحروب، فهو لا يخفي تحسره على فقدان تصور كوني ساد لفترة طويلة مؤداه أنه يمكن لجماعات من أعراق وأقوام وديانات مختلفة أن تتعايش في ظل كيان سياسي واحد.

فحتى في البلدان والمناطق التي يطغى فيها الإسلام حسب رأي الكاتب، يعامل أتباع الديانات الأخرى بالنبذ والاضطهاد، وفي البلدان المسيحية يتسم الموقف إزاء الإسلام بالريبة، وكذلك الوضع بالنسبة للعلاقة بين المسلمين واليهود¹⁶.

المطلب الثالث: الإسلام والغرب وترسيخ ثقافة التعايش والتواصل الديني

يتفق العديد من الباحثين على أن التعايش ضرورة إنسانية حياتية، وأنه أداة لربط الجسور بين المجتمعات البشرية التواقفة إلى العيش بأمن وسلام، لذا أصبح العالم اليوم بحاجة إلى تأسيس علاقات جديدة تقوم على أساس التعاون والتعايش السلمي مع طمس معالم الصراع والعنف ومخلفات التاريخ المظلم من ذاكرة الشعوب.

وفي هذا الاتجاه برزت العديد من الآراء والكتابات التي تفند نظرية صدام الحضارات والتي تعتبر الإسلام خطرا على باقي الحضارات وخصوصا على الغرب، دون قراءة صحيحة لحقيقة الإسلام الذي أسهم في ظهور الحداثة الأوروبية، ودعوته الصريحة إلى التعايش والتعارف من خلال القرآن والسنة وكتابات مفكره الداعية إلى الحوار والتعايش الديني، ومناهضة الفكر المتطرف، وقبول الديمقراطية وعدم الخلط بين الإسلام والإسلام السياسي، عكس تيار المتشددين الإسلاميين الذين يقدمون صورة مضادة خاطئة عن الإسلام. فهم يرفضون تعددية مرجعيات الهويات والتعبير عن التنوع الاجتماعي، ويسعون إلى إلغاء قرون من التبادل بين الشرق والغرب، وبين الإسلام وأوروبا.

إن ما ينسب إلى الأديان من عنف، وما ارتكب باسمها قديما أو حديثا، حسب العديد من المتخصصين في علم مقارنة الأديان، لا يعدو أن يكون قراءة معينة للنص الديني وتأويل له، لأنه لا يعقل أن يكون الدين بكل خطاباته التي تدعو إلى السلم والحب والخير والتعايش، سببا في اقتتال أتباعه، وتصفية من يخالفهم في العقيدة، والدين الإسلامي خير دليل على ذلك، لأنه لا ينكر الأديان الأخرى، بل يشجع التعايش معها في

¹⁵ أمين معلول، غرق الحضارات، ترجمة نهلة بيضون، دار الفرابي بيروت لبنان، الطبعة الأولى أيلول/سبتمبر 2019، ص 239.

¹⁶ أمين معلول غرق الحضارات، مرجع سابق، ص 75.



أمان وسلام ، فقد عقد الرسول – صلى الله عليه وسلم – العهود والمواثيق مع اليهود، التي تضع أسس العيش المشترك، كما أن الدين المسيحي لم يختر المحبة كشعار رئيس له عبثاً، فالإنجيل يزخر بالتعاليم التي تلزم المسيحيين بالتعامل مع بقية الأديان الأخرى بالمحبة والتسامح، وعدم نبذ الآخر المختلف عقيدة ولونا وشكلاً¹⁷.

وبالتسليم بسماحة الدين الإسلامي، وحتى المسيحية، وحثهما على زرع المحبة والسلام وقبول الآخر، فإن الخلل حسب الباحث المغربي خالد شيات يكمن في التفسير الخاطئ لتاريخ الصراع وإنشاء صورة نمطية تقليدية عن الإسلام مختزلة في العنف، مما لا يسمح بالتمييز بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية المتعالية، فيقول: "يتم بناء الإسلاموفوبيا من خلال سلسلة من المغالطات، الأولى هي استيعاب كل الممارسات الدينية في الإسلام العنيف والقديم، ويبدو واضحاً أن هناك أزمة في تشكيل الثقافة "الغربية"، الثقافة هنا حسب طرح "هنتغتون"، والتي لم تستوعب فترات تاريخية، باعتبارها منضبطة في مفهوم الصراع التقليدي حول الريادة، وهو أمر لا يمكن اختزاله في العداء للإسلام، حيث إن الحرب كانت ولمدة طويلة، بين المسيحيين فيما بينهم، أو حتى بين المسلمين، اتجاهات ومذاهب وطوائف، فيما بينهم. لقد تشكل وعي خاطئ يبني تفسيراته على التاريخ، وينهل من الصراع مدعياً واقعية في التحليل، لكن يبدو أن الخلل في "الأنا" المتضخمة لـ "الغرب" في نموذج تعليمي أو ربما مستوى التنشئة العام اجتماعياً وسياسياً الذي يتنافى مع قيمة العيش المشترك، والتي تخول شرعية البحث عن مكامن التنافي والتضاد بين الاتجاهات المنتسبة إلى الثقافة الغربية، وتلك المنتسبة إلى ثقافة إسلامية"¹⁸.

ويصبو العالم اليوم إلى تحقيق التعايش السلمي بين الدول والشعوب وخاصة بين الدول الإسلامية والغرب، ويعول في ذلك على المنظمات الدولية والإقليمية، وهي التي تعمل على تنظيم التقارب بين الفاعلين الدوليين وبين المنظمات الدولية أو الإقليمية بما فيها المنظمات التي تقوم بغرض تعزيز روابط الإخاء الديني¹⁹. وتعالى أصوات غربية تدعو إلى وقف العنف بكل أشكاله، وتدعو إلى استتباب السلم والأمن العالميين، وإذكاء روح التعاون بين الشعوب، فنجد مثلاً المفكر الفرنسي "جاك ماريان" ينادي بالتفاعل الإيجابي بين شعوب العالم، فيقول: "على كل شعب أن يجاهد لكي يفهم نفسية الشعوب الأخرى وتطورها وتقاليدها وحاجاتها المادية والمعنوية، ويعترف بك أزماتها ودورها التاريخي"²⁰.

¹⁷ سعيدة شريف، كلمة العدد في مجلة ذوات: التعايش الديني رهان التعددية والهوية الجامعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد 58، سنة 2019، ص 4.

¹⁸ خالد الشيات، استرجاع الهويات ومستقبل التعايش، مجلة ذوات: التعايش الديني رهان التعددية والهوية الجامعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد 58، سنة 2019، ص 47.

¹⁹ محمد سويبي، محمد كاي، آفاق جديدة للمنظمات الدولية في تحقيق التعايش الحضاري وتحسين العلاقات الدولية وأد مظاهر الصراع والتحديات، أطروحات التعايش والصراع ما بين الحضارات ومستقبل العلاقات الدولية في ظل تحديات القرن 21، المركز العالمي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا برلين، 2021، الجزء الثاني، ص 130.

²⁰ صالح بن عبد الرحمان الحصين، رؤى تأصيلية في طريق الحرية، مؤسسة الوقف الإسلامي الرياض، 1437هـ، ص 161.



المطلب الرابع: الانعكاسات الاجتماعية والثقافية للتواصل الديني الإيجابي

يرتبط التعايش الديني ببعدين أساسيين، يتعلق الأول بالبعد الاجتماعي من منطلق الطبيعة الإنسانية الاجتماعية والأصول التاريخية للعيش المشترك، كما كان ذلك في صحيفة المدينة التي كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، والأوس والخزرج واليهود والمشركون الباقين بالمدينة²¹، حيث تنص على أنهم أمة واحدة، وعلى حرية اعتناق الدين وممارسة التدين، حيث أقرت أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم²². وبصالح الحديدية²³، التي اتخذت من السلم الاجتماعي أساسا لبناء العلاقات الاجتماعية. ويتمثل البعد الثاني في البعد الثقافي باعتباره الطريق المؤدية إلى السلم الاجتماعي، لكون الثقافة هي مجموعة من الأنماط السلوكية لمجموعة من الناس، تؤثر في سلوك الفرد الموجود في تلك المجموعة، أو لكونها النسيج الكلي من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات والقيم وأنماط التفكير والعمل والسلوك، وما ينبني عليها من تجديرات أو ابتكارات أو وسائل في حياة الناس²⁴.

الفرع الأول: البعد الاجتماعي للتعايش والتواصل الديني

يعتبر التعايش الديني آلية أساسية لخلق مساحات أوسع من التسامح مع الآخر وتحقيق السلم المجتمعي في إطار المشترك الإنساني، كما يعد جزءا من التحولات القيمية التي تعيشها المجتمعات، حيث ينخرط ضمن دينامية اجتماعية تسائل الأفراد عن مدى قبولهم أو رفضهم للتعددية الدينية²⁵. فهو إذن في بعده الاجتماعي توصيف للحالة الاجتماعية والقيم التي ينبغي تعزيزها في المجتمعات لمواجهة التفرقة والصراع وتقوية أواصر النسيج الاجتماعي وتعزيز القيم الإنسانية المطلوبة لذلك²⁶. ولتحقيق هذه الأهداف المجتمعية انطلاقا من ترسيخ مبدأ التعايش الديني والسلمي في المجتمعات، لا بد من توفر عدة شروط نذكر منها²⁷:

²¹شكري ناصر عبد الحسن، وثيقة المدينة دراسة في التأصيل الدستوري في الإسلام، مجموعة مؤلفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 2014م، ص 72-73.

²²محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطبعة العاشرة 1411هـ/1991م، ص 223.

²³يندرج هذا الصلح ضمن أهم المعاهدات الدبلوماسية التي عرفها التاريخ، وأرقى صيغ التعايش والمهادنة بين المسلمين وغيرهم. كان ذلك في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة لما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرا ولا يريد حربا، نفس المرجع، ص 339.

²⁴عباس، علاء صاحب عسكر، نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، dar ghaidaa، ط 2010، ص 106.

²⁵محمد قنفودي، التعايش الديني: انتقال مجتمعي وعبور نحو المدنية، مجلة ذوات the what، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد 58 عام 2019، ص 13.

²⁶فايد محمد سعيد، التعايش والتعارف في الإسلام، مرجع سابق، ص 135.

²⁷أحمد الشقيري الديني، الإسلام وشروط تحقيق التعايش السلمي، جريدة هسبريس الالكترونية، السبت 02 ماي 2015 على الساعة 12:13، تاريخ الاطلاع: الثلاثاء 08 فبراير 2022 على الساعة 00:16، الرابط <https://www.hespress.com>



- المساواة أمام القانون لكافة المواطنين بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العرق أو الدين أو الموقع الاجتماعي. فنجد معظم دساتير العالم تنص على مساواة الجميع أمام القانون²⁸، وأن هذا الأخير يحفظ الحريات ويصون الحقوق الأساسية للمواطنين والمواطنات، وفي المقابل نجد بعض الممارسات الخاطئة المرتبطة بالأعراف والعادات أو للفهم الخاطئ للدين²⁹.
- احترام عقيدة وثقافة الأغلبية، وعدم التعرض لها بالاستفزاز أو التهمك أو الاستهزاء.
- احترام حرية الرأي³⁰ وحرية النقد، وتشجيع لغة الحوار والتسامح وثقافة الاختلاف بين مكونات المجتمع الواحد، وتجريم القذف والسب أو الاستهزاء بأي وسيلة كانت من وسائل التواصل والإبداع.
- عدم المس بالرموز الدينية أو الوطنية في الفضاءات العامة ووسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي³¹.
- السماح بانتقاد الأديان والرموز الدينية والوطنية في الفضاءات الخاصة، مثل الندوات العلمية أو مراكز البحث المتخصصة أو أثناء الدرس الجامعي، شريطة أن يبتعد النقد عن الخوض في الأعراض أو الاستهزاء والتهمك.
- احترام حقوق الأقليات الدينية واللغوية والعرقية، وفسح المجال لتدريسها في شعب خاصة، وإيجاد الفضاءات الملائمة لتمثل تلك الحقوق، مثل المدارس ودور العبادة وقنوات إعلامية خاصة وغيرها.
- تجريم "التكفير" إلا أن يكون صادرا عن هيئة علمية وقضائية معترف بها من طرف الدولة.
- تقليص الفوارق الطبقيّة من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والإحسان للفقراء والمساكين والاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة.
- إقامة العدل بين الناس، وتحقيق نظام ديمقراطي يوفر تكافؤ الفرص لكافة شرائح المجتمع.
- نقل هذه الشروط بعد تحقيقها على المستوى القطري، إلى المستوى الدولي لأننا اليوم نقلنا جميعا مركبة صغيرة، هي هذا الكوكب، إذا لم نحقق شروط العيش المشترك، فلن يكون البديل إلا مزيدا من المآسي والحروب وتهجير الملايين وانتعاش الإرهاب والاقتتال أو الهرج بالتعبير النبوي.

²⁸الفصل 6 من دستور المملكة المغربية 2011: "القانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة والجميع، أشخاصا ذاتيين أو اعتباريين، بما فهم السلطات العمومية، متساوون أمامه، وملزمون بالامتثال له..."

²⁹فايد محمد سعيد، التعايش والتعارف في الإسلام، مرجع سابق ص 145.

³⁰الفصل 25 من دستور المملكة المغربية 2011: "حرية الفكر والرأي والتعبير مكفولة بكل أشكالها، حرية الإبداع والنشر والعرض في مجالات الأدب والفن والبحث العلمي والتقني مضمونة."

³¹الفصل 223 من القانون الجنائي المغربي: "من تعمد إتلاف بنايات وأثار أو أي شيء مما يستخدم في عبادة ما، أو خرب ذلك أو لوته، يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى 3 سنوات وغرامة من مائتين إلى خمسمائة درهم. المملكة المغربية، وزارة العدل، مجموعة القانون الجنائي وفق آخر تعديلات القانون رقم 103.13 المتعلق بمحاربة العنف ضد النساء مارس 2018، ص 61.



إن تحقق هذه الشروط، سيفضي أولاً إلى التعايش الداخلي بين أبناء المجتمع الواحد كقيمة إنسانية مطلوبة في جميع المجتمعات، وثانياً إلى المواطنة الإيجابية³² المعززة للتعايش في ظل التنوع الاجتماعي، ثم ثالثاً إلى المواطنة العالمية التي هي الممارسات التي تطمح للتأثير بطريقة إيجابية على الحياة الاجتماعية والسياسية والمؤسسات المرتبطة بها خارج الحدود الوطنية لصاحب ذلك التأثير³³.

وللتعايش إذن أهمية كبرى في حياة المواطنين والمجتمعات، فيه تذلل الصعاب، وتيسر سبل التعاون وتحرز المنافع للفرد والمجتمع، كما أن التعايش يرسى قواعد الأمن والاستقرار في المجتمعات، فتصرف جهود أصحابها إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع، لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره، فما من حضارة أقامها الإنسان إلا وكان أساسها الأمن والاستقرار على جميع المستويات وفي مختلف المجالات³⁴. كما أن التعايش يؤدي إلى التكافل الاجتماعي ليس في جانبه المادي فحسب، بل يشمل جميع حاجيات المجتمع المادية والمعنوية، وفي هذا الصدد يقول فاروق حمادة: "إن الخلق عيال الله؛ فهو الذي يرزقهم، فمن كان ناصحاً للخلق، ساعياً في منافعهم، ميسراً لحاجاتهم، ساهراً على راحتهم، كان قريباً من الله، محبوباً عنده، مثلاً يحتذى، وإماماً يقتدى. فإذا كثر هذا الصنف في الناس فقد ظهر مجتمع الجسد الواحد الذي تتساند فيه وتتعاوض جميع أطرافه"³⁵.

ويبقى التعايش الديني في الإسلام أسمى أشكال التعايش الذي تسنه كل القوانين وتدعو إليه كل النظريات، فالإسلام يعترف بالتسامح الديني الذي يتيسر معه التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، فيكفل لغير المسلمين حقوقهم في حفظ كرامتهم، وحرية ممارسة عقائدهم، واحترام مقدساتهم، بالإضافة إلى حق اندماجهم في المجتمع، إذ يمارسون حياتهم ومعاملاتهم بحرية دون حجر أو تقييد. كما قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) سورة الممتحنة: 8³⁶.

فقد كانت لهم الحرية التامة في التنقل والحركة وممارسة أي نوع من أنواع التجارة والنشاطات الاجتماعية المختلفة³⁷. ويدعو إلى السلم قبل الحرب كما في قوله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الأنفال: 62³⁸، وجاء في تفسير المراغي: "وإذا كان السلم هو المقصد الأول لا الحرب، أكده بقوله: (وإن جنحوا للسلم)، أي وإن مال العدو عن جانب الحرب إلى جانب السلم ولم يعز

³²فايد محمد سعيد، التعايش والتعارف في الإسلام، مرجع سابق، ص 141.

³³فايد محمد سعيد، التعايش والتعارف في الإسلام، مرجع سابق ص 142.

³⁴رشيدة عبد السلام بوخبة، التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد 4، العدد 1، كانون الثاني يناير 2018م، ط 1439هـ/2018م، ص 210-211.

³⁵فاروق حمادة، بصائر وأفكار، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 1434هـ، ص 8.

³⁶سورة الممتحنة، الآية 8.

³⁷رشيدة عبد السلام بوخبة، التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 225.

³⁸سورة الأنفال، الآية 62.



بقوته فاجنح لها، لأنك أولى بالسلام منهم"³⁹. وتعايش المسلمين مع غيرهم يعني أخذ الحق وتبادل المصالح وتنمية القواسم المشتركة التي تعود بالنفع والالتزام بالقيم الإنسانية، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات، على المسلمين وغيرهم في الميادين المختلفة، وذلك بالحوار البناء التي يلتقي حولها الناس مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم⁴⁰.

الفرع الثاني: البعد الثقافي للتعايش والتواصل الديني

إذا كان الدين يدعو إلى التعايش الاجتماعي المتمثل في احترام الطقوس والتقاليد الاجتماعية التي يمارسها الإنسان في اجتماعه المدني، وكذلك يقدم تصورا لبناء نظام اجتماعي يشمل التعددية الدينية ويسعى لتحقيق التعايش والسلام، فإنه يعمل على تعبئة ثقافة المجتمع وشحنها بالرموز والدلالات التي تمتلك معانيها الخاصة داخل السياق الاجتماعي الخاص بها. فكيف ينعكس التعدد الديني والتعايش الديني على المكون الثقافي لمجتمع ما؟ وهل يؤثر انفتاح ثقافات العالم على بعضها على التعايش بين المجتمعات وعلى العلاقات بين الدول؟ يقول الباحث المغربي سعيد شبار في هذا الإطار: "ويعتبر المكون الديني الاعتقادي/الإيماني داخل الثقافة، أهم مكوناتها على الإطلاق؛ سواء وقع التصريح والوعي به، أم لم يقع، وسواء حددت وضبطت مجالات التأثير وكيفية، أم لم تحدد ولم تضبط، فكل ذلك ليس بمانع من وقوع هذا التأثير، واضحا كان أم خفيا"⁴¹. وفي هذا الكلام جزم بأن العلاقة بين الدين والثقافة ثابتة ولا يمكن إنكارها، وأن كل الإصلاحات الاجتماعية والسياسية والفكرية عبر التاريخ كان منطلقها ومرجعها الدين، ويوضح الباحث رأيه بقوله: "وتكفي الإشارة هنا إلى أن المدارس اليسارية بما فيها الأكثر دوغمائية والعلمانية المتشددة والقوميات المختلفة، كانت في بداياتها الأولى تبني نظرياتها التغييرية باستبعاد كلي للدين كفاعل أو مؤثر، بل وبمعاداته، وخوض حروب إغائية وإقصائية ضده. هذه الحروب الضروس التي ناهزت القرن من الزمان، لم تغير من واقع الدين ودوره في التأثير والتأطير شيئا"⁴².

من هذا المنطلق، يمكن أن نستشف أن للتفاعل بين الديني والثقافي دوار أساسا في بناء الإنسان وإنشاء مجتمع يسوده الأمن والسلام والاستقرار، بل بإمكان الدين مواجهة الصعاب وصخب الثقافات السلبية التي بدأت تطغى وتجرف كل شيء أمامها غير محصن باسم المدنية والحرية والتطور، والتعايش الديني الذي يدعو إليه الإسلام القائم على قبول المخالف وحرية المعتقد داخل المجتمع، وعدم الإكراه على الدين، مصداقا لقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۖ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى

³⁹ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، سنة 1365هـ/1946م، ج 10، ص 26

⁴⁰ رشيدة عبد السلام بوخزة، التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 227.

⁴¹ سعيد شبار، المكون الديني أو التغيير الثقافي آفاق جديدة في ترشيد الاسترجاع الديني، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، يونيو 2021، ص 1.

⁴² سعيد شبار، المكون الديني أو التغيير الثقافي آفاق جديدة في ترشيد الاسترجاع الديني، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، يونيو 2021، ص 2.



يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يونس: 99⁴³، يروم تأكيد اتفاق الأديان على المشترك الإنساني المتحرر من مخلفات وظلمات الجاهلية والتقاليد الرجعية والعادات المخالفة للقيم والمبادئ الإنسانية والقوانين والشرائع السماوية .

وحتى يؤدي هذا التفاعل دوره في بناء عالم يتعايش سلمياً، ويقوم على التواصل وتبادل المنافع التي يحتاجها الإنسان في حياته، ينبغي على كل المكونات الدينية في العالم أن ترسخ فكرة فهم الآخر دينياً وثقافياً، كما قالت الباحثة خولة مرتضوي: "لقد أصبح موضوع فهم الآخر؛ يستلزم بشكل مباشر فهمه عقائدياً ودينيماً، كما أن فهمنا المباشر لمكونات الثقافات والحضارات المتنوعة يلزمنا في جانب كبير منه على فهم خلفياتها الدينية وظروفها العقائدية السائدة في تلك الحقب جنباً إلى جنب باقي ظروفها المعيشية اقتصادياً وسياسياً وعلمياً وثقافياً وما إلى ذلك، كما أن العالم الذي أصبح اليوم قرية واحدة بفضل وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات الاتصالية المختلفة مهد لظهور علاقات افتراضية مع أبناء الكرة الأرضية المختلفين في كل شيء كما مهد لظهور نوع خاص من التواصل والحوار الحضاري الديني الأمر الذي شكل تحدياً أمام الكثير لسبر أغوار الآخر وفهمه بالشكل الموضوعي العميق لاسيما في مجال العقائد والأديان المعاصرة"⁴⁴.

خاتمة:

إن هذا المشكل غير قائم بشكل كبير عند المسلمين مقارنة مع غيرهم، حيث لم يكن الدين عائقاً أمام التواصل الثقافي بين الإسلام والغرب منذ القدم، بفضل الانتاجات الثقافية والفكرية للعديد من علماء المسلمين. ويقول عبد الفتاح مقداد الغنيمي: "ولقد كان للجانب الثقافي دوره الكبير في تفعيل التعايش الثقافي بين المسلمين وغيرهم من الشعوب الأخرى وبخاصة الشعوب الغربية، فقد حصل تواصل كبير بين المسلمين والغرب في هذا الجانب حيث استطاع المسلمون قراءة الغرب ومعرفته وذلك من خلال كتب فلاسفة العرب أمثال سقراط وأفلاطون حيث قام المسلمون بالرد على بعض هذه الكتب وتصحيح بعض الأفكار الواردة فيها، وكان للترجمة دور كبير في إبراز صور التواصل سواء من خلال ما ترجمه المسلمون من كتب علماء الغرب، أو ما قام به الغربيون من ترجمة لكتب المسلمين وخاصة كتب ابن رشد والغزالي، وذلك بعد اتصالهم بالحضارة الإسلامية في الأندلس، والتي ساهمت في التقارب بين المسلمين وغيرهم من الأوروبيين في المجال العلمي والثقافي، كان له دوره في النهوض بالحضارة الأوروبية الحالية"⁴⁵.

⁴³سورة يونس، الآية 99.

⁴⁴خولة مرتضوي، أنا والآخر، الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن، <https://www.al-watan.com>، اطلع عليه بتاريخ 29/05/2022 على الساعة 18:57.

⁴⁵عبد الفتاح مقداد الغنيمي، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرون، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1995م، ص53.



لائحة المراجع:

- الإسلام والغرب آفاق الصدام ، صمويل بي هانتنتجتون، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.
- عن مستقبل الإسلام في الغرب، هشام المكي، مجلة المنتدى، منتدى العلاقات العربية والدولية، العدد الأول، ربيع 2015.
- الإسلام والغرب، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، طبعة 2017.
- صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، صمويل هانتنتجتون، ترجمة طلعت الشايب، دار النشر غير محددة، الطبعة الثانية 1999م.
- الإسلام والغرب وحوار المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998.
- الفرصة السانحة، ريتشارد نيكسون، ترجمة أحمد صديقي مراد، طبعة القاهرة 1992م .
- الإسلام والغرب بين المنافسة والصراع : رؤية مستقبلية لواقع العربي والإسلامي وعلاقته بالآخر، محمد بن عبد الله السلومي، مركز الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1438هـ/2017م.
- أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، برنارد لويس، ترجمة محمد عناني، مطبعة سطور الأولى، 2003م.
- حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية، السيد أحمد فراج، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004م.
- الإسلام والغرب إشكالية التعايش والصراع ، سمير سليمان، سلسلة كتاب التوحيد، العدد الثاني 1998م.
- الحروب الصليبية كما رآها العرب، أمين معلوف، ترجمة عفيف دمشقية، دار الفرابي بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1998م.
- غرق الحضارات، أمين معلول، ترجمة نهلة بيضون ، دار الفرابي بيروت لبنان، الطبعة الأولى أيلول/شتنبر 2019.
- التعايش الديني رهان التعددية والهوية الجامعة، سعيدة شريف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مجلة ذوات العدد 58، سنة 2019.
- استرجاع الهويات ومستقبل التعايش، خالد الشيات، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مجلة ذوات العدد 58، سنة 2019.
- رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح بن عبد الرحمان الحصين، مؤسسة الوقف الإسلامي الرياض، 1437هـ.
- وثيقة المدينة دراسة في التأصيل الدستوري في الإسلام، شكري ناصر عبد الحسن، مجموعة مؤلفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 2014م.



- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة العاشرة 1411هـ/1991م.
- التعايش الديني : انتقال مجتمعي وعبور نحو المدنية، محمد قنفودي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مجلة ذوات العدد 58 عام 2019.
- التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، رشيدة عبد السلام بوخبزة، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد 4، العدد 1، كانون الثاني يناير 2018م، ط 1439هـ/2018م.
- بصائر وأفكار، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، فاروق حمادة، الطبعة الأولى 1434هـ.
- تفسير المراغي ، م أحمد مصطفى المراغي ، طبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ، سنة 1365هـ / 1946م .
- المكون الديني أو التغيير الثقافي آفاق جديدة في ترشيد الاسترجاع الديني، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، يونيو 2021.
- الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرون، عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1995م.



The Impact of the Scientific Miracle in the Holy Quran on Interdisciplinary Studies An Analytical Objective Study

Dr. Lubna Abdel Aziz Mohammed Al-Hassan Ahmed

Assistant Professor, Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Omdurman Islamic University, Sudan

Received: 6/11/2024
Revised: 6/12/2024
Accepted: 17/1/2025
Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
lubnafeb2020@gmail.com

Citation: Abdel Aziz, Lubna Mohammed Al-Hassan Ahmed (2025). The Impact of the Scientific Miracle in the Holy Quran on Interdisciplinary Studies :An Analytical Objective Study .*Dalail Journal of Humanities*, 1 (2).

Abstract:

The study aimed at revealing the impact of the scientific miracle studies in the Holy Quran on the interdisciplinary studies via explaining the concept of the scientific miracle in the Holy Quran and scholars' attitude towards it and its research methodology.

As well as explaining the concept, significance and obstacles of renovating interdisciplinary studies and presenting attitude of interdisciplinary studies attitude towards the scientific miracles in the Holy Quran, the study used the descriptive analytical method.

The study concluded to a number of findings, the most important of which are: the scientific miracle in the Holy Quran is a fertile source for interdisciplinary studies that act upon activating research groups capable of producing new, in-depth knowledge through achieving integration between sciences and knowledge.

The study recommended devising new mechanisms to adopt and support areas of scientific research. in the scientific miracle in the Holy Quran, publishing interdisciplinary studies about it, and providing direction to researchers to make use of it, putting it into practice and marketing it.

Keywords: Scientific miracle, Quran, interdisciplinary studies.

الاستشهاد المرجعي:

عبد العزيز، لبنى محمد الحسن
أحمد (2025 فبراير) أثر الإعجاز
العلمي في القرآن الكريم على
الدراسات البينية: دراسة موضوعية
تحليلية، مجلة دلائل للعلوم
الإنسانية، عدد 2. مجلد 1.

أثر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على الدراسات البينية

دراسة موضوعية تحليلية

د. لبنى عبد العزيز محمد الحسن أحمد

أستاذ مساعد قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة أمدرمان الإسلامية، السودان

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على الدراسات البينية من خلال بيان مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وموقف العلماء منه ومنهج البحث فيه.

وكذلك بيان مفهوم الدراسات البينية وأهميتها ومعوقات تفعيلها ثم عرض موقف الدراسات البينية من دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها: أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حقلٌ خصبٌ للدراسات البينية التي تعمل على تفعيل المجموعات البحثية القادرة على إنتاج معرفة جديدة أكثر عمقاً من خلال تحقيق التكامل بين العلوم والمعارف.

وأوصت الدراسة بابتكار آليات جديدة تعمل على تبني ودعم مجالات البحث العلمي في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ونشر الدراسات البينية فيه، وتوجيه الباحثين إلى الاستفادة منها وتطبيقها وتسويقها.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي، القرآن، الدراسات البينية.



© 2025 Publishers/ the International Foundation of Beacons of Intellect / Research team: Education, Languages, and Cultures, Moulay Ismail University, Morocco.
This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC-ND) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لا يسوق الخير إلا هو ولا يصرف السوء إلا هو، وما كان من نعمةٍ فمنه، ولا حول ولا قوة إلا به، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ولا شفيع للأمة غيره، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

أكدت الدراسات أنّ العلاقات البيئية بين التخصصات العلمية المختلفة تحظى بأهمية كبيرة في المعرفة الإنسانية الحديثة، نظراً للتطور المتسارع، والتحويلات الكبرى في كافة ميادين المعرفة، ومجالات البحث العلمي ومناهجه.

فالعلاقات البيئية بين العلوم في عصرنا هذا من الاتجاهات الحديثة في مجال البحث العلمي، واستخدامات نتائج البحث العلمي فيها لا زالت في طور وضع ضوابط محكمة ملتزمة بأهداف نبيلة من أجل أن توظف لإعمار الحياة وحلّ المشكلات الاجتماعية.

وبالنظر إلى دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والثمار المرجوة منها، نجد أنها قد يكون لها الأثر البالغ في توجيه مجرى الدراسات البيئية.

فالقرآن الكريم بوصفه كتاب هداية للبشرية جمعاء، نجده لا يتوقف عند الحث على التفكر في أسرار الكون والكشف عن حقائقه من خلال نظرة إيمانية فقط، بل يجعل من ذلك ما ينبي لدى الإنسان دوافع الخير والصلاح، ويحكم سلوكه ويهذب خلقه بالخلق القديم.

لذلك نجد أنّ العلم الطبيعي المستمد من الهدي القرآني أو ما ينبي عليه من بحث علمي جدير بأن لا يصدوم مع قيم الفضيلة بل يفتح مجالات البحث العلمي في إطار الإيمان بالله ويصوبه نحو غايات رشيدة محكوماً بموجهات ربانية، وهو ما تحتاج إليه الإنسانية في الوقت الراهن.

وبه تتأصل هذه العلوم على هدى القرآن، وتنمو وتتطور في كنف الإيمان والتقوى، وتتوجه أهداف المناهج العلمية إلى إعداد الإنسان المؤمن بالله، الفاعل بإيمانه في الحياة، المتفاعل مع الطبيعة بعقله، المنفعل قلبه بأيات الله فيها.

مشكلة البحث:

منذ فجر العلوم برز علماء أفذاذ في مختلف الحضارات الإنسانية، أحسنوا نظم معارفها في عقدٍ ضمّ صنوف المعارف، سمي بالفكر الموسوعي، وإذا نظرنا إلى حضارتنا العربية والإسلامية، وجدنا أنها قد أظلت ثلة من العلماء الموسوعيين، لا يجد الحصر لهم طريقاً ممن نهلوا من معين معرفي متعدد المشارب ما هياً لهم ثقافة موسوعية متعددة العلوم وعابرة للتخصصات كابن القيم (691هـ - 751هـ) وابن سينا (370هـ - 428هـ) والرازي (544هـ - 606هـ) وابن خلدون (732هـ - 808هـ) وغيرهم...



هذا الفكر الموسوعي كان ثمرة حقبة تبنت فكرة الالتفاف حول النص القرآني، فتكونت كوكبة من العلوم التي تفاعلت وتكاملت، لإضاءة النص والاستضاءة به، فكان هذا الكتاب الكريم مسؤولاً بالدرجة الأولى من تأسيس هذا الفكر الموسوعي ومن خلفه العلماء الموسوعيين⁽¹⁾.
ثم انتقلت العلوم في مرحلة أخرى إلى التخصص الدقيق بحثاً عن الدقة في التفكير النظري، واكتشاف ما لم يُكتشف من الطبيعة والإنسان وتطور حياة البشر في مختلف المجالات.
لكن الحرص على معرفة أسرار الظواهر والتعمق في دراستها أنشأ انعزالاً بين التخصصات، ثم أصبح من غير الميسور على العالم الواحد أن يتخصص في أكثر من علم، بل أن العلم الواحد قد تشظى إلى علوم فرعية لا يكاد العالم يتقن واحداً من هذه الأجزاء.

ومع مطلع القرن العشرين توجهت الأنظار إلى العلوم البيئية وحاجة التطور والتقدم إليها، حيث أنها أكدت اعتماد العلوم على بعضها البعض، ثم أنها قدمت أفكاراً عدة في التكامل بين العلم والدين، وفي التربية والتعليم اعتمد التكامل واحداً من المداخل المهمة في بناء المناهج التعليمية ثم طرأت الحاجة إلى أفكار الجمع والتكامل بين الأصالة والمعاصرة، ومن هذا المنطلق يحاول هذا البحث أن يوضح أثر دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في توجيه الدراسات البيئية التي تقوم على تصور مفاده الاعتماد على تضافر العلوم وتداخلها في تفسير الظواهر الإنسانية والطبيعية، والقضاء على الفجوات والثغرات الناتجة عن الانفصالية بين التخصصات العلمية الدقيقة دون حدوث تضارب بين الدراسات البيئية وخصوصية العلوم، من خلال الجمع بين علم التفسير وعلوم القرآن وأي علم آخر تحتاج إليه الآيات لبيان أسرارها ومعانيها والتوجيهات الصادرة عنها والمقاصد الموجهة إليها وكيفية تنزيلها على الوقائع والأحداث.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في بيان الآتي:

1. أن أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، في حال تطبيق المنهج المنضبط لها عبر الدراسات البيئية يؤدي إلى تحقيق أهداف البحث العلمي من ترسيخ للقيم الفاضلة وتأكيد على ثوابت العقيدة وحقائق العلم.
2. أن الدراسات البيئية القائمة على تعميق مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وإخراجه في هيئة تخصصات ومصنفات علمية ينظر إليها من حيث كونها عبادة واستجابة لما حث الله تعالى عليه من التفكير في خلق الكون.
3. أن التزام ضوابط المنهجية الصحيحة في تطبيق منهج الدراسات البيئية في دراسات الإعجاز العلمي، يخدم مقاصد الشرع لما فيه مصلحة الإنسان.
4. أن العلوم الشرعية تكمل العلوم الأخرى ولا تتناقض معها.

(1) الدراسات البيئية، نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي: خميس نادية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، العدد 2، ص 243.



أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أثر دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على الدراسات البينية من حيث الآتي:

1. أن تعرف بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
2. أن تبين ما المقصود بالدراسات البينية.
3. أن توضح الأثر المتبادل بين دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والدراسات البينية.

الدراسات السابقة:

اطلعت الباحثة على عدد مقدر من الدراسات في مجال الدراسات البينية المنشورة عبر مجلات علمية محكمة أو أوراق مؤتمرات تناولت مستقبل الدراسات البينية وكيفية تطوره في العلوم الإنسانية والاجتماعية أو مصنفات في رهن البحث العلمي فيها.

وقد أثبتت من خلالها مقدرة البحث العلمي على تجاوز عدد من الإشكالات العالقة في ميادين العلم أحادية التخصص، مما استدعى الباحثين للتوجه إلى الحقل العابر للتخصصات كاستراتيجية بديلة أحسنت ربط العلوم المختلفة ببعضها واعطتها قدرة الانفتاح فيما بينها، مولدة بذلك حقلاً معرفياً ينطلق من فكرة التفاعل بين مختلف التخصصات وغايته تحقيق التكامل ما أمكن ذلك مع المحافظة على الحدود التخصصية.

بينما تتناول هذه الدراسة منجىً مختلفاً في صورة معكوسة وهي أثر دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وكيفية توجيهها للدراسات البينية واستنباط العلوم والمعارف الجديدة منها.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات من مصادرها وتحليلها بالشكل الذي يحقق أهداف الدراسة.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومنهجية الدراسات فيه:

- المطلب الأول: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: موقف العلماء من دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: منهج البحث في دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومحاذيره.

المبحث الثاني: التعريف بالدراسات البينية وأهميتها ومعوقاتهما:

- المطلب الأول: التعريف بالدراسات البينية وأهميتها.
- المطلب الثاني: أهداف الدراسات البينية ومعوقات تفعيلها.
- المطلب الثالث: موقف الدراسات البينية من دراسات الإعجاز العلمي.



المبحث الثالث: نماذج من دراسات الإعجاز العلمي وأثر الدراسات البيئية في تطويرها:

- المطلب الأول: المعايير التي يجب تتبعها في الدراسات البيئية.
- المطلب الثاني: كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار.
- المطلب الثالث: كتاب المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار. وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.
- المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومنهجية الدراسات فيه

يقول ابن عاشور (1296 - 1393 هـ) في كتابه (التحرير والتنوير): (وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبج للناس شيئاً فشيئاً أنبلج الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم)⁽²⁾، فما هو الإعجاز العلمي؟

المطلب الأول: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

الإعجاز لغة: مشتق من (عجز) والعجز نقيض الحزم وهو الضعف، وعجز عن الأمر يعجز، ويُقال: أعجزت فلاناً إذا ألفتة عاجزاً، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه⁽³⁾. وأعجزه الشيء: فإنه وعجز عنه ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه، والعجز: عدم القدرة، وفلاناً: وجدده عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط، والنسبة إلى العجز، ومُعجزه النبي ﷺ: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة⁽⁴⁾.

والمُعجزة: أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي سالمٌ من المعارضة، وهي إما حسيةٌ وإما عقليةٌ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خُصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهن ذوو البصائر، كما قال ﷺ: (ما من نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)⁽⁵⁾.

قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقة العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره المغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به إنه سيكون يدل على صحة دعواه، وقيل المعنى أن المعجزات

(2) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ)، 1984 م، الدار التونسية للنشر: تونس، ج 1، ص 127.

(3) لسان العرب: جمال الدين بن منظور (ت: 711 هـ)، ط 3، دار صادر: بيروت، 1414 هـ، ج 5، ص 369.

(4) القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي (ت: 817 هـ)، ط 8، مؤسسة الرسالة: بيروت، 1426 هـ-2005 م، ج 1، ص 516.

(5) أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث (4981).



الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقاة صالح وعصا موسى، ومُعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر⁽⁶⁾.

العلمي لغة: من العِلْم، والعِلْمُ نقيض الجهل، عِلْمٌ علماً وَعَلَمٌ هو نفسُه، ورجلٌ عالمٌ وَعَلِيمٌ من قومِ علماء، وَعِلْمٌ الأمر وتعلّمه: أتقنه، وقيل لما كان العلمُ قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملبسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخولٍ فيه، ولو كان كذلك لكان مُتعلِّماً لا عالماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالمٌ في المعنى كعليم، ويجوز أن يُقال للإنسان الذي علمه الله عالماً من العلوم عليم⁽⁷⁾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر، الآية ٢٨). والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء وتزول بها غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء كان موضوعه الكون والطبيعة، أم كان موضوعه الإنسان أو الوجود بأسره، أو كان موضوعه الغيبيات، وسواءً كانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم كانت وسيلة العقل والبرهان، أو كانت وسيلته الوحي والنبوة.

كما أن العلم يُطلق أيضاً على إدراك عواقب الأفعال وتقدير أخطارها ومنافعها وكيفية سياسة الأحداث واستخدامها، كما سعى القرآن الدلائل والحجج المختلفة الدالة على الحق علماً⁽⁸⁾، كما صورته آيات القرآن الكريم إشارة إلى مفهوم العلم منها. الإعجاز العلمي: لبيان معنى مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لابد من الإشارة أولاً إلى معجزة القرآن⁽⁹⁾.

وعن معجزة القرآن قال محمد أبو زهرة: (التقى في المعجزة الكبرى للنبي ﷺ وهي القرآن المبين معنيان، أصيب بها هدفان: أولهما: أنه المناسب الذي يُعرف به العرب معنى الشيء الخارق لما عرف الخارج عن طاقتهم، فإنه لا يدرك أثر ذلك إلا هم، ولا يعرف مقامه إلا من على شاكلتهم من معرفة مقاماً لقول، ومنزلة لبيان. ثانيها: إن كونه نوع الكلام الموحى به الباقي الخالد الذي حفظه الله تعالى، ووعد بحفظه إلى يوم القيامة كما تلونا من قبل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر، الآية 9) وذلك يناسب رسالته التي هي خاتم الرسائل الإلهية التي جاء محمد رسول الله تعالى خاتم النبيين، بصريح القرآن الكريم، فلا نبوة بعد النبي ﷺ.

(6) الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1394هـ - 1974م، ج 4، ص 3.

(7) لسان العرب: ج 12، ص 416.

(8) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. مرهف عبد الجبار سقا، ط 1، دار محمد الأمين للنشر: دمشق، 1431هـ-2010م، ص 62.

(9) المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي، ص 49. معترك

الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 1، 1408هـ-1988م، ص 1، ج 5. مناهل العرفان في

علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، ط 3، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج 2، ص 331.



فكان المناسب أن تكون المعجزة من نوع الكلام الخالد الباقي، وأنه معجزة للخليقة كلها، وفيه الدليل على أنه من عند الله للناس أجمعين، فهو إن جاء بلسانٍ عربي، وفيه أعلى درجات البيان العربي، يشتمل في ثناياه على ما يعجز الناس أجمعين، فإذا كان قد أعجز العرب بيانه، فقد أعجز الناس أجمعين بمعانيه وشرائعه، وما اشتمل عليه من علوم، قال عز من قائل: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء، الآية 88)(10).

ومن أبواب هذا الإعجاز ما اصطلح عليه أصحاب المصنفات بالإعجاز العلمي في آيات القرآن الكريم، وقد عرفوه بأنه: (إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أي تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعد تطاول من القرون بعد تطاول من القرون. وفي زمنٍ لم يكن لأي من البشر إمكانية الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق العلوم المكتسبة أبداً)(11). وكذلك قيل أن الإعجاز العلمي هو: إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي وثبتت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ(12).

ومن أوضح ما قيل في تعريف الإعجاز العلمي قول الطاهر بن عاشور (1296هـ - 1393هـ): (وأما الجهة الثالثة من جهات الإعجاز وهي ما أودعته من المعاني الحكمية والإشارات العلمية فاعلموا أن العرب لم يكن لهم سوى الشعر وما تضمنه من الأخبار. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كان الشعر علم القوم ولم يكن لهم علمٌ أصح منه). إن العلم نوعان علمٌ اصطلاحي وعلمٌ حقيقي، فأما الاصطلاحي فهو ما تواضع الناس في عصر من الأعصار على أن صاحبه يُعدُّ في صفِّ العلماء، وهذا يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمم والأقطار، وهذا النوع لا تخلو عنه أمة(13).

وأما العلم الحقيقي فهو معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان، وما به يبلغ إلى ذروة المعارف، وإدراك الحقائق النافعة عاجلاً وأجلاً، وكلا العلمين كمالٌ إنسانيٌّ ووسيلة لسيادة الصحابة على أهل زمانهم. وقد اشتمل القرآن على النوعين، فأما النوع الأول فتأوله قريبٌ لا يحتاج إلى كدِّ فكر ولا يقتضي نظراً، فإن مبلغ العلم عندهم يومئذٍ علوم أهل الكتاب ومعرفة الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء والأمم وأخبار العالم، وقد أشار إلى هذا القرآن بقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ (سورة الأنعام، الآيات 155-157)، وقال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (سورة هود، الآية 49).

(10) المعجزة الكبرى القرآن، ص 50.

(11) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: د. زغلول راغب محمد النجار، ط1، دار المعرفة: بيروت، 1430هـ-2009م، ص 152.

(12) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: هيئة الإعجاز العلمي برباطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، انظر: ص 14-25.

(13) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/125-126.



وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسمٌ يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسمٌ يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليلٌ على أنه من عند الله لأنه جاء به أميٌّ في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم.

وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سورته بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهرٌ، إذ لا قبل لهم بتلك العلوم، كما قال تعالى: ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (سورة هود، الآية 49)، وإعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجلٍ نشأ أمياً في قومٍ أميين، وإعجازه لأهل الكتاب خاصةً إذا كان ينبئهم بعلوم دينهم مع كونه أمياً، ولا قبل لهم بأن يدعوا أنهم علموه لأنه كان بمرأى من قومه بعيداً عن أهل الكتاب، ولأنه جاء بنسخ دين اليهودية والنصرانية، فلو كان قد تعلم منهم لأعلنوا ذلك وسجلوا عليه أنه عقمهم حق التعليم⁽¹⁴⁾.

المطلب الثاني: موقف العلماء من دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

تناول عدد كبير من العلماء قضية دراسات الإعجاز العلمي بالدراسة والتمحيص رغبةً منهم في الحفاظ على المنهج السليم في تناول آيات القرآن الكريم بالتفسير وخصوصاً الآيات الكونية⁽¹⁵⁾ منه. ولقد وفي علماء التفسير المتقدمون منهم والمتأخرون، آيات الكتاب العزيز حقها من التفسير والشرح والإيضاح والاستنباط وصنفوا في ذلك كثيراً من المؤلفات الواسعة والمراجع القيّمة، وفسروا الآيات الكونية على مقتضى ما جاءت به الشريعة وأصول اللغة، وعلى قدر ما توافر لديهم من طرق العلم وأساليب البحث في الكائنات، وتنوعت طرائقهم في التأليف بين تصانيف مستقلة، وبين تضمين لهذه المسائل في كتب التفسير⁽¹⁶⁾.

كما أنّ تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهدته، ودعوته إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والأنفس يُراد به توجيه عامة الناس وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله وحكمته

(14) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر: تونس، 1984م، ج1، ص 127-129.

(15) الآيات الكونية: هي الآيات المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيها وما بينهما من سائر المخلوقات، وهي مناط الاستدلال العقلي على خالقها (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ/2003م، ج1، ص141).

(16) دراسات في علوم القرآن: أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط12، 1414هـ-2003م، ص 298. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ص 36. الدلالات العقدية للآيات الكونية: د عبد المجيد بن محمد الوعلان، دار ركانز للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1440 هـ - 2019 م، ص 32.



ودلائل وحدانيته، وبيان خضوعها لله عزّ وجل، وعجزها عن التصرف إلا بإرادته، وهدايتها لها، وانتظام حركتها كشواهد حق على صدق القرآن الكريم ومُبلّغهُ.

ولكي نُحدد رأي العلماء في دراسات الإعجاز العلمي لا بدّ لنا من بيان الفرق بينها وبين التفسير العلمي للقرآن الكريم.

تعريف التفسير العلمي:

والتفسير هو: علمٌ يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك⁽¹⁷⁾.

وقيل في تعريف آخر لعلم التفسير بأنه: علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية⁽¹⁸⁾.

وعلى ذلك يستند تعريف التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم، فما هو إلا جزء من ذلك العلم الكبير، وقد عرفه الدكتور فهد الرومي بأنه: (اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجازُ للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمانٍ ومكان)⁽¹⁹⁾.

وعرفه د. عبد المجيد الزنداني: (هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية)⁽²⁰⁾.

وقيل أن التفسير العلمي: (بُقصد به التفسير الذي تستخدم فيه العلوم الكونية الحديثة "حقائقها ونظرياتها" لبيان مراميهِ وتوضيح معانيهِ)⁽²¹⁾.

وهذه المعاني المختلفة في تفاصيلها متأثرة برأي أصحابها قبولاً أو رداً لفكرة التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، فكان أقربها إلى الوصف الدقيق القول بأنه: (بيان معنى النص الكوني في القرآن الكريم بنتائج العلم التجريبي التي توافرت البراهين على صحتها)⁽²²⁾.

وكما ذُكر من قبل فإن هذا النوع من التفسير قد انقسم العلماء في رأيهم تجاهه إلى ثلاثة أقسام: مؤيدون ومعارضون ومعتدلون.

أولاً: المؤيدون، وذكروا أنّ به تتحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة منها:

(17) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، دار الفكر: بيروت، 1420هـ، ج1، ص26.

(18) مناهل العرفان في علوم القرآن: عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، ط3، ج2، ص3.

(19) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1407هـ-1986م، ج2، ص549.

(20) مجلة مركز بحوث السنة والسيرة: جامعة قطر، نظرات في التفسير العلمي للقرآن معالمه وضوابطه، أ. د يوسف القرضاوي، عدد 9، 1417هـ-1997م.

(21) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: د. عبد المجيد الزنداني، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مكة المكرمة، ص25.

(22) حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة قطر، (التفسير العلمي للآيات الكونية)، د. بكرى زكي عوض، 1992م، عدد 10، ص477.



- أ. إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم، بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.
- ب. استمالة غير المسلمين إلى الإسلام، وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلي وإقامة الحجة عليهم بذلك.
- ج. امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله جلّ جلاله وعظيم سلطانه وقدرته، بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.
- ومن هؤلاء المؤيدون لهذا النوع من التفسير الإمام الغزالي (450هـ - 505هـ)، والفخر الرازي (544هـ - 606هـ)، والزركشي (745هـ - 794هـ)، والسيوطي (849هـ - 911هـ)، والبيضاوي (ت691هـ)، والنيسابوري (ت: 850هـ)، والألوسي (1217هـ - 1270هـ)، وطنطاوي جوهرى (1287هـ - 1358هـ)، والكواكبي (1265هـ - 1320هـ)، ومحمد فريد وجدي (1295هـ - 1373هـ)، وغيرهم كثير.
- ثانياً: المعارضون، ومنهم أبو حيان الأندلسي (654 - 745 هـ)، والشاطبي (790هـ)، ومحمود شلتوت (1310 - 1383 هـ)، وأمين الخولي (1310هـ - 1349هـ)، وسيد قطب (1324هـ - 1385هـ) وغيرهم.
- ويرى هؤلاء أنّ لرفضهم أسباباً عدة منها:
- أ. أنه لم يُعرف عن الرسول ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين هذا النوع من التفسير، فضلاً عن كونه اتهاماً لهم بالقصور.
- ب. أنّ النظريات العلمية متقلبة وبذلك تُعرض القرآن للتقلب.
- ج. أنّ الكونيات في القرآن الكريم وسيلة هداية للإنسان لا مباحث علمية فيه.
- د. أنّ هذا اللون من التفسير صارفٌ عن الغاية التي نزل من أجلها القرآن.
- هـ. أنّ فيه تكلف من ناحية اللغة وخروج عن البلاغة وفتحاً لباب الشك في المعتقد على إثر تقلب البحث العلمي.
- و. يخاطب القرآن النفوس بينما يخاطب العلم العقول، فكانت الأهداف في القرآن نفسية وجدانية مطيهاً التأمل المتدين، بينما لا تهدف العلوم إلى شيءٍ من ذلك⁽²³⁾.
- ثالثاً: معتدلون، وهم المؤيدون للتفسير العلمي ولكن بشروط وقيود لا بدّ منها حين التطبيق وهي:
- أ. ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.
- ب. أنّ تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضدّ أعدائها.
- ج. أنّ تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية.
- د. أنّ لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني،

(23) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج2، ص589.



ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للردّ والبطلان⁽²⁴⁾.

والحقيقة التي يجب إدراكها أنه يجب التفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فالتفسير العلمي هو مثار البحث والمناقشة وأما الثاني فهو قضية مسلمة لا نزاع فيها باتفاق العلماء⁽²⁵⁾، فكل إعجاز علمي هو من قبيل التفسير العلمي دون العكس، أما من حيث وضعهما كمصطلحين فيمكن أن نفرق بينهما بما يأتي:

1. الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية، والتفسير العلمي يتناول النظريات والإشارات الضمنية، فالتفسير العلمي هو انتفاع المفسر بما ظهر في عصره من معلومات كونية في تفسير الآيات، أما الإعجاز العلمي فهو الحقيقة الكونية التي يؤول إليها معنى الآية ويشاهد الناس مصداقيتها في الكون فيستقر عندها التفسير ويُعلم بها التأويل.
2. الإعجاز العلمي متفق عليه بين أهل التفسير، أما التفسير العلمي فمختلف فيه حتى أنّ من العلماء من يُحرّمه.
3. أنّ التفسير العلمي إذا لم تُراعي ضوابطه وشروطه يكون سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله تعالى لسعة مجاله، أما الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فهو أوضح من ذلك، إذ أنه غالباً ما يكون في الربط بين الحقيقة الشرعية والكونية⁽²⁶⁾.

المطلب الثالث: منهج البحث في دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومحاذيره:

بعد أن ثبتَ لدي كل باحثٍ أريب في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أهمية هذه الأبحاث والدراسات في تعميق اليقين الإيماني، ودفع الفتن التي ألبسها الكفار ثوب العلم، وفي دحض محاولات التستر بالعلم لإثارة الشبهات حول الإسلام والمسلمين وفي دعوة غير المسلمين وتوصيل الحقائق الإسلامية إليهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وفي حفز المسلمين للأخذ بأسباب النهضة العلمية⁽²⁷⁾، انبرى عدد غير قليل من العلماء المجتهدين لوضع منهج وضوابط وقواعد للبحث في الإعجاز العلمي يمكن إجمالها فيما يلي⁽²⁸⁾:

1. علمُ الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتره خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود يقبل الازدياد ومُعرضٌ للخطأ.
2. لا يمكن أن تتناقض آيات القرآن الكريم فذلك مستحيل على الله الذي أنزل القرآن، وكذلك لا يمكن أن يتناقض حديث نبويٍّ صحيح مع آية قرآنية، فذلك مستحيل على رسول الله ﷺ فإذا

(24) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج2، ص604.

(25) دراسات في علوم القرآن الكريم، ص295.

(26) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ط1، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مكة المكرمة، 1417هـ، ص37.

(27) انظر الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الباحثين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: مصر، 1423هـ-2002م، ص699.

(28) انظر (الأعمال الكاملة للمؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - الأهداف والوسائل).



وُجد شيءٌ مما سبق فلا بد أن يكون مرجعه سوءً في الفهم أو تقصير في البحث أو نقص في العلم البشري.

3. لا بد لفهم النص القرآني أو النبوي مراعاة ما يلي:
 - أ. معاني المفردات كما كانت في اللغة في زمن الرسول ﷺ.
 - ب. القواعد النحوية والبلاغية ودلالاتها.
 - ج. مراعاة جميع النصوص القرآنية والنبوية في الموضوع الواحد.
 4. هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة كما أنّ هناك حقائق علمية كونية قطعية.
 5. هناك نصوص ظنية في دلالتها وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها (أي أنها تحتمل عدداً من المعاني).
 6. لا يمكن أن يقوم صدامٌ بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي فإن وقع في الظاهر فلا بد أن هناك خلافاً في اعتبار قطعية أحدهما.
 7. عندما يُرى الله تعالى عباده آيةً من آياته في الأفاق أو في الأنفُس مصدقةً لآية في كتابه أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ، يتضح المعنى ويكتمل التعاطف ويستقر التفسير وتحدد دلالات الألفاظ والنصوص بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز العلمي.
 8. إنّ نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضعها التي قد تتتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل وزمناً بعد زمن.
 9. إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية النص وبين نظرية علمية، ورفضت هذه النظرية، لأنّ النص وحيٌّ من الذي أحاط بكل شيءٍ علماً، وإذا وقع التوافق كان النصُّ دليلاً على صحة تلك النظرية فإذا كان النصُّ ظنياً والحقيقة العلمية قطعية يؤوّل النصُّ بها.
 10. إذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظنيٍّ في ثبوته أي في سنده شيءٌ من الضعف الذي يمكن أن يُجبر ولا يجعلنا نرفض الحديث فيؤوّل الظن من الحديث مع الحقيقة القطعية حيث لا يوجد مجال للتوفيق فيُقدر القطعي.
 11. فإذا حدث التوافق بينهما تجلّى الإعجاز العلمي في النص، وإذا وقع التوافق بين دلالة ظنية للنص وبين نظرية علمية كان في كُليهما قوة لما يفيد الآخر.
 12. فإذا وقع التعارض بين دلالة ظنية للنص وبين نظرية علمية قُدمت دلالة النص على النظرية العلمية لشرف النص، ولأنّ دلالاته أقوى من دلالة الاستنباط وإذا وقع التعارض بين نظرية علمية وحديث ضعيف فإن ترجيح أحدهما يتوقف على درجة ضعف الحديث أو قوة النظرية.
 13. لا يُعتمد على الدلالات الظنية للنصوص ولا على الأحاديث الضعيفة ولا على النظريات العلمية المتبدلة في إظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة.
- كما أكدوا على ضرورة إمام الباحث بشروط التفسير مع المعرفة التامة بالظاهرة العلمية قيد البحث والمصطلحات الفنية المتعلقة بها.



المبحث الثاني: التعريف بالدراسات البيئية وأهميتها ومعوقاتها

تعرض العلوم وأساليب المعرفة إلى التغير بتغيير الزمان والمكان ووسائل الحصول عليها، وظهر ذلك جلياً في صورة العالم المسلم الموسوعي الذي تمثل فيه حفظه للقرآن ومعرفته للتفسير وعلومه وجمعه لعلوم اللغة والحديث ومعرفته العميقة بالفقه وأصوله، ثم جمعه لعدد من العلوم الأخرى كالطب والفلك وعلوم الأرض.

ثم انتقلت عملية التعلم إلى العملية التخصصية فيكون الطالب باحثاً في مجال واحد من هذه العلوم لا يستطيع تجاوزه إلى مجال آخر من العلوم نسبةً لتنمط المؤسسات التعليمية بهذا النمط من التعليم ولعدم تقبل سوق العمل لغير المتخصص، وأحياناً يشترط التخصص الدقيق.

ثم وجد العلماء أنهم في أمس الحاجة إلى أن يتعامل الباحث مع أكثر من تخصص واحد من العلوم للوصول إلى حلّ المشكلات والمسائل العلمية، فانتقلوا بطريقة أو بأخرى إلى الدراسات البيئية. ولأنه لم يمضِ كثير من الزمان على هذا التوجه فلا زالت الدراسات البيئية في طور الدراسة من ناحية ماهيتها وأهميتها ومدى الاستفادة منها في تطوير العلوم ومعوقات هذه الدراسات وكيفية تجاوز هذه العوائق.

المطلب الأول: التعريف بالدراسات البيئية وأهميتها:

كغيره من المصطلحات الحديثة فقد تعرض للعديد من التعريفات تبعاً لتخصص صاحبه والأهداف التي يرجو الوصول إليها من خلال التعريف.

ومن هذه التعريفات: (هو منهج يُساهم في تبادل الخبرات البحثية والاستفادة من الخلفيات الفكرية والمناهج البحثية المختلفة بين الباحثين وإدماجها في إطار مفاهيمي شامل يساعد على توسيع إطار دراسة الظواهر والمشكلات، وتقديم فهم أفضل لها، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة وتقديم حلول نافعة قابلة للتطبيق)⁽²⁹⁾، فكان هذا التعريف بمثابة معنى عام، وضح من خلاله آلية عمل واهتمامات الدراسات البيئية⁽³⁰⁾.

كما عرفها غيره بأنها: (دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جداً أو مُعقد يصعب التعامل معه بشكلٍ كافٍ عن طريق نظام أو تخصص واحد)⁽³¹⁾.

وبه يُفهم أنه عندما تكون المشكلة قيد الدراسة من اهتمام تخصصين علميين أو مهنيين أو أكثر، حينها تكون المشاركة الأكاديمية بقصد استيعاب واضح لها عن طريق تقصيصها من قبل أكثر من تخصص

⁽²⁹⁾ الدراسات البيئية رؤية لتطوير التعليم الجامعي: عمارة بن عبد المنعم أمين، مجلة (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة)، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ص 60.

⁽³⁰⁾ انظر: النقد العربي المعاصر والدراسات البيئية: فطيمة باهي، بسمة كرلود، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي: الجزائر، 2021م، ص 83.

⁽³¹⁾ الدراسات البيئية، ص 2.



وبالتالي الوصول إلى نظرة شمولية متكاملة ومشتركة، ومن هذه العملية التكاملية يتم استحداث أرضية مشتركة لوجهات النظر التي كانت متعارضة، وهو ما يُثمر شيئاً جديداً.

وعرفت الجمعية الوطنية الأمريكية الدراسات البيئية بأنها أسلوب البحث من قبل فرد أو فريق من الأفراد للجمع بين المعلومات والبيانات والتقنيات، والأدوات، والمفاهيم، أو نظريات من اثنين أو أكثر من التخصصات وذلك بغرض تعزيز الفهم، أو حل المشاكل التي هي خارجة عن نطاق المجال العلمي والبحثي الواحد⁽³²⁾.

وفي الغرب اعتبر أنّ البيئية هي الترياق القادر على معالجة جميع أمراض العالم تقريباً، فمن الاستدامة الكونية، إلى الطاقة المتجددة، فأصول الحياة في الكون، إلى التنبؤ بالاضطرابات الاقتصادية واحتمالات التخفيف منها، وغالباً ما يحتاج إلى حل الإشكالات المعقدة في العالم الواقعي يقتضي جهداً تكاملياً لكلا العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية التي ينبغي إعادة تشكيل حدودها⁽³³⁾.

كما اتفق آراء التربويين حول تعريف التخصصات البيئية بأنها نوع من التخصصات الناتجة عن حدوث تفاعل بين تخصصين أو أكثر، مرتبطين أو غير مرتبطين، أو أنها العلوم والدراسات التي تبحث في إدراك العلاقات بين فروع العلم والمعرفة على أساس مبدأ وحدة المعرفة وتكاملها، للوصول إلى مفاهيم مشتركة بين مختلف العلوم والتخصصات⁽³⁴⁾.

ومن ذلك يُفهم أنّ الدراسات البيئية هي: (تلك الدراسات العلمية التي تقوم بها مجموعة من الباحثين من تخصصات متعددة، تهدف إلى حل مشكلة أو تفسير ظاهرة ما بشكل منظم بدرجة يبتعد فيها الباحثون عن التحيز لتخصص معين من منطلق أنّ البحث العلمي يتخذ صفة جماعية من أجل تأسيس بيئة علمية مشتركة تتضمن مفاهيم جديدة للثقافة الإنسانية).

وبه يكون البحث العلمي أو الدراسة من خلال البيئية ينطلق من حقل معرفي واحد مع ربطه بحقول معرفية أخرى، يُقصد منها حلّ المشكلات التي تتسم بالتعقيد.

الفرق بين الدراسات البيئية والدراسات المتعددة التخصصات:

تنشأ الدراسات البيئية بوجود حاجات ذات أولوية واضحة لواقع حياتي ومجتمعي وتنموي محدد، في بيئة مشجعة للبحوث التكاملية ومؤسسات وقيادات مقتدرة ومتحمسة وداعمة للفريق البحثي متنوع

⁽³²⁾ ظهر مصطلح تعدد التخصصات Interdisciplinary (البيئية) بالولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الأربعينات من القرن العشرين، للإشارة إلى الأبحاث التي أجريت على الذكاء الاصطناعي، وبعد ذلك في الخمسينات والستينات من القرن الماضي تحول هذا المصطلح وأصبح يُطلق على مختلف العلوم والتطبيقات والمعارف المتجاورة والمتقاربة، وقد كانت هذه المنهجية تطبق بدايةً على المشاكل المعقدة، والوضعيات الصعبة، والظواهر المركبة، ثم انتقلت إلى كافة العلوم بغرض إنتاج نموذج معرفي يتيح للفكر التكامل والتفاعل والترابط، ومنه يمكن إدراك طبيعة المعرفة العلمية المعاصرة انطلاقاً من تفاعلها وتداخلها في مختلف فروعها. انظر: (الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب: ادغار موران، ترجمة أحمد القصور، ط1، دار بوبقال للنشر: المغرب، 2004م، ص 22).

⁽³³⁾ الخارطة الاستراتيجية لتفعيل مدخل الدراسات البيئية في التعليم العالي لمواكبة التخصصات المستقبلية: د. دعاء حمدي محمود، مجلة كلية التربية ببنها، العدد (133)، 2023م، ص 589.

⁽³⁴⁾ رؤية استشرافية لمستقبل التخصصات البيئية: أحمد أبو الحمائل، مؤتمر المعلوماتية وقضايا التنمية العربية، 2009م.



التخصصات، يتصف بحبه للعمل بروح الفريق، ويتوفر التمويل والإمكانيات اللازمين لهذا العمل، الذي ينتج عنه بحوث ناضجة واضحة المعالم، هي ثمرة دمج تخصصين أو أكثر، تمّ التداخل والتفاعل فيما بينها على أساس وحدة المعرفة وتكاملها.

ومن هنا لزم بيان أوجه الاختلاف بين الدراسات البينية المتكاملة والدراسات المتعددة التخصصات، وهي على النحو التالي⁽³⁵⁾:

أولاً: تعني الدراسات البينية المتكاملة بوحدة المعرفة وتكاملها بين التخصصات المختلفة لإنتاج معارف جديدة لحل مشكلة ما، بينما تسعى الدراسات المتعددة التخصصات إلى حل قضية ما دون التكامل المعرفي والدمج بين العلوم.

ثانياً: تقوم الدراسات البينية باستعارة مفاهيم وطرائق البحث من حقل علمي إلى آخر والمزاوجة بين تخصصين أو أكثر، بينما تقوم الدراسات المتعددة التخصصات بإنتاج مساهمات علمية منفصلة لمشكلة ما دون محاولة المزج والتركيب بين تلك العلوم حيث يقتضي حل مشكلة في مجال ما طلب مجموعة من المعلومات من علوم أخرى دون أن تؤدي هذه الاستعارة إلى تغيير في التخصص. ثالثاً: تتجاوز الدراسات البينية الفواصل التقليدية بين التخصصات المعرفية نتيجة الحاجة إلى وجود فروع معرفية جديدة بمشاركة أصحاب الخبرات من المتخصصين، بينما تعتبر الدراسات المتعددة التخصصات نوع من التعاون دون تخطي حدود التخصص وأطره النظرية والمنهجية حيث يتناول كل تخصص مشكلة الدراسة من منظوره.

أهميتها:

وبعد النظر في تعريفاتٍ عديدةٍ للدراسات البينية، نجد أنها تتفق على الآتي:

1. أن علم الدراسات البينية يُركز تحديداً على المشكلات، أو الأسئلة المُعقدة جداً، والتي لا يُمكن لاتجاه فكري واحد من تقديم حلول لها، ومن ثمّ يقدم أفكاراً ابتكارية تجمعها في فكرة واحدة.
2. أن علم الدراسات البينية يقوم بتقييم نتائج البحوث المتخصصة.
3. يستفيد علم الدراسات البينية من النظريات المختلفة للعلوم المتخصصة.
4. علم الدراسات البينية يُصنف كل فرع من أفرع العلوم المختلفة ومن ثمّ يعمل على دمج تلك العلوم بطريقة منضبطة لتكون علوم جديدة أكثر شمولاً وأكثر دقة⁽³⁶⁾.
5. الدراسات البينية ليست جامدة وإنما تتطور تصاعدياً بناءً على البنية الاجتماعية والفكرية لحقل الدراسات ومجتمع البحث العلمي.
6. البحوث البينية تتمحور حول تحقيق المصالح ودرء المفساد ومن ثمّ تحقيق السعادة والرفاه والحياة الطيبة للإنسان.

⁽³⁵⁾ دور إدارات الجامعات السودانية في تشجيع الشراكات في التخصصات البينية في العلوم التربوية: مصطفى عطية رحمة الله، مجلة بحوث كلية التربية، 2021م، ص 1892.

⁽³⁶⁾ انظر: أوراق المؤتمر العلمي الدولي (مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية والاجتماعية).



7. تقوم الدراسات البينية على العمل الجماعي للبحث العلمي.
8. يتحقق بها التكامل الذي لا يقتصر على تنوع حقول المعرفة بل أيضاً على منهجيات البحث وأدواته وغيرها من المناهج البحثية وأدوات جمع البيانات.

المطلب الثاني: أهداف الدراسات البينية ومعوقات تفعيلها:

مما سبق ذكره ظهرت أهمية الدراسات البينية بشكلٍ واضح من خلال توفير المعلومات لصانعي القرار الذين يحتاجون بصورة متزايدة إلى المعلومات والبيانات حول الجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئة الثقافية، وإذا لم تُقدّم الدراسات العلمية هذه المعلومات، فسيلجأ صانعو القرار إلى اتباع أسلوب التخمين، وصياغة سياسات قد تبتعد عن الواقع، فوضع السياسات وصياغتها يحتاج إلى تكامل المعلومات العلمية حول الجوانب المختلفة للمشكلة البحثية موضوع الدراسة⁽³⁷⁾.

ومن ذلك تحددت أهداف واضحة للدراسات البينية هي:

1. إنتاج المعرفة: فالحاجة إلى إجراء الدراسات البينية حالياً أصبحت أقوى من ذي قبل، حيث أن هناك العديد من المشاكل المتزايدة التي لا يمكن أن تحل بصورة وافية عن طريق تخصص واحد معين، كما تساعد الدراسات البينية على مواكبة التطور الجاري في كثير من التخصصات واستحداث تخصصات جديدة أخرى تعنى باحتياجات المجتمع من أصحاب الكفاءات العلمية، وزيادة التفاعل من العلوم الطبيعية والاجتماعية.
2. دمج المعرفة: وتعني ربط وتكامل المدارس الفكرية والمهنية والتقنية للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية مبنية على العلوم الأساسية والطبيعية، فهناك بعض المشاكل والظواهر التي لا يمكن معالجتها عن طريق تخصص واحد.
3. الإبداع في طرق التفكير: وتعني القدرة على عرض القضايا ومزج المعلومات من وجهات نظر متعددة لدراساتها وتعميق فهمها.
4. تحقيق التكامل: ويعني إدراك ومواجهة الاختلافات بين التخصصات المختلفة، للوصول إلى وحدة المعرفة المتكاملة والأكثر شمولاً من المسموح به من قبل رؤية واحدة أو تخصص واحد.
5. انعكاس الدراسات البينية على ذاتها: مقومة لمنهجه، وأدواته، ونتائجه، فالبينية هي إطار لمواجهة النزعة التخصصية المتنامية.

معوقات تفعيل الدراسات البينية:

لتتحقق الأهداف المرجوة من الدراسات البينية والاستفادة منها في حلّ المشكلات البحثية، فلا بد من تشخيص واقع الدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الإنسانية، وتحديد التحديات التي تواجه الباحثين في هذا المجال.

(37) أ.د. عبد الرازق مختار محمود: (الدراسات والبحوث البينية مدخل لتطوير الدراسات التربوية)، مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية، مج 2، عدد 4، ج 2، 2022م.



وبعد النظر في الدراسات السابقة نجد أن أغلب الدراسات التي تبحث في مستقبل الدراسات البينية قد اتفقت على أن هذه المعوقات تتلخص في الآتي:

1. المبالغة في رسم الحدود بين التخصصات انعكس سلبياً على تفكير الإنسان وتوجيه قدراته العقلية والفكرية في تناول القضايا وحل المشكلات بشكل يتصف بالشمولية التكاملية والانفتاح على مجالات المعرفة المتنوعة.

2. شعور الحقول المعرفية الراسخة بالتهديد، حيث يتم تهميش الدراسات البينية باعتبار أنها تُقلص أهمية التخصص وتؤدي إلى اضمحلاله.

3. إن أعضاء هيئة التدريس من الباحثين الذين يركزون على الدراسات البينية قد عزلوا أنفسهم من صميم مجال تخصصهم، حيث تُركز الدراسات البينية على هامش التخصص، مما يقلل من سمعة الأكاديمي في عيون زملائه ويقلل فرص بقاءه في عمله.

4. افتقاد الرؤية الدقيقة والمناسبة لكيفية بناء الدراسات البينية بالجامعات نتيجة لضعف العلاقة بين الجامعات وسوق العمل.

5. عدم وجود الخبرة في البحوث البينية لدى المراكز البحثية والجامعات.

6. عدم وجود سياسة للبحوث البينية والتكاملية.

7. استراتيجية البحث العلمي في أغلب الجامعات والمراكز البحثية لا تتضمن برامج الدراسات البينية.

8. عدم وجود المناخ المشجع في الجامعات لتحفيز الطلاب للانضمام إلى برامج الدراسات البينية، مما أدى إلى قلة الخبرة في هذا المجال.

9. عدم وضوح مفهوم الدراسات والبحوث البينية للباحثين.

10. ضعف اشتراك الطلاب في عمل البحوث والعمل في الفرق البحثية، والرغبة في العمل المنفرد، مع غياب القيم الثقافية المعززة لعمل الفريق والتعاون.

11. قلة طرح برامج دراسات عليا بينية لإتاحة المجال أمام الدارسين المتفوقين لاستكمال تعليمهم بما يُرسخ فكرة التداخل والاندماج بين مختلف المعارف والعلوم.

12. عدم الحماس والاقتناع بالتغيير إلى البحوث التكاملية من قبل الباحثين وصناع القرار.

13. رغبة عضو هيئة التدريس للعمل منفرداً وذلك بغرض نشر أبحاث لغرض الترقية، فأبحاث الدراسات البينية قد تواجه في كثير من الأحيان مشكلة عدم انتمائها لتخصص محدد وبالتالي عزوف الباحثين عنها.

14. عدم توفر البنية التحتية والتمويل الكافي للعمل في البحوث البينية.

15. عدم نشر التجارب الناجحة في مجال البحوث البينية وإطلاع أفراد المجتمع ومؤسساته عليها.

ويمكن القول بأن الصعوبات التي تواجهها الدراسات البينية على رأسها قلة التمويل، وقلة المدارس العلمية التي تتبنى الدراسات البينية.



المطلب الثالث: موقف الدراسات البيئية من دراسات الإعجاز العلمي:

دراسات الإعجاز العلمي هي جزء أصيل من الدراسات القرآنية وباب من أبواب علوم القرآن، وقد مثلت صورة من صور الدراسات البيئية تتضح بالنظر الفاحص لمنهج الدراسة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وبالنظر إلى الإطار الأشمل وهو الدراسات البيئية القرآنية من خلال أهميتها وبيان مراحل تطورها نجد الآتي:

1. أنّ الدراسات البيئية القرآنية ذات جذور ثابتة وتاريخ ممتد، فهي ليست انعكاساً لطبيعة هذا العصر أو بدعاً من المناهج والطرق، لكن تزداد أهميتها في هذا العصر خاصةً لطغيان المادة وسلطان المدنية وتقارب الأمم والشعوب.
2. الأكمل منهجاً في الدراسات البيئية القرآنية أن يتشارك باحثان أو أكثر أحدهما متخصص في الدراسات القرآنية، والثاني متخصص في العلم الآخر البيئي، ليكمل أحدهما الآخر ويصنعا دراسة متخصصة مكتملة الأركان.
3. منافذ الدراسات البيئية القرآنية متعددة، وطرق الوصول إليها متنوعة وهي متماشية مع شمول مصدر تلك العلوم ومبعث الدراسات والفهوم وهو الكتاب العزيز.
4. الدراسات البيئية تمنح القدرة على الفحص وسبر الأحكام المطلقة على العلوم والأفكار والشخصيات، لأنها توسع المدارك وتفتح مناطق متعددة للتقييم والإعداد.
5. الدراسات البيئية مظهرٌ من مظاهر الجمال المعرفي والذوق العلمي وتحقيق روح التكامل الذي طبع الله به الحياة⁽³⁸⁾.

الدراسات البيئية في علوم إعجاز القرآن الكريم:

دراسات الإعجاز في القرآن الكريم بينت وجوه عديدة من تضافر أبواب المعرفة لبيان أوجه إعجاز القرآن البلاغي التشريعي والعلمي وغيرها من أبواب الإعجاز.

والإعجاز القرآني من الموضوعات المهمة التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً، ولذلك انتبه العلماء المسلمون إلى أنّ التكامل المعرفي بين العلوم ضرورة ملحة لبيان أسرار الإعجاز القرآني، من خلال توظيف مجموعة من التخصصات خدمةً للموضوع الواحد وهو الإعجاز، مثل البلاغة والطب والفلك والفلسفة وهذا من أهم مظاهر الفكر البيئي فكان العالم الموسوعي، وبالتالي إنتاج فهم مقبول يحقق مقتضيات المنهج العلمي ومتطلبات العقل البشري دون الإشارة إلى التسميات الحديثة للفواصل بين العلوم من مصطلحات، وهي المرحلة في التدوين سبقت مرحلة التخصصية في البحث العلمي.

⁽³⁸⁾ انظر: الدراسات البيئية القرآنية: أ.د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي، ود. محمد حسين الأنصاري، ط1، 1445هـ-2024م، مركز تفسير للدراسات القرآنية.



ومن صور تشجيع العلماء للبينية قول الإمام الغزالي (450هـ - 505هـ): (الوظيفة الخامسة أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا ويُنظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة بعضها مرتبط ببعض)⁽¹⁾. وكذلك وافقه ابن خلدون (732هـ - 808هـ) فقال: (أعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم التلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة وإذا تجرد لها، فيقع القصور دون رتبة التحصيل)⁽²⁾. وقال شهاب الدين القرافي (ت 684 هـ): وكم يخفى على الفقيه والحاكم الحق في المسائل الكثيرة بسبب الجهل بالحساب والطب والهندسة فينبغي لذوي الهمم العلية أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم:

وَلَمْ أَر فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً ** كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ⁽³⁾

أثر ونتائج تطبيق الدراسات البينية في الدراسات القرآنية:

بعد تطبيق الدراسات البينية في حقول المعرفة المختلفة، تأكد لدى الباحثين أهميتها الكبيرة في التكامل بين العلوم الإسلامية، بينها وبين فروع المعرفة الأخرى بل أصبحت امر ضروري ومطلوب أكاديمي وضرورة بحثية، وقد تشكلت صور عديدة لمناطق التلاقح بين العلوم الإسلامية وغيرها من الأنساق المعرفية، التي تعمل على تحقيق وحدة معرفية تكاملية تعمل على الاستفادة من الحقول المعرفية المتنوعة. وأما الدراسات القرآنية وعلاقتها بالدراسات البينية، فإن فهم النص القرآني يعكس بوضوح درجة الارتباط بينهما وحدة الهدف، فتتعدد الآليات والاجتهادات على قدر الطاقة البشرية⁽⁴⁾، عكس حصيلة كل مفسر من ثقافة عصره، ومدى تمثله واستيعابه لما اختص نفسه به من هذه الثقافة ومنها نجد تعدد اتجاهات التفسير التي تجسد الدراسات البينية والتكاملية القرآنية التي تشاركت مع العلوم الاجتماعية والنفسية واللغوية والتربوية والفقهية والإدارية والطبية والتجريبية في صناعة المعرفة على أسس ثابتة،

(1) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة: بيروت، ج1، ص51-52.

(2) مقدمة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد، ط3، نهضة مصر للطباعة: القاهرة، ج1، ص339.

(3) البيت لأبي الطيب المتنبي، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، إسماعيل بن عباد بن عباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: 385هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، 1385هـ - 1965م، ص66. أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684 هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1998م، ج4، ص31.

(4) ومنه معنى (التفسير): وهو في اللغة الكشف والبيان، وفي الاصطلاح هو علمٌ يبحث فيه عن بيان القرآن الكريم، ومعرفة مراد الله تعالى منه، واستخراج حكمه واحكامه، وعلومه بقدر الطاقة البشرية ومن العلوم التي يحتاجها المفسر بالضرورة: هي اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة واصول الفقه والتوحيد، ومعرفة اسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمهم، وعلم الموهبة (مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، ج2، ص51).



وتركز على التفاعل بينها ودمجها في إطار مفاهيمي شامل يساعد على تقديم حلول شرعية للمجتمع في قضاياها المختلفة.

أثر الدراسات البينية على علوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هي صورة من صور الدراسات البينية تحتاج إلى دراية بمنهجية البحث في الدراسات البينية وضوابطها، لصياغة وتشكيل أبواب في المعرفة تخدم الأغراض التالية:

1. المحافظة على تركيب المجتمع المسلم من حيث الربط بين الاصل والمعاصرة.
2. فتح مجالات جديدة من المعرفة، فالدراسات البينية تنوحي الكشف عن مناطق التخوم بين العلوم، وخصوصاً تلك التي يحتاجها صاحب تفسير الآليات الكونية في القرآن الكريم.
3. الدراسات البينية تجمع بين التخصص والموسوعية وتؤمن بالتكامل المعرفي.
4. تبشر بمنهجية جديدة تتضافر فيها كافة العلوم لخدمة التفسير.
5. العلوم الانسانية والكونية مرتّ بحقب عديدة، وتعود الآن الموسوعية من باب الدراسات البينية، وخدمةً لبعض التخصصات التي أصابها الجمود ولم تعد قادرة على خدمة المجتمع.
6. تراثنا عرف الدراسات البينية مبكراً، وكثيراً منها كان متقدماً، وبها نستطيع تطوير معرفة قادرة على دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وخلق معرفة مركبة ومتكاملة وفق خطاب راشد بين مختلف العلوم.
7. المقدرّة على اجتذاب الطلاب في المراحل الجامعية، وإنتاج باحث شامل ونُظم إدارية تواكب التخصصات الجديدة.
8. تطوير لغة البحث العلمي وإيجاد لغة بينية مختلفة، وتحقيق التجديد والإبداع في مجالات العلوم الشرعية.
9. تفعيل العمل الجماعي المشترك بين الباحثين في العلوم المختلفة.
10. إعادة النظر في أسس تنظيم المعرفة وتوزيعها في ميادينها العلمية والتخصصية وفي تطوير أساليب نشرها وطرائق البحث ومنهجيتها من منطلق ربط العلوم والمعرفة بمصدرها الرئيس.



المبحث الثالث: نماذج من دراسات الإعجاز العلمي و أثر الدراسات البينية في تطويرها

إنّ التوجه نحو الدراسات البينية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، يُسهم في توسيع دائرة البحث العلمي، كونه يسمح بالاختراقات الأمانة المعرفة والمنهجية بين التخصصات، في الوقت الذي يحافظ على حدود التخصصية والضوابط العلمية للبئية المعرفية التي تتعامل معها تلك العلوم المتخصصة ومقتضياتها البحثية، لا سيما أن دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تتعامل مع تخصصين أو أكثر، أحدها علم تفسير القرآن الكريم إلى جانب فروع أخرى من المعارف والعلوم التطبيقية.

والتخصص البيني لا يعني محو هوية التخصص المنفرد، بل يُحاول أن يجد أطراً علمية تساعده على إيجاد قنوات يتواصل من خلالها مع التخصصات والمعارف الأخرى التي تبعث فيه الحيوية والنشاط المستمر.

كما أن الدراسات البينية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يمكن تصويرها في إطار الممارسة المتعددة الميادين، وتكون محل التقاء الباحثين في المجالات المختلفة حول تفسير آية من الآيات الكونية مع الاستعانة بعلوم أخرى لبيان الإشارات الكونية في الآية، بحيث يحتفظ كلٌّ منهم لدى معالجته بخصوصية مفاهيمه ومناهجه وتخصصه، وبه تستدعي التفاعل والإثراء المتبادل.

المطلب الأول: المعايير التي يجب تتبعها في الدراسات البينية:

تحدثت كثير من الدراسات الحديثة عن (النموذج المعياري للدراسات البينية)⁽¹⁾، ومن أشهرها ما قدمه مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية لتطوير نموذج حاكم للدراسات البينية، يحتوي هذا النموذج⁽²⁾ على معايير تتضمن وجود تكامل حقيقي بين الموضوعات محل البحث، وتحددت هذه المعايير في الآتي:

- المعيار الأول: التوازن.

- المعيار الثاني: الربط.

- المعيار الثالث: الأصالة.

- المعيار الرابع: المرجعية.

- المعيار الخامس: المتلقي.

بتطبيق ذلك على الدراسات البينية، ينتج عنها دراسات لها دور في إثراء الأفراد بجوانب المعرفة الشاملة، والارتقاء بمهارات التفكير والتحليل المنطقي، ولا يقف دورها عند هذا الحد، بل يتعدى إلى التصدي للتحديات المستقبلية، وتحديث البرامج والخطط من منطلق احتياجات المجتمع ومتطلباته من

(1) النموذج المعياري لمقررات البينية: مصنفات مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر، ص 3.

(2) النموذج المعياري: هو النسق المنهجي المشتمل على عناصر وصفية تفسيرية حاکمة على موضوع معرفي محدد.



أجل تحقيق التوافق بين مخرجات التعليم وسوق العمل من ناحية، وبناء أسس مجتمع المعرفة من ناحية أخرى⁽³⁾.

وأما دراسات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فيمكن اعتبارها جزءاً من الدراسات البينية، وفي حالة أخرى يمكن أن تكون هي الموجه لعدد كبير من هذا النوع من الدراسات، وأن المنهج الذي تقوم عليه هو التقاء باحثين في ميادين مختلفة حول موضوع مشترك يحتفظ كل منهم لدى معالجته بخصوصية مفاهيمه ومناهجه وتخصصه.

وتتخذ هذه الدراسات البينية مجموعة من الخطوات المنهجية التمهيدية المشتركة تتمثل في:

1. تحديد موضوع الدراسة وضبط إشكالياته.
2. حصر التخصصات المؤهلة لحل الإشكالية.
3. إعداد الفرق البحثية وإيصال مهام ضبط مفاهيم الإشكالية وضبط حدودها.
4. دراسة الإشكالية من وجهة نظر كل تخصص.

● مراحل الدراسة البينية:

1. استخراج رؤية كل تخصص وتحديد مشكلة الدراسة وطرح إشكالياتها.
2. مقابلة رؤى التخصصات فيما بينها بتسليط الضوء على النقاط المشتركة والمختلف فيها.
3. تقييم نتائج المقابلة ودراسة الإشكالية وعلاقتها ببقية التخصصات.
4. تحديد فروض كل تخصص ورؤيته.
5. الخروج برؤية مشتركة بينية للإشكالية وفق مبادئ ونماذج مبتكرة يتم على أساسها بناء فهم جديد للمشكلة قيد البحث.

المطلب الثاني: كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار:

التعريف بمؤلف الكتاب:

هو محمد بن علي بن حامد بن علوي البار، وُلد في مدينة عدن باليمن في العام 1939م، درس في عدن إلى أن تخرج من المرحلة الثانوية، درس كلية الطب جامعة القاهرة، أكمل دراسته وحصل على زمالة الكلية الملكية البريطانية للأطباء، عمل استشاري أمراض باطنية ومستشار قسم الطب الإسلامي في مركز الملك فهد للبحوث الطبية بجامعة الملك عبدالعزيز ومدير مركز أخلاقيات الطب في المركز الطبي الدولي بجدة، تجاوزت مؤلفاته التسعين كتاباً في الطب والأدب والتاريخ وعلم الأديان، ومن أشهر مصنفاته: علم التشريح عند المسلمين، الأخلاق أصولها الدينية وجذورها الفلسفية.

⁽³⁾ الدراسات البينية في البحوث التربوية الواقعية والتحديات ومقترحات التطوير: د. عائشة علي محمد البكري، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، العدد 30، ص 80.



التعريف بالكتاب:

كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن يتحدث عن موضوع الخلق والتكوين في الإسلام وكيفية تفسير هذا الموضوع من خلال الطب والقرآن. قسمه المؤلف إلى مقدمة وخمس وثلاثون فصلاً تناولت مرحلة الخلق، وعالم النذر، وكلمات الله، ونفخ الروح، وكتابة الملك، وتطور خلق الإنسان، والكلمات الثلاث، والإجهاض، مستهدلاً بكتاب الله وسنة رسوله مهتدياً بكلام العلماء والمفسرين⁽⁴⁾.

منهج الكتاب:

يقول المؤلف: (إنّ علم الأجنة وما يقوله الطب في خلق الإنسان من النطفة إلى العلقة إلى المضغة واضحٌ جلي، وقد درسته من قبل دراسة وافية في كلية الطب ولكن دون تبصر وربط بالآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو كلام علماء الإسلام، ولم يكن لنا مجال للفكر والتدبر في آيات الله التي نراها أمام أعيننا وأبصارنا.

وكان المنهج الذي ندرس على ضوئه يبعدها إلى حدٍ كبير عن الالتفات والتدبر ورؤية الخالق سبحانه تعالى، فأعدت الدراسة بعد ذلك على ضوء آخر الأبحاث في هذا المجال)⁽⁵⁾.

ثم يقول د. محمد علي البار: (والكتاب يعرض التفاصيل بين التفسير والحديث وكلام العلماء قلّ من يفهمها إلا من كان له إمام بدراسة الكتاب والسنة، كما أنّ الكتاب يعرض تفاصيل طبية قلّ من يُدرّكها من غير الأطباء وطلبة الطب والصيدلة والعلوم. وبذلك يصعب على غيرهم متابعتها وفهمها، فاضطرت إلى إعادة كتابة بعض الفصول وإلى حذف فصولٍ أخرى - متعلقة بالحيض والقرار المكين ودورة الأرحام - تجنباً للإطالة.

واعتمدت في كثير من الفصول على الصور الجميلة الأخاذة في توضيح الآيات والأحاديث بدلاً من التفصيل بالكتابة، وحسب علي فإن جهداً في هذا المجال لم يسبق إليه في العصور الحديثة.

أما في عصور ازدهار العلم فقد كان الأئمة الأعلام من أمثال الغزالي (450هـ - 505هـ)، والرازي (544هـ - 606هـ)، وابن القيم (691هـ - 751هـ)، والنووي (631هـ - 676هـ)، وابن حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ) وغيرهم - يجمعون إلى تبصرهم بعلم الكتاب والسنة تبصرهم في علوم الدنيا وعلوم الطب.

إننا لم نذهب إلى قولٍ ولم نأتِ بشرحٍ لآية من كتاب الله أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ إلا وقد سبقنا إليه في معظم الأحيان أولئك الأفاضل من الرجال، ولم يكن لنا سوى أن نوضح أقوالهم بما يقوله الطب اليوم مؤيداً بالصور الفوتوغرافية البارعة التي لم يكن لي فضل التقاطها. والكتاب بعد ذلك يتعرض لمسائل دقيقة كل الدقة، بعيدة الغور صعبة المنال، مثل عالم النذر وكلمات الله ونفخ الروح، وكتابة الملك، وتطور الخلق والظلمات الثلاث، والإجهاض.

ولقد حاولت جهدي أن أسير على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله مهتدياً بكلام جهابذة العلماء)⁽⁶⁾.

(4) ذكريات وإضاءات في تاريخ عدن واليمن: د. محمد علي البار، ط1، دار الوفاق للنشر والتوزيع: الرياض، 2019م، ص (6-10).

(5) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد علي البار، ط8، الدار السعودية للنشر والتوزيع: جدة، 1412هـ-1991م، ص20.

(6) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص21.



نموذج من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية 14)، وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح، وقد تحدثنا عن التصوير وتكوين الوجه ويدخل في التصوير أيضاً جعله ذكراً أو أنثى. والآيات الدالة على التصوير كثيرة منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران، الآية 6)، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (سورة الأعراف، الآية 11)، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة التغابن، الآية 3)، ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (سورة الانفطار، الآيات 6-8)، ومن أسماء الله الحسنى المصوِّر ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (سورة الحشر، الآية 24).

وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده، فهي تشمل جميع الأطراف، فالأطراف مثلاً عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكاثف لخلايا الميزودرم (الطبقة المتوسطة) مغطى بغطاء من الطبقة الخارجية (الاكتودرم).

ثم تتكون في الطبقة المكثفة من الميزودرم خلايا غضروفية وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج الغشائي، ثم ما تلبث الخلايا العظمية Osteoblasts أن تظهر فتقوم بتفتيت النسيج الغضروفي كما تتكون خلايا أكلة Chondro Clasts فتأكل الغضاريف وخلاياها وتضع الغضاريف عظاماً تكون مراكز للمتعظم Centres Ossification وينتشر منها التمعضم في أجزاء الهيكل الغضروفي.

إنّ عملية الهدم والبناء والتعديل مستمرة في الجنين بشكل مثير، إذ كل يوم بل كل ساعة نشهد جديداً. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تتكون الغرف المتتالية الأذين العام Common Atrium والبطين العام Common Ventricle ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن، وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضاً تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي.

ومن له أدنى إلمام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، يعرف كيف أنّ أجهزة الجسم المختلفة وتهدم ويعاد بناؤها باستمرار وتتجلى هذه التسوية والتعديل في أجلى صورها في الجنين، ثم نسبياً بعد الولادة، ثم نقل كذلك بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى في الشيخوخة.

هناك جهاز واحد فقط لا يشمل التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبي (الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب) لا يتغير بعد الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنه يتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها، ففي كل لحظة هناك تغيير في الشكل أو الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها أو في بناء مجموعة أخرى⁽⁷⁾.

(7) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص (374-375).



الدراسة:

النموذج الأول: الذي قدمته الدراسة الحالية كنموذج للدراسات البيئية هو: الدراسة البيئية الناتجة عن التكامل المعرفي بين تخصص التفسير وعلوم القرآن، وتخصص الطب.

وقد تبين من خلال الدراسة الآتي:

1. أن الكتاب قد جمع كماً كبيراً من المعرفة الطبية بخلق الإنسان ومراحل هذا الخلق بدراسة طبية دقيقة مع الاستدلال على ذلك بما ورد من تفسير للآيات القرآنية التي جاءت على ذكر الخلق في القرآن الكريم وبيان ذلك من السنة النبوية الشريفة.
2. حجم الكتاب لم يكن كبيراً بالقدر الذي يدعو القارئ إلى الملل من محتواه ولا صغيراً يؤدي إلى خلل في القيمة العلمية المستفادة منه.
3. أدي تخصص المؤلف في مجاله كونه طبيباً إلى الثقة في المادة العلمية التي قدمها من خلال الكتاب مستدلاً بالمصادر العلمية ذات الثقة والصور التي تعمل على إيصال الفكرة بقدر أقل من الجهد.
4. مقارنة تفسير الآيات القرآنية في مجال الدراسات بالحقائق العلمية المستقاة من مصادرها يعدُّ فتحاً في مجال الإعجاز العلمي في آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم.
5. يمكن اعتبار الكتاب رائد للدراسات البيئية في باب الإعجاز العلمي في آيات خلق الإنسان والاستهداء به في المجال الطبي.

المطلب الثالث: كتاب المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار:

التعريف بمؤلف الكتاب:

هو زغلول راغب محمد النجار، عالم جيولوجيا وداعية إسلامي مصري، ولد بمحافظة الغربية (17 نوفمبر 1933م) حفظ القرآن منذ الصغر، درس في كلية العلوم جامعة القاهرة بقسم الجيولوجيا وتخرج منها سنة 1955م، ثم نال درجة الماجستير في جامعة ويلز بإنجلترا، حصل على الأستاذية في العام 1972م وتدرج في العديد من الوظائف، له أكثر من مئة وخمسين بحثاً ومقالاً علمياً منشوراً، وخمسة وأربعين كتاباً باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، منها الأرض في القرآن الكريم، وتفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ومدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة. جاب أقطار الأرض محاضراً عن الإسلام وقضايا المسلمين خاصة قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة⁽⁸⁾.

التعريف بالكتاب ومنهجه:

كتاب المفهوم العلمي للجبال يتحدث عن أوجه إعجاز القرآن الكريم في الجبال، يتجلى في الكتاب تخصص الكاتب في علم الجيولوجيا.

ذكر فيه أن الإعجاز العلمي للجبال يتجلى في مفهومين:

(8) زغلول النجار من موقع (www.marefa.org) بتاريخ 2020/2/1م، دار المعرفة - تعريف بالدكتور ومؤلفاته ومقالاته.



الأول: أن توصف الجبال في القرآن بالأوتاد وهي إلى الآن التعبير الأكثر دقة في غالبية المعاجم والموسوعات لكون ثلاثة أرباع الوتد تحت الأرض والجزء الظاهر منه يمثل الجزء الأصغر فوق سطح الأرض.
الثاني: في استعمال كلمة رواسي وهي وظيفة ضبط التوازن على الكرة الأرضية.

الكتاب ينقسم إلى ثمانية فصول تناول فيها الآيات الكونية التي جاءت بذكر الجبال وكيفية تثبيتها على سطح الأرض ثم تحدث عن اكتشاف جذور الجبال والتوازن الضغطي وعلوم الأرض الحديثة وكيفية تكون الجبال.

نموذج من الكتاب:

يقول د. زغلول النجار: (ويصف القرآن الكريم في آيةٍ أخرى من سورة فاطر الجبال بأنها تتكون من جُدَدٍ بيضاء وحمراء مختلفة الألوان ومن جُدَدٍ أخرى سوداء) فيقول: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (سورة فاطر، الآية 27).

ولعل في ذلك إشارة إلى كل من الجبال الحامضية وفوق الحامضية في تركيبها الكيميائي والمعدني، والتي تتكون أساساً من الصخور الجرانيتية ويغطي عليها اللون الأبيض والأحمر بدرجات متفاوتة، ولذلك قال ربنا -عزّ من قائل:- ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ والجبال القاعدية وفوق القاعدية التي تتكون أساساً من صخور خضراء اللون داكنة الخضرة إلى السوداء اللون مثل جبال أوسط المحيطات، (وفي اللغة يوصف الأخضر بالأسود، والأسود بالخضرة) ولكل نوع من هذين النوعين من الجدد نشأته الخاصة وتركيبه الكيميائي والمعدني الخاص بصخوره.

وفي موضعٍ آخر، يحث القرآن الكريم الناس على التفكير في عدد من الظواهر في خلق الله سبحانه وتعالى، ككيفية تكون الجبال، وقد أدي هذا التأمل إلى بلورة نظرية التوازن التضاعطي (Isostasy) للقشرة الأرضية، أي تعرضها لضغوط متساوية من جميع الجهات التي تفسر كيف تنصب الجبال على سطح الأرض، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (سورة الغاشية، الآيات 17-20) (9).

• الدراسة:

النموذج الثاني: الذي قدمته الدراسة هو الدراسة البيئية الناتجة من التكامل المعرفي بين التخصص التفسير وعلوم القرآن وتخصص الجيولوجيا وقد تبين من خلال الدراسة الآتي:

(9) من آيات الاعجاز العلمي (المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم): د. زغلول النجار، ط10، 2008م-1429هـ، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ص40.



1. أن الكتاب قد جمع كماً معرفياً ليس بالقليل في مجال تكوين الجبال ومراحله، ودورها في تثبيت سطح الأرض مع الاستدلال ذلك بما ورد من التفسير للآيات الكونية التي جاءت على ذكر خلق الجبال في القرآن الكريم وبيان ذلك من التفسير.
2. حجم الكتاب صغير بالنسبة للكم المعرفي الذي احتاجته فكرة الدراسة من توضيح.
3. أدى تخصص المؤلف في مجاله كونه عالم جيولوجيا إلى الثراء الكبير في المادة العلمية التي قدمها من خلال الكتاب مستدلاً بالمصادر العلمية ذات الثقة.
4. جانب تفسير الآيات الواردة كان ضعيفاً، حيث يتم ذكر الآية والإشارة إلى المعنى الإجمالي لها دون الرجوع إلى كتب التفسير.
5. يمكن اعتبار الكتاب مدخلاً إلى دراسة الإعجاز العلمي في آيات خلق الجبال مع محاولة إنضاج الفكرة من خلال دراسات بينية دقيقة وأصلية تلتزم بمنهجية البحث في الدراسات البينية القرآنية وضوابطها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث ونسأله القبول والرضا، وهذه هي أهم نتائج الدراسة والتوصيات.

أولاً: النتائج:

1. الدراسات البينية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تقوم مقام تأصيل العلوم بطريقة احترافية دقيقة قائمة على منهجية وقواعد منضبطة.
2. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حقل خصب للدراسات البينية التي تعمل على تفعيل المجموعات البحثية القادرة على إنتاج معرفة جديدة أكثر عمقاً من خلال تحقيق التكامل بين العلوم والمعارف.
3. الدراسات البينية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تحتاج إلى تشخيص واقع الأبحاث فيها وتحديد التحديات التي تواجه الباحثين والعمل على وضع السياسات التي تساهم في تحقيق أهدافها.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصت الدراسة بأن يتم التنسيق بين الجامعات والمؤسسات البحثية التي تساهم في بناء إطار عام للدراسات البينية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بوضع سياسات للبرامج البحثية فيه بحيث تحقق أهدافها.



2. تشجيع الباحثين على الاستفادة من الدراسات العليا لخدمة هذه الدراسات عن طريق استحداث برامج أكاديمية تمنح درجات علمية في التخصصات البيئية التي تخدم قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
3. ابتكار آلية جديدة تعمل على تبني ودعم مجالات البحث العلمي في الإعجاز العلمي ونشر الدراسات البيئية فيه وتوزيعها وتسويقها للاستفادة منها وتطبيقها.
4. اعتماد متطلب دراسي في كل البرامج والكليات الجامعية تحت عنوان (مدخل إلى الدراسات البيئية) يكون متطلباً جامعياً لبناء معرفة منهجية وعلمية لدى الطلاب تقوم على ربط الظواهر الكونية بآيات القرآن الكريم وبيان تكاملية المعارف وتداخلها.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1407هـ- 1986م.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1394هـ - 1974م.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ط1، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مكة المكرمة، 1417هـ.
- الأمثال السائرة من شعر المتنبي، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: 385هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، 1385هـ - 1965م.
- أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1998م.
- أوراق المؤتمر العلمي الدولي (مستقبل الدراسات البيئية في العلوم الإنسانية والاجتماعية).
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ-2003م.
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، دار الفكر: بيروت، 1420هـ.



- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: د. عبد المجيد الزنداني، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مكة المكرمة.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر: تونس، 1984م.
- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. مرهف عبد الجبار سقا، ط1، دار محمد الأمين للنشر: دمشق، 1431هـ-2010م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- حولىة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة قطر، (التفسير العلمي للآيات الكونية)، د. بكري زكي عوض، عدد 10، 1992م.
- الخارطة الاستراتيجية لتفعيل مدخل الدراسات البنينة في التعليم العالي لمواكبة التخصصات المستقبلية: د. دعاء حمدي محمود، مجلة كلية التربية ببنها، العدد (133)، 2023م.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد علي البار، ط8، الدار السعودية للنشر والتوزيع: جدة، 1412هـ-1991م.
- الدراسات البنينة القرآنية: أ. د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي، ود. محمد حسين الأنصاري، ط1، مركز تفسير للدراسات القرآنية، 1445هـ-2024م.
- الدراسات البنينة رؤية لتطوير التعليم الجامعي: عمادة بن عبد المنعم أمين، مجلة (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة)، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- الدراسات البنينة في البحوث التربوية الواقع والتحديات ومقترحات التطوير: د. عائشة علي محمد البكري، مجلة العلوم الإنسانية الإدارية.
- الدراسات البنينة: عمادة بن عبد المنعم أمين (رؤية لتطوير التعليم الجامعي)، جامعة الأميرة نورة: الرياض، 1435هـ-2013م.
- الدراسات البنينة، نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي: خميس نادية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، العدد 2.
- دراسات في علوم القرآن: أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط12، 1414هـ-2003م.
- الدراسات والبحوث البنينة مدخل لتطوير الدراسات التربوية، أ. د. عبد الرازق مختار محمود، مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية، مج 2، عدد 4، 2022م.



- الدلالات العقدية للآيات الكونية: د عبد المجيد بن محمد الوعلان، دار ركائز للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1440هـ - 2019م.
- دور إدارات الجامعات السودانية في تشجيع الشراكات في التخصصات البينية في العلوم التربوية: مصطفى عطية رحمة الله، مجلة بحوث كلية التربية، 2021م.
- ذكريات وإضاءات في تاريخ عدن واليمن: د. محمد علي البار، ط1، دار الوفاق للنشر والتوزيع: الرياض، 2019م.
- رؤية استشرافية لمستقبل التخصصات البينية: أحمد أبو الحمائل، مؤتمر المعلوماتية وقضايا التنمية العربية، 2009م.
- زغلول النجار من موقع (www.marefa.org) بتاريخ 2020/2/1م، دار المعرفة - تعريف بالدكتور ومؤلفاته ومقالاته.
- الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب: ادغار موران، ترجمة أحمد القصور، ط1، دار بوبقال للنشر: المغرب، 2004م.
- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، ط8، مؤسسة الرسالة: بيروت، 1426هـ - 2005م.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور (ت: 711هـ)، ط3، دار صادر: بيروت، 1414هـ.
- مجلة مركز بحوث السنة والسيرة: جامعة قطر، نظرات في التفسير العلمي للقرآن معالمه وضوابطه، أ. د يوسف القرضاوي، عدد 9، 1417هـ - 1997م.
- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: د. زغلول راغب محمد النجار، ط1، دار المعرفة: بيروت، 1430هـ - 2009م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
- مقدمة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد، ط3، نهضة مصر للطباعة: القاهرة.
- من آيات الإعجاز العلمي (المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم): د. زغلول النجار، ط10، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، 2008م - 1429هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: مصر، 1423هـ - 2002م.
- النقد العربي المعاصر والدراسات البينية: فطيمة باهي، بسمة كرلود، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي: الجزائر، 2021م.



The Jewish and Christian Theological References in English Translations of the Holy Quran: Between Orientalist Perspectives and The Challenge of Untranslatability: Challenges and Solutions

Dr. Abdelaziz Lakhfaoui

Member of the ALESCO Chair for Education on Sustainable Development and Creative Cultural Heritage, Morocco

Received: 13/11/2024
 Revised: 6/12/2024
 Accepted: 9/1/2025
 Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
 lakhfaoui@gmail.com

Citation: Lakhfaoui, Abdelaziz (2025). The Jewish and Christian Theological References in English Translations of the Holy Quran: Between Orientalist Perspectives and The Challenge of Untranslatability: Challenges and Solutions. *Dalail Journal of Humanities*, 1 (2).

الاستشهاد المرجعي:

لخفاوني ، عبد العزيز (2025) فبرابر) مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي في الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم بين الخلفية الاستشراقية وتحدي عدم القابلية للترجمة: المشكلات والحلول، مجلة دلائل للعلوم الإنسانية، عدد 2. مجلد 1.



© 2025 Publishers/ the International Foundation of Beacons of Intellect / Research team: Education, Languages, and Cultures, Moulay Ismail University, Morocco. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC-ND) license <https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>

Abstract:

Through this research, we aim to delve into the concept of religious translation, prioritizing the translation of the Holy Quran into English. This will be achieved through comparison and interpretation, based on an examination and analysis of visible and hidden elements. On the other hand, we will explore the concept of Jewish and Christian theological references and their relationship with English translations of the Holy Quran. Furthermore, we will explore the realm of Orientalism and its structure related to Quran translation, in addition to the issue of translation void or, as it is also known, untranslatability. Based on the foregoing, it is plausible to assert that Quranic translation is confronted with notable constraints and difficulties, prompting us to pursue extensive research and contribute to the advancement of the areas of humanities and jurisprudence.

Building on the aforementioned, a new methodology can be derived to contribute to the development and enhancement of religious translation. This is what we will delve into in this research.

Keywords: references, Jewish theology, Christian theology, Orientalism, the void in translation.

مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي في الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم بين الخلفية الاستشراقية وتحدي عدم القابلية للترجمة: المشكلات والحلول
 د. عبد العزيز لخفاوني

عضو كرسي الاليسكو للتربية على التنمية المستدامة والموروث الثقافي المبدع، المملكة المغربية

ملخص:

نروم من خلال هذا البحث التطرق إلى مفهوم الترجمة الدينية مركزين في ذلك على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وذلك من خلال المقارنة والتفسير المبنيان على الدراسة والتحليل لما هو ظاهر فوق السطور وما كان تحتها محتجبا. ومن جهة أخرى، سنتوقف عند مفهوم مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي وعلاقتها بالترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم، أضف إلى كل هذا التطرق لمجال الاستشراق وبنيته المرتبطة بترجمة القرآن علاوة على الفراغ في الترجمة، أو كما هو معروف أيضا بالغير قابل للترجمة. واعتمادا على ما سبق، يمكن القول إن واقع ترجمة القرآن الكريم تواجهه إكراهات وتحديات كبيرة تحفزنا للبحث والعمل الجبار للوصول لتجويد العلوم الإنسانية والشرعية.

ووفقاً لما تم ذكره سابقاً، يمكن استخلاص منهجية جديدة تساهم في تطوير وتعزيز الترجمة الدينية. وهذا ما سنتطرق إليه في البحث.

الكلمات المفتاحية: المرجعيات، اللاهوت اليهودي، اللاهوت المسيحي، الاستشراق، الترجمة.



المقدمة:

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

In the name of Allah the most gracious the most merciful

They said: "Glory to Thee, of knowledge We have none, save what Thou Hast taught us: In truth it is Thou Who art perfect in knowledge and wisdom". (Heifer: 32).

سنتناول في هذا البحث الموسوم ب:

مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي في الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم، بين الخلفية الاستشراقية وتحدي الفراغ في الترجمة: المشكلات والحلول

The Jewish and Christian Theological References in English Translations of the Holy Quran: Between Orientalist Perspectives and the Challenge of Untranslatability: Challenges and Solutions.

مسألة الترجمة الدينية من خلال التركيز على مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي الذي يظهر من خلال الفحص والتدقيق، والتمحيص والتحقيق آثار الخلفية الاستشراقية التي ساهمت في توأجدها ونموها، بل وسيطرته على أسطر النص الهدف مسألة عدم القابلية للترجمة Untranslatability.

وهذا كله سيقودنا بعد التحليل والمناقشة بعين الباحث المحايد الغير المنحاز المؤمن بقداسية وقداسة النصوص المقدسة وسموها فوق معتقدي صحتها، ومعتنقي معتقداتها، المحافظين على تعاليمها، وديمومة صيرورتها؛ كله سيقودنا بإذن الله تعالى للوقوف على المشكلات التي سنعالجها ونتطرق إليها للوصول في النهاية لحلول قد تساهم في علاج مسألة عدم القابلية للترجمة Untranslatability. هذا العمل الذي سيكون إن شاء الله عملا خالصا لوجهه الكريم، ليصير رابع ثلاثة بعد أن ينقطع العمل وتجمع الصحف عقب أن جف القلم.

وكما جرت العادة في البحوث العلمية، وجب الوقوف عند عدد من المفردات الهامة المستخدمة في بحثنا هذا، إذ تعتبر تأشيرة عبور داخل المجال المفاهيمي للبحث، ولعلة مقام المقدمة، ستكون التعاريف بالتلخيص والتلميح دون إسهاب وبلا تفري، حيث سنعرض في الآتي من البحث التعاريف وغيرها من مكونات هذا البحث. فنحن اليوم نطرق باب الترجمة، وما بابها باب يسير، بل عسير وعسير، فكيف إذا أضيفت لها عبارة "الدينية" ليصير الباب بوابة، ويرتقي العسير منازل تعانق مزن المستحيل، حتى وإن اقترنا منه نزل بين السماكين أو كان عن يمين الثريا.



فمنذ بداياتها، أو لتكون أكثر دقة دعونا نقول منذ البواكير الأولى لظهور الترجمة الدينية، حظيت بنوع خاص من الاهتمام، أو، بانحياز كبير، كونها تعكف أساسا على دراسة الكتب المقدسة، أي النابعة بالأساس من النصوص المقدسة، سواء ما اتفق على تقديس نصح أو ما اعتبره شخص منفرد أو جماعة متسعة نصا مقدسا.

وبتفصيل أكثر، فالنص مقدس بصفة عامة ليس نصا إلهي المصدر وفق رسالة سماوية (أي رسولية نسبة لرسول معين)، بل إن معيار القداسة في هاته النصوص لا يكمن بالضرورة في ارتباطها برسالة سماوية، بل بالعكس تماما، قد تنبع القداسة من نظرة المُقدِّس للمقدس وعلو ما قدسه، بل ورفعه لمستويات سامية عالية تدخل ضمن هالة القداسة المطلقة الترسندنالية الآمونية الخفية، أي أن المُقدِّس هو من يحدد ويزكي بطريقة مطلقة المقدس، بل يضفي عليه طابع القداسة. وبعبارة جميلة وليدة اللحظة: "المُقدِّس هو من يختم صك المقدس بدمغة القداسة، فيجتمع المقدس والمقدس لتولد القداسة، فتصعد عالية مكونة هالة من التقديس". وما سبق تبيانه يعد المقدس حجرة زاوية في البحث، كون فكرة المقدس تلعب دور الرخ في رقعة شطرنج بحثنا، لأننا نتحدث عن مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي، وهاته المرجعيات هي بالأساس ما قدسه المؤمن اليهودي والمسيحي. أي أن المرجعية الكتابية هي مجموع تلك العقائد والتصورات والرؤى التي تجري في عروق المترجمين غير المسلمين، حيث يصير سلطانها المسيطر خلال العلمية الترجمة، فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا لها نقبا.

إذن، دعونا جميعا نللم شتات ما سبق، لنصل إلى أن المرجعية اليهودية تنطلق من التوراة المقدسة مروراً بالتلمود وصولاً إلى الممارسات اليومية. أما نظيرتها المسيحية، فهي فكر المترجم المسيحي، لكن تجدر الإشارة إلى أن الديانة المسيحية تشترك مع اليهودية في العهد القديم Old Testament، علاوة على العهد الجديد New Testament اللذان يشكلان باتحادهما الكتاب المقدس Holy Bible. أي أن العهد القديم هو المشترك الوحي المقدس الذي يغطي مرحلة زمنية ممتدة من أول الخلق "في البدء خلق الله السموات والأرض" (التكوين: 1-1)، إلى مرحلة البشارة الأولى لقدم السيد المسيح قصد الخلاص، مبتدأ بالصوت الصارخ في البرية، صوت يحييا بن زكريا (يوحنا المعمدان، John the Baptist مؤذنا بمجيء البشارة التي اكملها الرسل بالكراسة من بعده. أمرا المؤمنين بضرورة التمسك بالعهد القديم والعمل بوصاياه مبشرا بدخول الملكوت السماوي (Kingdom of heaven) لمن حافظ عليه ومنذرا بغير ذلك لمن أسقط صغيرة منه فكيف بالكبيرة.

وبعبارات أدق، نرجع جميعا للإصحاح الخامس الآية: 17-20، حيث يقول القديس متى: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُكْمٌ عَلَى الْكُتْبَةِ وَالْفَرَسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ".



"Think not that I am come to destroy the law, or the prophets: I am not come to destroy, but to fulfil. For assuredly, I say to you, till heaven and earth pass away, one jot or one tittle will by no means pass from the law till all is fulfilled. Whoever therefore breaks one of the least of these commandments, and teaches men so, shall be called least in the kingdom of heaven; but whoever does and teaches them, he shall be called great in the kingdom of heaven. For I say to you, that unless your righteousness exceeds the righteousness of the scribes and Pharisees, you will by no means enter the kingdom of heaven". (Matthew, 5: 17-20)

لنسلط الضوء بعد كل ما ذكر أعلاه على فكرة تمخضت عما سلف: أن القرآن الكريم في نظر أصحاب المرجعيات اليهودية والمسيحية، ليس إلا نصا عاديا لا قداسة به ولا فيه ولا معه بالارتباط أو التأثير ضمن ما عرفناه سابقا بمفهوم القداسة ومكونات هالة التقديس، أي أنه نص عربي صنع في الجزيرة العربية، فأخذ من العهد القديم على أيادي يهود يثرب، وروى من ورقة بن نوفل التراث المسيحي؛ لتضاف إليه بهارات الجزيرة العربية فصار قرآنا. ولنطمئن أفئدة القراء الكرام، أنا هنا أعكس لكم مخيال المترجم اليهودي والمسيحي، فنحن هنا ندرس ونحلل الفكرة لا الشخص بكل نزاهة وحياد. فنحن أطباء أفكار مسطورة لا ما في القلوب المنشورة.

وبعد مرورنا بشذرات من التعريفات والتقديم المختصر، صار بإمكاننا حياكة ما سبق ذكره لننسج تعريفا لمفهوم "اللاهوت" الذي ارتبط أساسا بالمسيحية، حيث يعتبر القديس كليمنضدس الإسكندري (المتوفى 250م) مؤسس له وأول من استعمل كلمة الثيولوجيا في المسيحية للإشارة للالهيات التي انصبت عنده على ما سوف يعرف لاحقا بلاهوت اللوجوس أو لاهوت الكلمة.

ولم تبقى هاته المفردة منعزلة وقليلة الاستعمال، بل صارت مبحثا ضخما وعلميا واسعا كبيرا، حيث شاع استخدامها في التراث المسيحي وصارت اسما لمبحث أعظم يدرس طبيعة وصفات الثالوث القدوس، The Holy Trinity: The Father, The Son and The Holy Spirit.

وبعد السباحة جميعا في بحار اللاهوت والمرجعيات الكتابية، دعوني انتقل بعد مباركتكم لبحر آخر أكثر اتساعا يفتح على محيط أكبر، ألا وهو الاستشراق وترجمة القرآن الكريم:

Orientalism and the translation of the holy koran.

إلى الاستشراق، هذا الكائن الغريب شكلا ومضمونا. فهو متجه صوب الشرق وفي ظهره يكمن الغرب. فلو نظرت نظرتة مستشرقا ستأتي لا محالة النزعة الدينية التي تتحرك في المؤمن قبل أي نزعة، بل وتساهم في رسم معالم حياة الإنسان وتقود تصرفاته، وتحكم أخلاقه. فمن نظر من منظار المستشرق لرأى ذلك الشرق المزدهر (نسبيا) المضيء بنور القرآن المتوهج بسنة الكريم عليه السلام. بل فتح وفتحات هناك، وكل هذا بعيد كل البعد عن الغرب ودعهم (أقصد الغرب حاليا بالمفهوم الجغرافي)، أناس مسلمون غير



مؤمنين بالخلاص الأبدي غير مبشرين بالملكوت السماوي. فمن هنا ومن هناك، ولد الاستشراق حاملا وجهين متميزين.

لنبدأ بالوجه الأول للاستشراق الذي جاء ليوقف على حقيقة الكتاب المسمى بالقرآن الكريم ومحاولة إقناع المسلمين بلغتهم العربية الأم، ببطلانه وتعويضه بسماحة وعلو الكتاب المقدس من خلال التبشير والكراسة بأنواع وأثواب، بل وبعلل مختلفة. كون الإسلام في نظر المستشرقين في هذا الوجه الأول دين يزاحم تواجد المسيحية التي امر الكتاب المقدس بنشرها في جميع أقطار الأرض، للتبشير بالملكوت السماوي. يقول القديس مرقس في آخر إنجيله: "وَقَالَ لَهُمْ: «أَذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَعَاتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنَّ". (مرقس 16: 15-18)

وهنا يتقاطع هذا الأمر مع أمر الله في القول الثقيل الموجب للتبليغ، كون الرسول الكريم لم يبعث إلا رحمة للعالمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

أما وجه الاستشرق الثاني، الوجه الحسن (وهاته حقيقية يجب الإقرار بها) وجه ينظر لأهمية الترجمة لغرض الترجمة العلمي المعرفي الأكاديمي، وقد انصب هذا الهمم الكبير نحو النصوص الدينية ثم انتقل بسلسلة صوب الكتب العلمية من طب وحساب وفلك ورياضيات وقس على هذا. فلو كان الإسلام ديننا ضيقا لفئة قليلة لجاء الاستشراق بالوجه الثاني مكتميا به.

وبعد ذلك سنتطرق للاختلاف الحاصل في جواز ترجمة القرآن من عدمه بعرض مواقف المؤيدين وحجج المعارضين. هذا كله سيحيلنا لمسألة الغير قابلة للترجمة Untranslatability ، حيث سنعالج مسألة العبارات الغير قابلة للترجمة، أي أنها أرض خصبة ومشتل يلجه أصحاب المرجعيات قصد تحقيق ما يريدون. هذا الأخير سنحاول اظهاره بالبينة والحجة بعد التبيان والتحليل. وفي الختام، وجب التذكير بإيماننا العميق بقدرية حرية المعتقد والدين وسموه فوق الجميع، ودفاعنا عن التسامح والتعايش مع كل الناس، لكن حب المعرفة وتسلق سلم العلم لا يفسد للاختلاف قضية.

أهمية البحث

تكمن أهمية موضوع بحثنا هذا في ارتباطه بحياتنا جميعا لارتباطه بالقرآن الكريم، أضف إلى هذا الارتباط العام نوع آخر من الارتباط يخص الباحثين والمهتمين بمجال الترجمة الدينية. وتزداد أهمية البحث في هذا المجال نظراً للتحديات المتعددة التي تواجه المترجمين في نقل المعاني الدقيقة والأحكام الشرعية والنصوص البلاغية التي يتضمنها القرآن الكريم لا يصلها بكل أمانة ترجمة غير الناطقين بالعربية. لذلك، فإن هذا البحث يرمي إلى الدراسة والتحليل للإظهار المرجعيات اليهودية والمسيحية في الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم. كما سنسلط الضوء على مسألة الغير قابلة للترجمة التي تشكل متاهة لغوية وثقافية تؤدي بدون أدنى شك لسوء الفهم أو تحريف المعاني في بعض الترجمات، مما يبرز أهمية تطوير



منهجيات جديدة ومراجعة الترجمات الحالية لتحقيق أفضل مستوى من الدقة والأمانة في الترجمات الانجليزية للقرآن.

إشكالية البحث

وبناء على ما سبق الحديث عنه يمكن بلورة المشكلات البحثية في:

- عدم الإلمام بأهمية وخطورة المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات القرآن الكريم من لدن الباحث الدارس والقارئ العادي على حد سواء.
- قلة استيعاب مفهوم اللاهوت اليهودي والمسيحي بكل مكوناته وأقسامه وتجلياته على العمل الترجمي.
- تأثير المرجعية/الخلفية اليهودية المسيحية للمترجم على العملية الترجمية.
- صعوبة انسلاخ المترجم عن مرجعيته وثقافته وحمولته المعرفية واتصافه بالحيادية خلال الترجمة.
- صعوبة الوقوف على النظرة الاستشراقية وكيفية تأثيرها على كل من مخيال المترجم والعمل المترجم.
- صعوبة الوصول لترجمة دينية آمنة دونما الرجوع للتفسيرات التراثية والمكونات الثقافية العربية.
- غياب بعض المهارات الأساسية التي تمكن المترجم والدارس من سد الفراغ الترجمي.

أهداف البحث

ومن الأهداف التي نعمل على تحقيقها خلال هذا البحث نذكر على سبيل المثال:

- إظهار بالتحليل والتبيان أهمية وخطورة المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات القرآن الكريم من لدن الباحث من جهة ومن الدارس والقارئ من جهة أخرى.
- فهم وشرح مفهوم اللاهوت اليهودي بكل مكوناته وأقسامه.
- فهم وشرح مفهوم اللاهوت المسيحي بكل مكوناته وأقسامه.
- التعرف على تأثير المرجعية اليهودية والمسيحية للمترجم على المنتج النهائي.
- الوقوف لشرح صعوبة انسلاخ المترجم عن مرجعيته وثقافته وحمولته المعرفية وصعوبة اتصافه بالحيادية خلال العمل الترجمي.
- التطرق للرؤية الاستشراقية وكيفية تأثيرها على المترجم.
- صعوبة الوصول لترجمة دينية آمنة دونما الرجوع للتفسيرات التراثية والمكونات الثقافية العربية.



- غياب أو قلة بعض المهارات الأساسية التي تمكن المترجم والدارس الباحث من العمل على سد الفراغ الترجمي. Untranslatability.
- تحديد آليات التعامل مع الترجمة الدينية.
- الوصول إلى نتائج موضوعية من خلال المقارنة والتحليل.
- منهج البحث

من المعلوم أن هناك مناهج كثيرة يتم تطبيقها على الدراسات العلمية، لذا اخترت من بين تلك المناهج الكثيرة المنهج الوصفي التحليلي مع مقارنة دينية. حيث سأقوم إن شاء الله، من خلال هذا المنهج بعرض الآيات القرآنية المختارة التي تحوي المرجعيات اليهودية والمسيحية فيها، سواء كانت المرجعيات ظاهرة بينة أو مستتيرة خفية.

خطة البحث

وقد استقرت عناصر الورقة البحثية على جملة من النقاط تمثل الحجر الأساس في موضوع بحثنا، ولتحقيق الأهداف ومحاولة الإجابة على التساؤلات أعلاه، قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين اثنين، وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: ضممتها أساساً إشكالية الدراسة، علاوة على بعض المصطلحات والكلمات التقنية التي لا يستقيم البحث غلا بفهمها واستيعابها منذ البداية. حيث انتقلت بعد ذلك للتطرق لأهداف البحث والمنهج المتبع الذي يتناسب مع طبيعة مجال البحث الذي يتميز بطبيعته الدينية. بعد ذلك جرى تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث متبوعة بخاتمة ملخصة لما سبقها من مواضيع وأفكار. منتقلين في نهاية المطاف لعرض لنتائج البحث وتوصياته التي تفتح كوة مستقبلية للبحث والتعمق في مجال الترجمة الدينية. ثم نحتم بالمصادر والمراجع.

وفيما يلي نعرض باختصار للمباحث وما ستطرحه من موضوعات للنقاش:

المبحث الأول: مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي

سينهض هذا المبحث بالآتي:

- 1- تعريف المرجعية
- 2- المرجعية اليهودية
- 3- المرجعية المسيحية

أما فيما يخص المبحث الثاني، فقد وسم ب:

- 2- الاستشراق وترجمة القرآن الكريم

حيث سنتطرق فيه إلى الآتي:



1- الاستشراق

2- ترجمة القرآن الكريم بين جواز والتحرير

3- أنواع ترجمات القرآن

وفيما يخص المبحث الثالث والأخير، فقد وسمته ب:

3- عدم القابلية للترجمة بين النظرية والدليل

حيث سنتطرق فيه إلى الآتي:

1- عدم القابلية للترجمة

2- "القيامة بين مطرقة اللاهوت وسندان عدم القابلية للترجمة"

الخاتمة

نتائج البحث ثم التوصيات.

لائحة المصادر والمراجع

المبحث الأول: مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي

1- تعريف المرجعية

إن الباحث الذي ينحني داخلا إلى حقل الترجمة الدينية يلزمه دونما شك العمل على تثبيت خيمة أبحاثه ودراساته بعدد من الأوتاد التي يضبط وحدد بل ويحسر كل التأويلات والتفسيرات التي تخص الحقل المفاهيمي أو المصطلحات المستعملة في البحث. وبعبارة أدق، تلعب المصطلحات، وتحديد مفومها وتدقيق وتبيان حدودها ومجال تداخلها مع مفاهيم أخرى، دورا مهما في ضبط إيقاع البحث وترابط أفكاره وقوة حججه.

فمثلا، قد يظن القارئ (الغير الباحث/الدارس) أن الحواريين في ضفة ورسل السيد المسيح في ضفة أخرى، غير أن العكس تماما هو الصحيح، فسكان الضفة الأولى هم بعينهم سكان الثانية؛ حيث سمي القرآن الكريم الرسل بالحواريين وأطلق الكتاب المقدس على الحواريين لقب رسل السيد المسيح. وقس على هذا أسماء أعلام الأنبياء عليه السلام، فمثلا يوحنا المعمدان هو بذاته يحيى بن زكريا عليه السلام. وغير بعيد تأكد بأن يونان النبي صاحب الحوت هو يونس النبي صاحب النون الذي ذهب مغاضبا.

ولم يتوقف هذا عند أعلام من حُصر ذكركم في أي القرآن أو إصحاحات الكتاب المقدس، بل تجاوزت مسألة أهمية ضبط المصطلحات لتتجلى في إشكالية أسماء أعلام اللاهوتيين المسيحيين وخصوصا الأوائل من الآباء البطارقة والقديسين وأعلام اللاهوتيين، حيث تجد أكثر من اسم واحد وسم به نفس العلم/الشخص وخصوصا بعد انتقال الشخص من العالم المادي الزائل ويدخل لعالم الرهينة ليسقط



الاسم الدنيوي ويتلاشى أمام الاسم الكنسي بعد الرسامة، وهذا قد يوحي أننا أمام أكثر من شخصية وهذا بجانب الصواب.

وعلاقة بأهمية ضبط المفردات، سنرجع للمعاجم التراثية أولاً لنبحث عن 'المرجعية' ونرى هل نحن أمام مصطلح قديم مستعمل منذ زمن، أم أننا أمام مصطلح حديث. فعند رجوعنا للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام 175هـ (العين، ص: 288)، ولابن فارس المتوفى عام 395هـ (مقاييس اللغة، ص: 512)، وللمخشي المتوفى عام 538هـ (الكشاف، ص: 666)، وللرازي المتوفى عام 666هـ (مختار الصحاح، ص: 115)، ولابن منظور المتوفى عام 711هـ (لسان العرب، ص: 107-108) وأخيراً للفيروز أبادي المتوفى عام 817هـ (القاموس المحيط، ص: 739-740) نجد أنها جميعاً وبدون استثناء كلها تدور في فلك نفس معاني الجذر 'رجع' بمعاني: المعاودة والرد، والرجعة والرجوع إلى المكان المنطلق منه أصلاً علاوة على الرجوع والمرجع. والملاحظ هنا غياب صيغة 'مرجعية'.

وهذا الغياب في المعاجم التراثية كما أوضحنا أعلاه طبيعي بل وبديهي، لأن هاته الكلمة حديثة الاستعمال بهذا المعنى. لذا سنحاول تبسيط تعريف مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي، التي هي بالأساس ما قدسه المؤمن اليهودي والمسيحي. أي أن المرجعية الكتابية هي مجموع تلك العقائد والتصورات والرؤى التي تجري في عروق المترجمين غير المسلمين، حيث يصير سلطانها المسيطر خلال العلمية الترجمة، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا لها نقبا. وبعبارة أخرى، إن المرجعية اليهودية المسيحية/المرجعية الكتابية بصفة عامة، هي مجموع تلك العقائد والتصورات والمواقف التي صارت مسلمة مقدسة عند المترجم بحيث تتحكم في لوحة قيادة مخيال المترجم خلال الترجمة، ولا يستطيع بذلك الابتعاد أو الانسلاخ عن خلفيته الكتابية. ولنكون دقيقين أكثر، نذكر قرائنا الأعزاء أننا نقصد بالمرجعية اليهودية والمسيحية تأثيرات الدين السماوي من خلال التوراة المقدسة وما لحق بها والإنجيل المقدس وما جاء بعد الأناجيل الأربعة من أعمال للرسول. حيث أن هناك نوع آخر من المرجعيات غير الكتابية تلك التي تعتمد على كتب وضعية 'غير موحى بها من عند الله'.

2- المرجعية اليهودية

بدأنا بالمرجعية اليهودية احتراماً منا للتسلسل الديني التاريخي أولاً، ثم لاعتماد الديانة المسيحية أساساً ولزاماً على العهد القديم أو التوراة وما لحق بها، فهو المشترك الوحي بينهم. هذا المشترك يمثل ما يسمى ب: 'المرجعية اليهودية' التي تتمثل أساساً في فكر المترجم اليهودي المولود من أم يهودية أقام تعاليم التوراة أم لم يقمها، وذلك مرده إلى أن الديانة اليهودية (المشكلة للمرجعية اليهودية) ديانة إثنية لشعب خاص، أي أن شرطها الولادة من أم يهودية هي في الأصل من أم يهودية وقس على هذا المنوال. (راجع هنا: عبد الوهاب المسيري: اليهودي من هو؟، ص: 30 وما بعدها/الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص: 5 وما بعدها). هذه المرجعية تبدأ لزاماً من التوراة أو الأسفار الخمسة لموسى (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد



والثنائية)، ثم بعدها مباشرة التلمود الذي يقترب من قداسة التوراة، وصولاً إلى الممارسات العقائدية اليومية. ولو تحولنا لخلية بشرية متناهية في الصغر ودخلنا مخيال المترجم اليهودي، لوجدنا المرجعية اليهودية متمثلة في رؤية القرآن الكريم من خلال المنظور اليهودي بعيداً عن القداسة الإسلامية للقرآن الكريم. ليصير النص القرآني من خلال هذا المنظور، نصاً نثرياً متجرداً من قداسة المصدر (القداسة الإلهية) لا قداسة فيه ولا به ولا معه، فيتسلط هذا المخيال بالتطبيق خلال عملية الترجمة.

ولنكون صريحين مع القراء الكرام، لا المترجم صاحب المرجعية اليهودية ولا نظيره صاحب المرجعية المسيحية يؤمن أصلاً بقدسية القرآن الكريم أو بألوهية مصدره، فكلاهما يترجمان القرآن الكريم وكأنه نص نثري عادي من بنات أفكار الرسول لا تربطه بالقداسة أي صلة. بل إن الدين الإسلامي يزاحم تواجد الديانة المسيحية في كل أماكن انتشارها باعتباره ديناً للبشرية جمعاء، حتى في الهيكل المقدس. ولنوضح أكثر، فالخطاب المقدس للتوراه موجهاً لبني إسرائيل وحدهم دون عموم البشر، فهو كتاب مقدس فقط دونما ستر الكتب من بعد التوراة المقدسة، وهذا واضح جل في الخطاب الإلهي للتوراة:

- "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضٍ كُنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلَهُهُمْ". (تكوين 17: 8)،
- ووعده الرب لإسحاق: "تَغَرَّبَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ فَأَكُونُ مَعَكَ وَأُبَارِكَ، لِأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ" (تكوين 26: 3)
- ووعده ليعقوب أو إسرائيل: "الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك" (تكوين 28: 13)
- وموسى متشبثاً بالعهد ذاته: "أذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذي حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد" (خروج 32: 13).

3- المرجعية المسيحية

وبعد توقفنا في الفقرة أعلاه عند المرجعية اليهودية، نأتي الآن لنسلط الضوء على نظيرتها المسيحية التي تشكلت أساساً من المرجعية اليهودية مضافاً إليها خصوصيات وتأثيرات الديانة المسيحية وما قدست من أناجيل مقدسة. فهي، أي المرجعية المسيحية، هي كل المرجعية اليهودية المتمثلة في العهد القديم كاملاً من غير ما تم إدراجه ضمن 'الأبوكريفا'، ممزوجاً ومتناغماً دونما تعارض مع ما جاء به العهد الجديد المتمثل في الأنجيل الأربعة (للقديسين: متى، مرقس، لوقا ويوحنا) وما لحقهم من أعمال الرسل وصولاً إلى سفر الرؤيا. لكن، من نافلة القول أن المرجعية المسيحية أيضاً تأثرت (ككل مرجعية لديانة كتابية) بالتفسير التي تأتي لتبسط وتيسر ما صعب وعسر فهمه للمؤمن العادي. حيث أن هاته التفاسير تنزل الصعب



المقدس من أعالي هالة القداسة المحتجبة لتنزله لمستوى فهم الباحث الدارس أو حتى الخادم الذي يقرع أجراس الكنيسة. وهاته العملية تتم دونما المساس بجوهر القداسة بكل أطرافها وتأثيراتها، أي أنها تتم بالحفاظ على بتولية النص المقدس. هاته التفاسير والشروحات والتعاليق وما حذا حذوها، تمت من لدن آباء ورجال دين كنسيين أوائل نالوا درجة عالية وعظيمة، درجة 'القديس' لما قاموا به من تضحيات جسام من أجل كلمة الرب. ولكي لا نكرر أنفسنا، نختم هاته الفقرة بقولنا أن المرجعية تصير مسيحية إذا وجد تناسق بين النص القرآني وما ورد في العهد الجديد، ويهودية ممزوجة بالمسيحية إذا كان التناسق بين النص القرآني والعهد القديم. وبذلك تولدت المرجعية اليهودية والمسيحية في ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الاستشراق وترجمة القرآن الكريم

1- الاستشراق

وبعد أن تحدثنا أعلاه ضمن مكونات المبحث الأول عن المرجعيات اليهودية والمسيحية من منظورها اللاهوتي العقائدي، ننقل البحث لمكان غير بعيد تأثر وأثر بصفة مباشرة بالمرجعيات الكتابية. أقضد هنا الاستشراق. وبدراسة المصطلح بعين عابرة، نلاحظ أن 'الاستشراق' كلمة مشتقة من كلمة (اتجاه) 'الشرق' أي 'بلاد مشرق الشمس' ليقابلها الاستغراب أي 'بلاد الغرب' أو بلاد غروب الشمس. والمهتم بالاستشراق سيحمل لا محالة اسم الاتجاه: 'مستشرق'، أي مهتم ودارس وباحث.... لأمر الشرق. وبعبارة أخرى، يهتم المستشرق بدراسة ما يحتويه الشرق من ثقافات وعلوم وعادات وتجارب حياتية وخصوصا القرآن الكريم وعلومه.

ونمر الآن للغوص قليلا في مجال الاستشراق بالرجوع لفقهائه ومتكلميه وعلى رأسهم إدورد وديع سعيد الذي يعتبر الاستشراق بالمعنى الدقيق مجال من مجالات البحث العلمي، وقد بدأ وجوده الرسمي، حسب الغرب المسيحي، بالقرار الذي اتخذته مجلس الكنائس في مدينة فيينا (Vienne) الفرنسية بإنشاء سلسلة من كراسي الأستاذية للغات العربية، واليونانية، والعبرية، والسريانية في باريس (Paris) وأكسفورد (Oxford)، ووبولونيا (Wobolonia)، وأفينيون (Avignon)، وسالامانكا (Salamanca) 1.

وقد اختلف الباحثون حول هوية المستشرق، ففريق جعلها حكرا على الغرب كشرط وجوب ليصبح لقب 'المستشرق'، فإن كان من غير الغرب لا يمكن تسميته مستشراقا. وأما الفريق الآخر فيعرف المستشرق على أنه أي شخص غير مسلم تخصص في دراسة علوم الشرق وآدابه وكل ما يتعلق به سواء كان من الغرب أو لم يكن. وعموما اتفق الباحثون على أن المستشرق هو من اهتم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق.

1-الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ص: 110



2- ترجمة القرآن الكريم بين جواز والتحريم

وبعد أن قدمنا لمحة سريعة عن الاستشراق، سنغير اتجاه بوصلتنا صوب ترجمة القرآن الكريم، هذا الكتاب المتفرد الذي ندخل محرابه راكعين متعبدين موقنين، نتدارس ترجمة آياته، لكن هل يمكن ترجمة هذا الكتاب الغير العادي، كونه من طبيعة أخرى وخطاب وروح أخرى قادمة من عالم آخر. لكن العادة والتعود وتكرار الفعل ذاته تضعف الحس البشري فيفقد بذلك القدرة على إبصار حقائقه الوجودية الحتمية وإبعاده الكونية الربانية النورانية، وامتداده اللامتناهي الضارب في عوالم الغيب المحتجبة.

هذا الكلام العظيم والنص الكريم، اختلف في جواز ترجمته، فقال فريق بحرمة الترجمة كون أن القول الخفيف وإن ثقل، لا يجد أبدا معادلا للقول الثقيل وإن خف وزنه. أي أن منع ترجمة القرآن يقتصر على التعبد به في الصلاة أو التلاوة، كما ارتبط باستحالة الإتيان بشبيهه أو بديل يقوم مقامه بلغة من اللغات، يعني أن هدف الترجمة هنا هو التعبد بالقرآن. غير أن فريقا آخر قال ما يخالف به هذا الموقف، مؤكدا أن ترجمة القرآن قصد العمل به أمر جائز للضرورة، ولوجوب نشر الدين والتبليغ تصديقا لأوامر المولى عز وجل².

وارتباطا بضرورة نشر الدين والتبليغ أعلاه مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107) جاءت بفعل تقدم الدولة الإسلامية وفتوحاتها الكبيرة، تلك التي زادت رقعة الإسلام الروحية والجغرافية واتساع استعمال اللغة العربية كلغة مفتاح للنص القرآني 'المقدس'، فهي مفتاحه للتعبد والدراسة وفهم معانيه وكشف أسراره والنجاة في محيطاته. لكن التمكن من هذا المفتاح لا يتحقق بعضا سحرية وقت النطق بالشهادتين، بل هو أمر يتوقف على مدى ملكات المسلم الحديث بالإسلام ومدى قابليته البيولوجية والنفسية والمحيط الذي يعيش فيه، فليس السيد الغني كالعبد الفقير، وليس الحبر الجليل كالرجل العادي ولا الراهب الفاهم كراعي الإبل والغنم. لكل صعوباته وجاهزيته لتلقف اللغة العربية التي تعد مفتاح التعبد ومناجاة الله القريب.

3- أنواع ترجمات القرآن

ولا نزال نسبح في فلك موضوع ترجمة القرآن الكريم، إذ سنتطرق ها هنا لـ: 'أنواع ترجمات القرآن' التي تتحدد من خلال من قام بالفعل الترجمي، أي أن أنواعها تنسب لمن قام بها. وهنا يمكن تقسيمها إلى نوع أول قام به المسلمون ذاتهم فتسمى: 'ترجمات إسلامية' نسبة لهم، وترجمة استشراقية نسبة

²- يرجع في هذا الموضوع لـ:

* المدونة الكبرى ويلهما مقدمات ابن رشد، ج:1، ص: 161.

* البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص: 314 وما بعدها.

* الوجيز في فقه الإمام الشافعي، ج:1، ص: 165 وما بعدها.

* الإتقان في علوم القرآن، ج:1، ص: 306 وما بعدها.



للمستشرقين، ونوع ثالث لا يقل أهمية في التأثير وحقلا معرفيا خصبا للدراسة والنقد، وهو الترجمات القاديانية نسبة للفرقة القاديانية.

فالتجمات الإسلامية تشكلت عبر عدة مراحل تختلف حسب الحاجة الترجمية التي يفرضها المقام والضرورة الدينية. حيث أسست اللبئات الأولى لهذا النوع الأول في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ودعوته الأمم الغير الناطقة بالعربية التي صل إليها هذا المد المجالي المبارك. حيث أن رسائل النبي كانت تحوي (في سواده الأعظم) آيات قرآنية هي بحاجة ملحة لدعوة الحكام المرسل إليهم التراجع لتذليل صعاب الفهم والترجمة للغة الهدف³. ومع مرور الأيام واتساع رقعة الإسلام، ارتقت الترجمة لتبلغ منازل أخرى متطورة حسب التطور في الزمان والمكان، وذلك من خلال التدرج في ترجمة آيات متفرقات هنا وهناك، مروراً بترجمة سور قصار ولعل أولها سورة الفاتحة لما لها من قيمة عالية للصلاة والتعبد، يقول رسول الله: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة القرآن" (صحيح مسلم، م.1. كتاب الصلاة، باب: 'وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة'، ح: 394، ص: 184)، بل وحتى في الممارسات اليومية. واستمر التطور الترجمي منتقلا للصور الطوال وصولاً لترجمة كاملة للقرآن الكريم.

كان الصنف الأول من الترجمات أعلاه محصوراً من لدن المسلمين بغاية التبليغ وإزالة اللبس وفهم العقيدة الصحيحة. لكن، سنتطرق لنوع آخر تنتفي فيه (بنسبة كبيرة) دافعية خدمة التبليغ وشرح العقيدة كما يجب، بل عوض كل ما سبق بنظرة مغايرة للمنظور الديني الإسلامي بتغليب المرجعية الكتابية والخلفية الاستشراقية من لدن آباء المستشرقين الأوائل الذين تربي الاستشراق في أحضانهم حتى صار كبيراً. هذا النوع الثاني من ترجمات القرآن موسوم بـ: 'الترجمات الاستشراقية'.

ولنقرب القارئ العزيز أكثر من هذا النوع من الترجمات، سأقتبس من المترجم الانجليزي الكبير العالم بالعربية والمستشرق الفاهم لعلوم الشرق، جورج سيل George Sale (توفي: 1736م) الذي قدم وصفا مختصراً لواقع هاته الترجمات مبينا نواقصها ومكانم عللها. يقول سيل:

"Of the several translations of the Koran now extant, there is but one which tolerably represents the sense of the original; and that being in Latin, a new version became necessary, at least to an English reader. What Bibliander published for a Latin translation of that book deserves not the name of a translation; the unaccountable liberties therein taken, and the numberless faults, both of omission and commission, leaving scarce any resemblance of the original. It was made near six hundred years ago, being finished in 1143, by Robertus Retenensis, an Englishman, with the assistance of Hermannus Dalmata, at the request of Peter,

³- للتفصيل والإطلاع أكثر يرجع لـ: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، نحمد حميد الله، القسم الأول من الكتاب، ص: 43 وما بعدها.



abbot of Clugny, who paid them well for their pains". (The Koran, commonly called The Alcoran of Mohamed, p: vi-vii).

"من بين الترجمات العديدة الموجودة بين أيدينا للقرآن، لا يوجد سوى واحدة عاكسة بشكل ملموس لمعنى النص الأصلي وهي النسخة اللاتينية؛ لذدعت الضرورة لنسخة جديدة موجهة على الأقل للقارئ الإنجليزي. وحتى ترجمة بيليندر Bibliander اللاتينية لهذا الكتاب (أي القرآن) لا تستحق اسم ترجمة لما تحويه من إطلاق العنان للتصرف في الأصل، ناهيك عن العيوب الكثيرة المتمثلة في الزيادة والنقصان؛ قاطعة أية صلة لها بالنص الأصلي. إذ مر على وجودها ما يقارب 600 سنة، وبالتحديد عام 1143 م بقلم الرجل الإنجليزي روبرتوس ريتيننسيس بمعوية هيرمانوس الدلماتي وبإيعاز من بطرس، رئيس دير كلوني، الذي دفع لهم أجوراً قيمة لقاء الأهمم الترجمة" (ترجمة بتصرف)

وعلى المنوال ذاته، يسير النوع الثالث من ترجمات القرآن الكريم، لكن بنوع آخر من الخلفية والمرجعية. وبعبارة أدق، سنسلط الضوء على الترجمات القاديانية للقرآن الكريم التي جاءت حمالة للفكر القادياني وخادمة لفكره وتصوراته الممزوجة بالدافعية الخارجية الراعية للقاديانية. هاته الأخيرة ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في قرية من قرى الهند تسمى 'قاديان' بعد استقرار الحكم الإنجليزي فيها. والقاديانية مؤامرة سياسية خطط لها الإنجليز لضرب الإسلام من الداخل بزعزعة اعتقاد المسلمين في ختم نبوة آخر المرسلين عليه السلام بهدف إبطال شرائع الدين وإحداث الفرقة بين المسلمين (خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص: 250). وكل هذا نتيجة الصعوبة التي واجهها الإنجليز في سيطرتهم على مستعمراتهم من بلاد المسلمين، فأيقنوا تماماً أن الحل يكمن في اللجوء إلى صوت 'إسلامي محمدي' يفتت مفهوم الجهاد⁴، بدلا من اللجوء إلى صوت المدافع. وهكذا برزت ديانة موازية للإسلام لها نفس الثوب والعمامة لكن بتعاليم تخدم الإنجليز وتغنيهم عن مواجهة المجاهدين، ومن هنا برز نجم المرزا غلام أحمد القادياني ليكون نبيا⁵ موازيا بقرآن وتعاليم خفت من حدة ما يقلق الإنجليز، بل وأوجبت طاعتهم والعمل على راحتهم واستقرار أمرهم.

4- يراجع ما نص عليه المرزا غلام أحمد في كتاب ترياق القلوب، ص: 15 وما بعدها: "لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزنة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم".

5- يراجع ما قاله المرزا بشير أحمد الخليفة الثاني في كتاب: 'حقيقة النبوة'، ص: 260 وما بعدها: "أن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل".



المبحث الثالث: عدم القابلية للترجمة، بين النظرية والدليل

1- عدم القابلية للترجمة

وإلى مبحثنا الثالث والأخير الذي سنتطرق فيه لـ: "عدم القابلية للترجمة" "Untranslatability" تلك التي تصير عقبة ترجمة تتحقق من خلال استحالة نقل المعنى الكامل الشامل لجميع جوانبه اللغوية والثقافية لكلمة أو تعبير ما من لغة المصدر إلى لغة الهدف بالحفاظ على نفس الدقة والتأثير. أي أن بعض الكلمات أو العبارات قد تفتقر لمرادفات دقيقة في لغة أخرى كونها مرتبطة بقيم ومفاهيم ثقافية فريدة محصورة ضمن حدود لغة دون أخرى. وبعبارة أدق، هذه الاستحالة (إذا صح التعبير) راجعة بالأساس إما لاختلافات ثقافية وأخرى سياقية، أو لدلالات لغوية، أو للنظم الفكرية والمعرفية بين لغة وأخرى. ولسد هذا الخصاص/الفرغ/العدم الترجمي، يقوم المترجمون ب: التكييف أو بالشروحات داخل المتن أو بالإحالة للحواشي قصد التفسير والتوضيح أو استخدام التوضيحات الثقافية خصوصا ضمن المقدمة التي صارت لا بد منها في هذا المجال.

فعدم القابلية للترجمة الذي قدمناه أعلاه، تم تداوله كثيرا من لدن اللسانيين والمترجمين قصد البحث عن سد إشكالية عدم القابلية التي تضيع في ثقبها الأسود عبارات كثيرة ومفاهيم ثقافية أكثر. فمثلا، تناول البروفيسور جون كيونيديسون كاتفورد ضمن ما سماه ب: "حدود الترجمة" "Limits of Translatability" حيث يُظهر أنه عندما تفشل الترجمة تحدث/تولد عدم القابلية للترجمة، فهو يقول:

"Translation fails—or untranslatability occurs—when it is impossible to build functionally relevant features of the situation into the contextual meaning of the T L text. Broadly speaking, the cases where this happens fall into two categories. Those where the difficulty is linguistic, (A linguistic Theory Of Translation, p: 94) and those where it is cultural".

فتفشل الترجمة، أو تحدث عدم القابلية للترجمة، عندما يستحيل بناء سمات وظيفية ذات صلة بموقف في المعنى السياقي للنص الهدف. وبصورة عامة، يمكن تصنيف الحالات التي يحدث فيها ما سبق إلى فئتين اثنتين. تلك التي تكون فيها الصعوبة لغوية، وتلك التي تصير فيها الصعوبة ثقافية" (ترجمة بتصرف). وبمفهوم تقريبي آخر، تشكل عدم القابلية للترجمة تحديا كبيرا خلال العملية الترجمة، فهي تعني تواجد الكثير من العوائق وعدد أكبر من الصعوبات والتحديات، بل يمكن الإجمال بقولنا أن عدم القابلية للترجمة يلعب دورا حاسما في عرقلة "عالمية، كونية" الترجمة (The Universalisation Of Translation) وخصوصا في مجال الترجمة الدينية والأدبية/الفلسفية.

وارتباطا بالدور الكبير التي تلعبه عدم القابلية للترجمة الأدبية/الفلسفية، يبسط لنا معجم: "Dictionary of Untranslatables" (قاموس الكلمات غير القابلة للترجمة) هاته العراقيل والصعوبات



حينما أبرز الفرق بين الكلمتين: 'justice' الفرنسية وأختها الشبيهة تماما في الكتابة والنطق 'justice' الإنجليزية، اللتان تدخل ضمن "false friend" أو "faux amis". يقول هذا المعجم الكبير: "Wood's example of how to read "justice" in Proust through the lens of the untranslatable (an untranslatability rendered more acute in this case because French justice and English "justice" are homonymic "false friends"), opens up a world of literature that is alive to the "abilities" of untranslatability. In this picture, what is lost in translation is often the best that can be found" (Dictionary of Untranslatables, p: 11).

مثال وود حول كيفية فهم مفهوم "العدالة" في أعمال بروست عبر بوثقة ما لا يمكن ترجمته (وحالة عدم القابلية للترجمة تزداد تعقيداً هاهنا، لأن كلمة justice في الفرنسية وكلمة "justice" في الإنجليزية هما من الكلمات المتشابهة شكلياً ولكن تختلفان في المعنى، أي 'أصدقاء زائفون')، يفتح باب عالم من الأدب يُظهر بالملاموس 'إمكانيات' عدم القابلية للترجمة. في هذا السياق، ما يُفقد في الترجمة غالباً هو أفضل ما يمكن العثور عليه (ترجمة بتصرف). ومثال عبارة العدالة السابق يعبر عن مدى صعوبة القيام بالترجمة دون الإلمام بالخلفية الثقافية والمرجعية الدلالية للعبارة. لكن، تتخطى الترجمة الدينية خصوصاً كل هاته الصعوبات بمراحل متقدمة، فهي التي دمجت بين الفراغ الترجي متنوع دلالاته وعدم القابلية للترجمة بجميع جوانبها بحثاً عن تأسيس نوع جديدي، أو بالأحرى منهج ومفهوم جديد يذلل صعاب الفهم من جهة؛ ويقرب ثقافة النص الأصلي من نظيرته في النص الهدف. لذا، وجب علينا كباحثين العمل على منهج جديد أو على الأقل مفهوم أكثر تطور يحول عدم القابلية للقابلية هذا الفراغ نافياً بالإيجاب ما نفي قبلاً بالسلب.

2- 'القيامة' بين مطرقة اللاهوت وسندان عدم القابلية للترجمة

ولنظهر للقارئ الكريم أهمية بل وخطورة كل ما ذكرناه أعلاه، وكيف يؤثر على الترجمة من خلال سوء الفهم أو التصور الخاطئ عند القارئ الهدف. وذلك من خلال العبارات والمفردات التي تدخل ضمن ما أسميناه في أعمال لنا من قبل: "المشترك الوحي Common Revelation" الذي يدخل ضمن الديانة اليهودية والمسيحية ثم الإسلام من جهة، وبين ما اصطلح عليه: "التداخلات اللاهوتية Theological Interaction" بين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى. أما المفهوم الأول فنقصد به ما اشترك ذكره بين اليهودية والمسيحية والإسلام من مضامين ومعاني ومفاهيم، وخصوصاً قصص الأنبياء عليهم السلام. طبعاً، هذا الاشتراك مؤكد منه من ناحية ورود القصص في مختلف الآيات بين الكتب، لكن يختلف على صحة ما جاء فيه تتم الإختلاف؛ أي أن كل ديانة تنظر لما بين أيديها على أنه هو الصحيح الأصح، والمسلمون بدورهم يقولون هذا هو الحق من عند ربنا، وهو كذلك. أما فيما يخص التداخلات اللاهوتية فنحن نختص بالذكر ما تداخل ذكره بين اليهودية والمسيحية، وهنا أخص بالذكر العهد القديم الذي ذكرناه في متا سبق وفصلنا بالإيجاز في أهميته اللاهوتية عند المسيحيين.

وما ذكرناه توا يظهر جلياً في أمور كثيرة منها مثالا لا حصراً، أعلام الأنبياء الكرام وخصوصاً من "سقطت" أو "أسقطت" عنهم صفة النبوة في العهد القديم، وهم يدخلون تحت مظلتها المقدسة في الإسلام. أقصد



هنا لوط عليه السلام الرجل الصالح. فهو في الأولى (العهد القديم) رجل صالح غير مرتبط بالنبوة أبداً ولا يدخل ضمن زمرتها المقدسة. وعلى النقيض تماماً، يعتبر نوح في الثانية (أي الإسلام) نبي عليه السلام ضمن الأنبياء 25 المذكورين صراحة في أي القول الثقيل. يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ﴾. سورة الأنبياء، آية: 74.

ولوط عليه السلام ليس إلا مثالا بسيطا لأمثلة أكبر وأكثر لا المقام ولا الموضوع هنا يسمحان بذكرهم، فمجال المشترك الوحي محيط تتباعد أطرافه ويتنافى التمكن من الوصول لجزره. أضف إلى ما أسلفنا أمور أخرى قد لا تدخل ضمن "هالة قداسة النبوة" على شاكلة عبارات تفي حقول معرفية ومفاهيمية يظنها القارئ مصطلحا عاديا، لكنه حمال لأوجه كثيرة مشبعا بالخلفية الثقافية، بل أنه مزروع بشكل معين لكنه في الآن ذاته متغير مغاير في مخيال كل من صاحب النص الأصلي والنص الهدف.

ولنفتح الشهية المعرفية للقارئ العزيز، يمكن التوسع في عبارات على نحو التوحيد، والتثليث، والزكاة، والجنة والنار، والقيامة. هاته الأخيرة، أي القيامة، تعد مفهوما حمالا لأوجه ينزل بغير فاهمة أودية سحيقة، كون تلك الأوجه ترتسم على محياها معان عديدة ومعان مختلفة تماما عن بعضها البعض. فالقيامة لم تذكر إلا متأخرة في العهد اليهودية، أضف إلى تباين نوعيها في العهد الجديد. فأولهما يعني القيامة المجيدة للسيد المسيح من بين الأموات بعد الصلب، وثانيهما، هي قيامة يوم الدينونة. فقيامة السيد المسيح ركيزة عظيمة كعظمة القيامة، فهي الخلاص والنجاة والطهارة من الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم النبي⁶.

لكن، يتخذ مفهوم "القيامة" نفسه شكلا آخر ضمن المنظور الإسلامي، فهي المنتهى والمستقر الذي ورد وصفها بالتفاصيل الدقيقة والأمثلة الجميلة الحية المعاشة. فقارئ القرآن بتدبر يكاد يشرب من أنهرها وتلامس أرضيتها رجليه، بل ويستظل بظلمها. وباختصار جميل أدق: إما جنات كالدردر، أو من علمها تسعة عشر. وقس على هذا المنوال وذاك الكثير والكثير من المفردات التي يظنها القارئ مجموعة من المقاطع الصوتية، غير أنها في مضمونها، وكيونيتها وخلفيتها أصوات كصوت الرعد ومعان قد تتجاوز خط الأفق وتعلو لتلتصق بمزن المستحيل الممكن بعد الدراسة والتحليل من لدن الباحث الفاحص المدقق الفاهم (على الأقل) والعارف باللاهوت اليهودي والمسيحي.

الخاتمة:

وها نحن نختم بحثنا الآن، بعدما تعمقنا وتطرقنا لأمر كثيرة ومواضيع أكثر تدور في فلك مرجعيات اللاهوت اليهودي والمسيحي وعلاقتها بالترجمة وخصوصا مفهوم عدم القابلية للترجمة. هاته الأخيرة تظهر فجوة يشكل إشكالية عظيمة ينتج عنها صعوبات في نقل معاني، ومقاصد، ورسائل بل ومرجعيات النص

⁶- راجع هنا كتاب: آم المسيح وأمجاد القيامة، نيافا الأنبا ياكوبوس، 2000م.



الأصلي؛ بل والأهم من ذلك (ونحن نخوض في الترجمة الدينية) نقل التفاصيل الثقافية والشحنات الروحية. كل هذا يفرض على كل مترجم وباحث ناقد محب لمجال عمله توخي الحذر الشديد والفهم العميق للنصوص الأصلية، ليمزج كل هذا باطلاع واسع على اللاهوت اليهودي والمسيحي، والإطلاع الكبير على شروحات وتفسيرات الآباء والقديسين.

كل ما سبق من بحث ودراسة وتدقيق، جاوز رفوف المكتبات وتعدى الانترنت ليصل للاتصال المباشر بأهل التخصص والتعبد، جاء تلبية لهواتف الرغبة في خدمة كتاب الله وترك بصمة داخل مجال الترجمة عموماً والدينية منها خصوصاً، ليكون كما أسلفت رابع ثلاثة بعد أن ينقطع العمل وتجف الصحف. وكالعادة، خلصت لتوصيات واستنتاجات لتطوير العمل الترجمي.

نتائج وتوصيات البحث:

وقد خلص البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- ضرورة العمل على إيجاد حل لعدم القابلية للترجمة في المجال الديني، ومحاولة جعلها: "قابلية للترجمة".
- محاولة تأليف معجم ديني يضم العبارات والمفردات التي تدخل ضمن مجال عدم القابلية للترجمة.
- أيضاً، تأليف معجم ديني نبوي يضم أعلام المشترك الوحيي كونهم يشكلون أساساً ضمن مجال عدم القابلية للترجمة.
- إلزامية تحري الدقة في ترجمة أعلام *المشترك الوحيي* من الأنبياء عليهم السلام.
- الاستمرار في تطوير مناهج وطرق تدريس الترجمة الدينية لجيل المترجمين المستقبليين.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 4137هـ- 2003م.
- تزيق القلوب. غلام مرزا أحمد. مطبعة ضياء الإسلام. قاديان، الهند. 1902م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1428هـ/ 2007م.



- حقيقة النبوة. مرزا بشير الدين محمود أحمد. تعريب عبد المجيد عامر. الشركة الإسلامية المحدودة. بريطانيا. ط.1. 2018.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. محمد حميد الله. دار النفائس. بيروت، لبنان. ط. 5. 1405هـ-1985هـ.
- المدونة الكبرى ويليها مقدمات بن رشد. للإمام مالك بن أنس الأصبجي. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط.1. 1415هـ/1994م
- صحيح مسلم. أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. م.1. ط.1. 1427هـ-2006م.
- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه. حسن ظاظا. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة. 1971م.
- الوجيز في فقه الإمام الشافعي، أبو حامد الغزالي، تحقيق: علي معوض-عادل عبد الموجود، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت-لبنان، ط.1. 1418هـ-1997م.

المراجع باللغة الإنجليزية

- Cassin, Barbara. (2014). Dictionary of Untranslatables Princeton University Press. United Kingdom.
- Catford, J. C. (1978). A linguistic Theory Of Translation. Oxford University Press. England. 5th edition.
- Sale, G. (1877). The Koran, or Alcoran Of Mohammed; with explanatory notes. William Tegg and Co. London.



The comparative approach in the jurisprudence lesson Between originality and extension

Dr. Hassan Laitim

Professor at the Regional Academy of Education and Training, Fez-Meknes, Morocco

Abstract:

The problem of the subject lies specifically in the outcomes of today's jurisprudence curriculum - especially in higher education - which are mainly represented in the student's weak ability to understand cognitively and methodologically, and in his lack of use of his acquisitions in problematic situations, and his often inability to adapt his jurisprudential balance and achievements to the issues of his time. Rather, he should produce legal rulings. For facts and incidents. The aim of this research is to try to establish a renewal of the mentality of the student of jurisprudence, while drawing attention to the value of the jurisprudential lesson - through selected models - in crystallizing the comparative approach that includes many scientific research methods and teaching methods such as induction, analysis and deduction. The research methodology required the adoption of induction and analysis of the methods and methods of the most famous scholars of this approach: Ibn Rushd (the grandson), Judge Abd al-Wahhab, and Ibn Abd al-Barr, through their original works in jurisprudence and education. The most important outcome of the research is that the comparative approach is authentic in the jurisprudential heritage, and it is the way to verify the ability of jurisprudence to link the branches with the principles, because of the skills and scientific research methods it contains, with the horizon of being able to give weight and the ability to derive legal rulings appropriate to the facts and developments.

Keywords: The curriculum- Building faculties- Self-education- Functional jurisprudence- Problem Solving.

Received: 13/9/2024
Revised: 6/10/2024
Accepted: 9/11/2024
Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
Hassanyatim.2254@gmail.com

Citation: Laitim, Hassan (2025).
The comparative approach in
the jurisprudence lesson
Between originality and
extension .Dalail Journal of
Humanities, 1 (2).

الاستشهاد المرجعي:

ليتيم ، الحسن (2025 فبراير)
المنهج المقارن في الدرس الفقهي
بين الأصالة والامتداد، مجلة دلائل
للعلوم الإنسانية، عدد 2. مجلد 1.



© 2025 Publishers/ the
International Foundation of
Beacons of Intellect / Research
team: Education, Languages,
and Cultures, Moulay Ismail
University, Morocco.
This article is an open access
article distributed under the
terms and conditions of the
Creative Commons Attribution
(CC BY-NC-ND) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>

المنهج المقارن في الدرس الفقهي بين الأصالة والامتداد

د. الحسن ليتيم

أستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين فاس مكناس، المملكة المغربية

ملخص:

تكمن مشكلة الموضوع تحديدا في مخرجات المنهج الدراسي للفقهاء اليوم- خاصة في التعليم العالي- والتمثلة أساسا في ضعف قدرة الطالب المتفقه معرفيا ومنهجيا، وفي نقص توظيفه لمكتسباته في وضعيات إشكالية، وعجزه غالبا عن تكييف رصيده وحصيلته الفقهية مع قضايا عصره، فبالأحرى أن ينتج الأحكام الشرعية للوقائع والنوازل .

إن الهدف من هذا البحث هو محاولة التأصيل لتجديد تكوين عقلية طالب الفقه، مع إثارة الانتباه إلى قيمة الدرس الفقهي- عبر نماذج مختارة- في بلورة المنهج المقارن المتضمن لكثير من مناهج البحث العلمي وطرق التدريس كالاستقراء والتحليل والاستنباط. وإن منهجية البحث اقتضت اعتماد الاستقراء والتحليل لأساليب وطرق أشهر علماء هذا المنهج: ابن رشد (الحفيد)، والقاضي عبد الوهاب، وابن عبد البر، من خلال مؤلفاتهم ذات الصبغة التأصيلية في التفقيه والتعليم. وأهم ما نتج عن البحث أن المنهج المقارن أصيل في التراث الفقهي، وهو السبيل إلى التحقق بملكة ربط المتفقه للفروع بالأصول، لما يتضمنه من مهارات ومناهج بحث علمية، في أفق التمكن من الترجيح و القدرة على الاستنباط للأحكام الشرعية المناسبة للوقائع والمستجدات. الكلمات المفتاحية: المنهج - بناء الملكات - التعلم الذاتي - وظيفية الفقه - حل المشكلات



مقدمة:

أحمد لله القائل: (الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) [سورة الزمر: 17-18] والصلاة والسلام على المبعوث معلما لأصالة المنهاج القويم، قرّن صلى الله عليه وسلم الخيرية وامتدادها بالفقه في الدين، فقال: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" متفق عليه. أمّا بعد،

فيعتقد كثير من الباحثين غير الفاحصين للتراث الفكري والتربوي الإسلامي أن مناهج البحث وطرق التفكير والتدريس المعروفة حاليا هي محض نتاج لفلسفات وحضارات قديمة طوّرها الفكر الغربي المعاصر، ولهذا فالمأمول من هذا البحث أن يثير الانتباه إلى قيمة الدرس الفقهي خاصة-عبر نماذج مختارة- في بلورة المنهج المقارن المتضمن لكثير من مناهج البحث العلمي و طرق التدريس كالاستقراء والتحليل والاستنباط.

ولذلك يُفترض لمنهج التدريس والتأليف التربوي المعاصر أن يستثمر التراث الفقهي الأصيل، وأن يسترشد بمناهج الأئمة الرواد في ذلك، وفي هذا البحث أحاول التمثيل بكتب تتدرج بالمتفقه في بنائه لملكاته، مع التركيز على ملكة المنهج المقارن بما يتضمنه من مهارات بحثية وطرق تفكير علمية، وذلك من خلال "بداية المجتهد" لابن رشد(الحفيد) الملائم لطالب الإجازة في عصرنا، و"الإشراف" لعبد الوهاب البغدادي المناسب للماستر، وكتاب "الاستدكار" لابن عبد البر لطلبة الدكتوراه. فليست الدراسات العليا في معظمها-والأصل فيها أنها قائمة على البحث والدراسة والمقارنة والترجيح- بأحسن حالا؛ لأن اعتمادها في الغالب على الكم المعرفي والتقليد، لا على الاجتهاد في التوظيف والتجديد. فكيف يمكن لمؤسساتنا ومناهجنا أن تبني ملكات فقهية مبدعة أعلاها ملكة المنهج المقارن؟

أهمية الموضوع: يكتسب الموضوع أهمية لكون الفقه الإسلامي يُشكّل هوية أمة مستقلة بأسلوبها، متميزة بمناهجها، ولا شك أن التقدم والرفق لا بد أن يستوعب ويستثمر الإرث التاريخي والرصيد العلمي والمنهجي في تلبية حاجات العصر. كما تبدو قيمة البحث من موضوعه المستند إلى توظيف المنهج أو الطريقة المقارنة في تدريس الفقه، مما يربط الطالب بأصول العلم، وينمي فيه المهارات و الملكات، ويمرن قدرته على التفريع، ويتدرب على الاستنباط.

إشكالية البحث وأسئلته: تكمن حقيقة المشكلة في أن هناك خلل في اكتساب طلبة الفقه الإسلامي لملكات البحث و الاستدلال، بل ضعف في اكتساب القدرة على مناقشة الآراء الفقهية، والموازنة بينها، وترجيح بعضها على بعض، ولذلك تجد-في الحقبة المتأخرة من تطور تدريس الفقه إلى عصرنا هذا- من الطلبة من يُحصّل معرفة فقهية غزيرة، وهو لا يستطيع أن يقارن الأدلة ويرجح بين الأحكام المتعارضة أو أن ينزل فرعا على أصل، فبالأحرى أن يستنبط حكما لنازلة. مما يدعو للتساؤل: هل يُدرّس علم الفقه بهدف تلقين الطالب المعارف الفقهية؟ أم يُدرّس من أجل إكسابه ملكات الفهم والتحليل والمقارنة



للإسهام المنهجي في إحياء الاجتهاد والاستجابة لمستجدات العصر؟

فرضية البحث: الطبيعة المعرفية العملية و الخصائص المنهجية العقلية لعلم الفقه الإسلامي تتطلب حتما طرقا ومناهج تدريسية منسجمة مع هذه الطبيعة، وإنَّ أعلاها وأرقاها منهج المقارنة الشامل للعديد من مناهج البحث وطرقه المعروفة، فهو المنهج العلمي السليم لاستقراء الآراء المختلفة للمجتهدين وتحليلها، والتدرب العملي على مذاهب العلماء و وطرقهم الاستدلالية على استنباط أحكام الشرع، والاستفادة من تأصيل الراسخين ممن كتبوا في هذا العلم.

أهداف البحث:

- إبراز إسهام التراث الإسلامي خاصة في مراحل نضجه ونبوغه، وعلم الفقه خصوصا في بلورة مناهج البحث العلمي، مع بيان أصالة وامتداد المنهج المقارن في الدرس الفقهي والاعتزاز به.
- التعريف بجانب من التراث التربوي المتعلق بالفقه، مع تأكيد الطبيعة الاجتهادية للفقه الإسلامي على مستوى المنهج، وترسيخ قيم الانفتاح خارج المذهبية الضيقة إلى رحاب العالمية لخطاب الشريعة الإسلامية.
- المنهج المعتمد في البحث: وصفي لمعطيات علمية، تحليلي لجزيئاتها، استنباطي لقواعد قابلة للتعميم في تجويد مناهج تدريس الفقه. والبحث الذي أقدمه يتضمن توجهها ديداكتيكيا بتوثيق نماذج لأوراق عمل تقويمية تدريبية.

خطة البحث:

المبحث الأول: أصالة المنهج المقارن و التدرج في تربية ملكته ابن رشد أنموذجا

أولا: أصالة المنهج المقارن في الدرس الفقهي والتدرج في تربية ملكته

ثانيا: التفقه المقارن للمبتدئ من خلال "بداية المجتهد" لابن رشد

المبحث الثاني: المنهج المقارن أعلى طرق تدريس المتفقه المتوسط والمنتهي

أولا: التفقه المقارن للمتوسط من خلال "الإشراف" للبغدادي

ثانيا: التفقه المقارن للمنتهي من خلال "الاستذكار" لابن عبد البر

ويمكن تفصيل ذلك على الشكل الآتي:



المبحث الأول: أصالة المنهج المقارن والتدرج في تربية ملكته ابن رشد أنموذجا

المنهج والمنهاج في اللغة: الطريق الواضح،¹ قال تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة:48].
والتعريف للمنهج محل البحث: الطريق المسلك للوصول إلى حقائق. وأما المقارن لغة: مشتق من مادة
قرن. قرن بين شيئين أو أشياء وازن بينها، فهو مقارن، والأشياء مقارنات، يُقال الأدب المقارن، والتشريع
المقارن، والفقهاء المقارن.² ومما ذكر عن أصل المقارنة قوله تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْتَابِ) [الزمر:18]، قال صاحب الكشاف: "وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ الْمَذَاهِبُ وَاخْتِيَارُ اثْبَتِهَا
عَلَى السَّبْكِ وَأَقْوَاهَا عِنْدَ السَّبْرِ، وَأَبْيَنُهَا دَلِيلًا وَأَمَارَةٌ".³

إذا تبينت هذه المعاني الممهدة، فما مكانة المنهج المقارن من الدرس الفقهي؟ وكيف تتم التربية
المتدرجة للملكة المقارنة؟ وما معالم التفقه المقارن وفق كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي
الوليد ابن رشد؟

أولا: أصالة المنهج المقارن في الدرس الفقهي والتدرج في تربية ملكته

أحاول في هذه النقطة التحقق من كون أرقى ملكات التعقل هي وليدة طبيعة الدرس الفقهي
وخصائصه، وأن منهج المقارنة ملكة تنمو وتترسخ تدريجيا بالإرادة والتفعيل التطبيقي للنماذج الأصلية
والرائدة في التراث الفقهي.

أ- المنهج المقارن من طبيعة الدرس الفقهي: التدريس هو تفكير وتنظيم يرمي عملية التعلم
بهدف إحداث أثر قابل للتقويم عند المتعلم.⁴ والجدير بالذكر أن أهل العلم بالتربية والتعليم عامة-
التربية الفكرية خاصة- يُفَرِّقُونَ بين مناهج العلوم والعلوم نفسها،⁵ فبالنسبة لعلم الفقه، فقد اعتنى
أصحاب المذاهب بالتأصيل والتفصيل للفقهاء بطرق ومناهج خاصة أفرزتها طبيعة المادة الفقهية⁶، من
أهمها منهج المقارنة أو علم الخلاف، فعندما استقرت المذاهب الفقهية نشأت بين أئمتها مناظرات؛ أدت
إلى نشوء منهج المقارنة المتضمن للعديد من مناهج البحث. يقول أحد الباحثين: "فتلمح استخدام

¹- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة ن ه ج، دار صادر، بيروت، ط1، 522/13.

²- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1972م، مادة قرن، 730/2.

³- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر الزمخشري، نج عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث
العربي، ط2، 1421هـ-2001م، 122/4.

⁴- من مشاركة لي بمقال: وظيفية تدريس الفقه وأصوله في التعليم العالي-من التجزيء الانفصالي إلى الوحدة التكاملية، في الندوة الدولية:
تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي بالكلية متعددة الاختصاصات بالرشيدية، من تنظيم مختبر العلوم الشرعية والتربوية وقضايا
الإنسان، وذلك يومي 10 و11 نونبر 2022، وأعمال الندوة في طريق النشر.

⁵- مناهج العلوم عند المسلمين قديما وحديثا، ماهر عبد القادر علي، الناشر: أورينتال، الاسكندرية، جمهورية مصر، 2007م، ص323.

⁶- أثبتت دراسات مختصة باستقلال علمي الفقه وأصوله بمناهجها التي تولدت من طبيعتهما الداخلية، في تميز عن مرجعيات أخرى. يقول
الأستاذ حمو النقاري: "إن الضبط الأصولي لمبني الدلالة والاستدلال تم في استقلال عن المنطق اليوناني" المنهجية الأصولية والمنطق
اليوناني، سلسلة بدايات، الشركة المغربية للنشر ولادة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1411هـ-1991م، ص225.



الفقهاء لمنهج الاستقراء سواء أكان استقراء للأقوال في المسألة الواحدة أو استقراء للأدلة من مصادرها، وتلمح استخدام الفقهاء للمنهج التحليلي في مناقشة الأقوال والأدلة بالتفسير والنقد والاستنباط والترجيح⁷. فلا شك أن منهج المقارنة من خصائص درس الفقه القائمة أساساً على الفهم السليم⁸؛ إذ لا مجال لإدراك مسائل الخلاف، والفروق بين الأشباه والنظائر-على سبيل المثال-إلا بالمقارنة. لقد سطر الإمام الشافعي-رحمه الله-كلاماً نفيساً يمثل قواعد راسخة في منهج المقارنة تدل على مدى اعتناؤه بها، وفي كيفية التعامل مع الأقوال المختلفة حيث يقول عن طالب الحق: "ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد ينتبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد به تثبيتها فيما اعتقد من الصواب. وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه، حتى يعرف من أين قال ما يقول، وترك ما يترك، إن شاء الله"⁹. ولهذا قيل: "من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه"¹⁰.

والحاصل أن علم الفقه من خلال مراحل تأليفه وأساليب نظر علمائه في الأدلة والاستدلال وطرق السير والتقسيم وتحقيق المناطات والتصوير الفقهي للمسائل، هو علم ذو طبيعة مهارية عقلية، ووظيفة منهجية عملية، وهي قرح ملكات التفقه، فمن اشتغل في الدرس الفقهي بالتنظير دون الإجراء والتمرين التطبيقي، فليس بفقيه¹¹. فلا بد من اختيار طرق التدريس الملائمة لطبيعة وخصائص درس الفقه¹². وهذا ما يتأكد بالدراسات البحثية النظرية والميدانية، حيث تؤكد نتائج إحداها ارتفاع 88% من عينة البحث للطريقتين الاستقرائية والاستنباطية في تدريس الفقه¹³.

والخلاصة أنه باستحضار عوامل نشأة المنهج الفقهي المقارن في التراث الإسلامي، يتقرر أنه إنما جاء استجابة لتطور علمي محلي تجلى في حركة التأليف والتدريس، فأثمر فكراً فقهياً ناضجاً معرفياً ومنهجياً تفاعلاً مع قضايا الواقع. وقد نتج عن الفقه المقارن في العصر الحاضر اتساع الأفق، ورحابة الصدر في اختيار القول الأرجح الذي يحقق المصلحة. ولهذا ارتفع نجم الفقه المقارن، وأصبح مطلباً عاماً مقرراً للتدريس في المعاهد والكليات والجامعات، وأصبح وسيلة لدراسة الفقه، وهدفاً في المقررات

⁷- المنهج المقارن في البحث الفقهي، مهند عيسى القواسمة، رسالة ماجستير، نوقشت بالجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، إشراف: الدكتور علي محمد الصوا، السنة الجامعية: 2010م، ص 110.

⁸- قال الفقيه العَلَم ابن عبد البر: "باب ذكر مَنْ ذَمَّ الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه" جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط7، 1427هـ-2015م، 177/2.

⁹- ينظر: الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح أحمد شاکر، المكتبة العلمية، بيروت، 1358هـ-1939م، ص 510-511.

¹⁰- جامع بيان العلم وفضله، م س، 57/2.

¹¹- البحث الفقهي الجامعي ودوره في بناء وتجديد المعرفة الفقهية، المصطفى فرحان، ضمن الندوة الدولية: البحث التربوي وتجديد المناهج التعليمية، المدرسة العليا للأساتذة بفاس 14 دجنبر 2017، مطبعة أنفو برينت، 2018م، 395.

¹²- تدريس الفقه الإسلامي وأصوله بكليات الشريعة وكليات العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الحسن ليتيم، مجلة التدريس الجامعي، عدد3، مطبعة أنفو برينت، فاس، 1444هـ-2022م، ص 106.

¹³- واقع المناهج التربوية في مسالك الدراسات الإسلامية الجامعية-دراسة نظرية وميدانية، يونس محسن، دار الأمان، الرباط، 2020، ص 157.



الدراسية، وصار المنهج العام في دراسة المواد الفقهية غالباً¹⁴.

ب-التدرج في بناء ملكة المقارنة: قال ابن خلدون عن التدرج في التعليم: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج، شيئاً فشيئاً، وقليلاً فقليلاً"¹⁵. كما قال عن الملكة: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى حتى ترسخ صورته"¹⁶. وعبر ابن عاشور عنها باعتبارها من جودة التعليم وأعلى مقاصد التدريس بقوله: "ونعني بالملكة أن يصير العمل بتعليمات العلم كسجية للمتعلم"¹⁷.

وإذا كانت الملكة الفقهية عامة هي: "صفة راسخة في النفس، تحقق الفهم لمقاصد الكلام الذي يسهم في التمكن من إعطاء الحكم الشرعي للقضية المطروحة، إما برده إلى مظانه في مخزون الفقه، أو بالاستنباط من الأدلة الشرعية أو القواعد الكلية¹⁸. فإن ملكة الفقه المقارن أو المنهج الفقهي المقارن هو: "الفقه الذي يُجمع فيه بين أقوال الأئمة وأدلتها ومقابله بعضها ببعض"¹⁹. أو هو: "دراسة علمية لآراء المذاهب الفقهية وأدلتها في مسألة معينة للخروج برأي راجح"²⁰. وهي ملكة فريدة، ومرتبطة عالية يتحقق بها المتفقه بسلوكه مستويات تدريبية متدرجة.

إن لتدريس ملكة الفقه المقارن أهمية كبيرة، خصوصاً في عصر كثرت فيه المستجدات، مع شرط توفر ملكة تدريسها، بحيث يُفعلها المدرس وينمّيها لدى طلابه ويدربهم عليها شيئاً فشيئاً، وهذا يؤكد ضرورة توظيفها في تدريس الفقه الإسلامي والمقررات ذات الصلة كمقررات أصول الفقه²¹ وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الميدانية-في إحدى عينات البحث-تبين أن 93,33% من الأساتذة و98,33% من الطلبة يؤكدون على أن التركيز على الملكات-وأشملها ملكة الفقه المقارن-دعامة تجديدية للمنهج الدراسي لمقررات الفقه بالجامعة المغربية²².

والجدير بالذكر أن ملكة المقارنة تعطي الطلبة فرصة كي يفكروا بمرونة بين شيئين أو أكثر في آن واحد، إضافة إلى كونها تُضفي عنصر التشويق والإثارة للموقف التعليمي التعلّمي، خاصة إذا تم تنشيطها

¹⁴- المنهج المقارن وأثره في تطور البحث الفقهي والتواصل المعرفي، عادل عبد الستار الجنابي و أفكار صابر موزان، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، جمهورية مصر، المجلد 50، عدد يناير-مارس 2022، ص 117. <http://www.aafu.journals.ekb.ej>

¹⁵- المقدمة، ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ-1988 م، ص 490-491.

¹⁶- المقدمة، م س، 501/1.

¹⁷- أليس الصباح بقريب-التعليم العربي الإسلامي، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون تونس، ط1، 1428 هـ-2006 م، ص 153.

¹⁸- تكوين الملكة الفقهية، محمد عثمان شبير، سلسلة كتاب الأمة، العدد 72، ط1، رجب 1420 هـ-1999 م السنة 19، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1431 هـ-2010 م، ص 58.

¹⁹- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، عبد السميع إمام، ضبطه: محمد فاضلي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 1422 هـ-2001 م، ص 14.

²⁰- المنهج المقارن، القواسمة، م س، ص 12.

²¹- التفكير الفقهي، الغدوني، م س، ص 74.

²²- واقع المناهج، محسين، م س، ص 137.



بوسائل إيضاح وأدوات تطبيقية محفزة، كأوراق العمل التدريبية واستثمار البيانات ورسم الخطاطات²³، وكذلك فإن دافعية الطلبة في عملية المقارنة تكون أقوى مما هي عليه في أسئلة التذكر المعرفي المجرد. ومن الخطاطات؛ الخرائط المقارنة بين شيئين أو أكثر كما يلي:



لقد كُتب في تنمية هذه الملكة كبار العلماء، فقد ألفوا الكتب والمقررات، واتخذوا مناهج متعددة في طريقة المقارنة، تعكس التدرج الأصيل في بناء وترسيخ هذه الملكة، سواء أكانت مقارنة داخل المذهب الواحد ابتداءً أو بين المذاهب توسطاً وانتهاءً، فمنها منهج ذكر الأقوال بدون ترجيح أو استدلال، ومنهج ذكر الأقوال مع الترجيح دون استدلال، ومنهج ذكر الأقوال مع الاستدلال والترجيح، وهو أهمها وأعلىها.²⁴ ولذلك وجب حفز وتمارين الطلبة الباحثين الراغبين في التحقق بهذه الملكة الفقهية الرصينة، على دراسة هذه الكتب بمستوياتها المتدرجة كل حسب مرتبته. وإلى ذلك أشار صاحب تاريخ التشريع الإسلامي مقترحاً منهجاً لتدريس الفقه والتدرج فيه، ومفاده أن الدراسة المقارنة بين المذاهب تأتي في مرحلة متأخرة، وأن الطالب في التعليم الابتدائي يبدأ بالدراسة المذهبية، وفي الدرجة التالية يتوسع في المذهب نفسه فيطلع على مواطن الخلاف في المذهب، ومن ثم يدرس خلاف الأئمة والمذاهب المختلفة وطرق استدلالهم وأسباب اختلافهم.²⁵

ثانياً: التفقه المقارن للمبتدئ من خلال "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد

المبتدئ في طلب ملكة التمكن من علم الفقه هو المراد هنا، أي الابتداء في المستويات العالية للفقه في طريق الاجتهاد؛ والمفروض أن الطالب قبل ذلك قد سلك الطريقة الأصيلة في التعلم، والتي تقوم على أساس حفظ القرآن والسنة، وحفظ متن من المتون المختصرة في مذهب من المذاهب الفقهية.

ولما كان كل منهج دراسي لابد أن يرتبط بواقعه ومحيطه، فمن الضروري رصد واقع أبي الوليد محمد بن رشد القرطبي الأندلسي المالكي (الحفيد) (520-595هـ)، حتى نقف على أهدافه التي وضع لها مضامين كتابه، وطرقه العلمية والمنهجية التي اعتمدها تقويماً لحال التفقه والتعلم في واقعه. ففي القرنين السادس والسابع الهجريين استحكمت التقليد والمذهبية كما هو معلوم، فنتج عن ذلك ركود

²³- دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الطهارة والصلاة، حمزة عبد الكريم حماد، دار الجنان للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2022، ص47. وفي دراسة صرح 50% من الطلبة أنهم يفضلون اعتماد الرسوم والخرائط التوضيحية على السبورة. التقويم التربوي في الدرس الفقهي بالجامعة المغربية، مصطفى فرحان، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، فاس، 2016، غير منشورة، ص180.

²⁴- القواعد المنهجية للمقارنة الفقهية ومناهج الفقه المقارن، مها يحيى كاظم ومحمد ناظم المفرجي، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، دراسات إسلامية معاصرة، عدد 34، كانون الأول 2022م، ص338.

²⁵- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري بك، دار الفكر، بيروت، ط8، 1415هـ-1995م، ص363-364.



الفكر الفقهي والتربوي، وضعف تجاوبه مع متطلبات عصره.

ولذلك رصدت كتب تاريخ الفقه الإسلامي محاولة مدرسة (فقه التأصيلات) في الأخذ بأيدي المتفهمين إلى مراتب الاجتهاد، من خلال التدريب على طرق الاستنباط واستعمال أدوات البحث الفقهي، وقد كان ابن رشد من أبرز أعلام هذه المدرسة بمنهجه التجديدي القائم أساساً على ربط المتفقه بالنصوص الشرعية من قرآن وسنة، وتمكينه من التعامل معها تحليلاً وتفسيراً واستنباطاً، وعلى تدريب الطالب على أعمال أدوات الفقه في توجيه الأحكام الفقهية ونقدها وتقويمها بمنهج مقارن مخصص.²⁶ ومما يؤكد ذلك تصريح ابن رشد في مقدمته لمؤلفه على هدف التأصيل للفقه قائلاً: "فإن غرضي في هذا الكتاب أن أثبت لنفسي إلى جهة التذكرة من مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها، ما يجري مجرى الأصول والقواعد لما عسى أن يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع"²⁷.

لقد اتسم المضمون الفقهي في المؤلف بالواقعية من خلال اتخاذ المسائل حوادث وأفضية تحدث للناس في واقعهم وسيلة للوصول إلى تكوين عقول مجتهدة في الفقه، عن طريق أسباب الاختلاف وأصوله؛ لأنه كان أمراً واقعاً.²⁸ ويمكن الإشارة إلى أهم خصائص الطريقة المنهجية المعتمدة لابن رشد كما يلي:

- كتاب "بداية المجتهد" ليس كتاب فروع، وإن استخدم مؤلفه المسائل الفروعية وسيلة لبلوغ هدفه، وهي الخروج من الأسلوب التقليدي القائم على تقليد اللاحق للسابق دون أعمال للنظر والتعقل في المسائل، والرجوع إلى مصادرها لمعرفة الأسباب والعلل الداعية لإتيانها على هذا النحو أو ذاك، قصد ممارسة الاجتهاد والمران عليه.²⁹

- عرض المسائل ومقارنتها ونقدها وردها إلى المصادر، وترجيح ما يتعارض منها، أو ما يظهر فيه قوة وما هو أضعف منه، والأداة هي المادة الفقهية وأصولها، حيث يذكر أصل المسألة ثم يذكر فتاوي الفقهاء ثم يذكر أدلتهم. ومع أن ابن رشد فقيه مالكي لكنه لا يتبع في تمام فروعه إمامه فقد تكون فتوى الفقيه الآخر أتمن لكون دليله أتمن.³⁰

كما يمكن الكشف عن أهم معالم التدرج البيداغوجي والصنعة البيانية التعليمية لابن رشد، وذلك بذكره لمنهجه الخاص المتعلقة بالكتاب أو المبحث في كل كتاب، مع تصديره للمبحث بطرح جملة

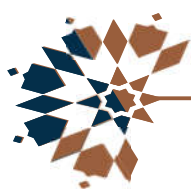
²⁶- مراجعة لكتاب منهاج تدريس الفقه، لمصطفى صادق، حمزة عبد الكريم حماد، إسلامية المعرفة، السنة 20، العدد78، خريف2014م، ص181.

²⁷- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الكتب العلمية، ط10، بيروت، 1404هـ-1988م، ص2.

²⁸- أصالة ابن رشد وعقلانيته في الفقه من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أحمد مغازي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، الجزائر، 2007م، ص309-310.

²⁹- أصالة ابن رشد، مغازي، م س، ص295.

³⁰- القواعد المنهجية، كاظم و المفرجي، م س، ص346-347.



من الإشكالات في صورة تساؤلات أحيانا، يمثل الإجابة عنها مضمون ما يحتويه المبحث من اختلاف المواقف في مسائله، وأدلة وبراهين كل موقف، وبيان أسباب الاختلاف التي يرُدُّها إلى اختلاف في التصور أو الفهم للنصوص أو للدلالات أو غير ذلك، ويختم برأيه الخاص الذي يسنده براهين لإثبات رأيه أو ترجيحه.³¹ ولا شك أن الكتاب مليء بما يمكن التمثيل به لكل ملكة من ملكات المنهج المقارن كالنقد والتحليل والتعليل والترجيح، ومن ذلك:

- ترجيح ابن رشد من طرق الفقهاء البحثية والمنهجية مذهب الجمع على مذهب النسخ، فقال: "وأولى المذاهب عندي وأحسنها طريقة الجمع"³². يعني بذلك حديثي أبي هريرة المتعلقين بتأثير النجاسة في الماء. (إذا استيقظ أحدكم من نومه)³³. و(لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه)³⁴.

- لا يتعلق ترجيحه في إطار المذهب الذي ينتهي إليه، وهو مذهب مالك، بل يتعلق كذلك بالأراء والمذاهب الأخرى. وقد صرح بضعف مذهب مالك حين استعمل قياس الشبه في مسألة إعادة الصلاة مع الجماعة لمن صلى منفردا؛ هل يعيدها أم لا؟ فقال: وهذا القياس فيه ضعف.³⁵ و مثل ذلك ما يمكن استثماره ديداكتيكيا في درس الفقه اليوم ليشكل امتدادا لتدريب الطلبة على تملك هذه الأصول المنهجية الأصيلة، في شكل أوراق عمل أذكر منها:³⁶

ورقة: (ث)

ورقة: (ت)

ورقة: (ب)

ورقة: (أ)

ورقة عمل رقم: ...	ورقة	ورقة عمل رقم: ...	ورقة عمل رقم: ...
مدة الإقامة لأجل القصر	المقارنة الثلاثية المفقدة المسح	حكم الوضوء بماء البحر المتغير لونه أو ريحه أو طعمه	اختلاف الفقهاء في تعريف الطهارة
عززي الطالب: بين ابن رشد اختلاف الفقهاء في مسألة مدة الإقامة التي تجيز القصر فقال: "وأما اختلافهم في الزمان الذي يجوز للمسافر إذا أقام فيه في بلدان يقصر... أحدها: مذهب مالك والشافعي أنه طهارة الطبع المسافر على إقامة أربعة أيام أتم. والثاني: حنيفة وسفيان الثوري أنه إذا أزمع على عزيرة الغسيل عشرة يوما أتم. والثالث: مذهب أحمد وداود أنه إذا أزمع على أكثر من أربعة أيام أتم. ما علة التعدد بهذه الأعداد من الأيام؟	عززي الطالب: قارن بين وطهارة	عززي الباحث: ذهب مجموعة أصدقاء إلى شاطئ بحر، غير أن ماء هذا البحر كان غير نظيف وله رائحة ولونه متغير. وحين أن وقت الصلاة اختلف الأصدقاء في حكم الوضوء من ماء هذا البحر على قولين: الأول رأى جواز الوضوء منه: عملا بالحديث: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته". والقول الثاني: رأى عدم جواز الوضوء منه عملا بقاعدة: الماء طاهر مطهر ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه. فأي الرأين ترجح، ولماذا؟	عززي الطالب: كما تعلم فقد اختلف الفقهاء في تعريف الطهارة. في نظرك: ما أسباب الاختلاف؟ وما الآثار العلمية المترتبة عليه؟ ما التعريف الذي ترجحه، ولماذا؟

³¹- أصالة ابن رشد، مغازي، م س، ص 304.

³²- بداية المجتهد، م س، 26/1.

³³- وتتمة الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (...فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا الْإِنَاءَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يُدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَاهُ) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا، برقم: 162. ومسلم، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده، برقم: 88.

³⁴- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، برقم: 95. وأبو داود بنفس الكتاب والباب، برقم: 69.

³⁵- بداية المجتهد، م س، 143/1.

³⁶- بنظر: دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الطهارة والصلاة، حماد، م س، الورقة (أ): ص 57. الورقة (ب): ص 145. الورقة (ت): ص 60. الورقة (ث): ص 382.



المبحث الثاني : المنهج المقارن أعلى طرق تدريس المتفقه المتوسط والمنتهي

تطورت مناهج البحث في التراث الفقهي الإسلامي في القرن الخامس الهجري بفعل مواصلة الاتجاه العلمي مسيرته التأليفية والتعليمية، وتعتبر مدرسة الفقهاء والمحدثين أهم المدارس العلمية والتربوية وأكثرها انتشاراً وأبعدها تأثيراً في تأصيل الأصول والتدليل للفروع، فقد استمرت في عطاءها، وأنجبت شخصيات بصمت بمؤلفاتها تأطير الدرس الفقهي وغيره. ومن أبرز هذه الشخصيات القاضي عبد الوهاب في المشرق، والحافظ ابن عبد البر في المغرب، فكيف أصّل كتاب الإشراف للقاضي منهج التفقه المقارن؟ وما خصائص هذا المنهج في كتاب الاستذكار لابن عبد البر؟

أولاً: التفقه المقارن للمتوسط من خلال "الإشراف" لعبد الوهاب البغدادي

كتاب الإشراف على نكت مسائل الخلاف، من أشهر كتب الخلاف الفقهي التي أنتجتها المدرسة المالكية بالعراق، للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ت422هـ) الذي يُعدّ فقيه المالكية ببغداد، ويُعتبر كتابه هذا مرجعاً لفقهاء المالكية في معرفة أدلة مذهبهم، وذلك أن المدرسة المالكية العراقية تكونت في بيئة مليئة بالمذاهب، مما حدا بأصحابها إلى الدفاع كل عن مذهبه، وهذا هو الذي دعا القاضي إلى تأليف كتاب الإشراف.³⁷

ومما يدل على أصالة المنهجية التعليمية التربوية للمؤلف في صنعة التدريس والتدرج بالمتعلم، أنّ دراسة هذا الكتاب تأتي في مرحلة متوسطة الثالثة، بعد المرور بمرحلتين: يمثل المرحلة الأولى كتابه "تلقين المبتدي" المجرّد من الأدلة. ويمثل المرحلة الثانية كتابه "المعونة" الذي يتناول أدلة بدون إكثار، ثم تأتي المرحلة التي يمثلها كتاب الإشراف حيث استقصى فيها في الغالب ما يمكن الاحتجاج به، وأكثر من الاستدلال بالأثار على اختلافها، واسترسل في الأقيسة بكل أنواعها، وأفاض في ذكر التعليقات و جلب بقية الأدلة التي يعتمد عليها الاستنباط في المذهب.³⁸

وتتجلى أصالة الهدف العلمي والتربوي الذي تغياّه القاضي من خلال مؤلفه كما يذكرها محقق الكتاب قائلاً: "أما بعد: فهذا كتاب مفيد وأصيل... ففيه في الحقيقة رجوع إلى مصادر الفقه وقواعده، وإحياء لأصوله التي كان بها نشيطاً متحرّكاً متفتحاً، وخروج به عن تحجر وجمود المقلدين من المتأخرين، ففيه طريقة يتعلم الناظر فيه من خلالها ربط الحكم الفقهي بأصله ونظيره، وهذا يقوي الملكة الفقهية عنده، ويدرب المتعلم على الاستنباط والترجيح وتفريع المسائل وبنائها على الأدلة، وعلى أحكام النوازل الطارئة أيضاً... ولقد كان القاضي عبد الوهاب منكبا على العلم، طلباً وتعليماً وتأليفاً، مقبلاً عليه منشغلاً

³⁷ منهج القاضي عبد الوهاب البغدادي في كتاب الإشراف، علاء محمد حسين، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد18، 1427هـ- 2006م، ص82.

³⁸ منهج القاضي، حسين، م س، ص84.



به "39

وفيما يخص محتوى الكتاب وطريقة عرضه للمسائل، فقد رتب القاضي كتابه على الأبواب الفقهية المعروفة، وعلى الطريقة المعهودة عامة، فبدأ بكتاب الطهارة وختم بكتاب المواريث. وقد اتبع منهجا مختصرا يتطرق في أوله إلى عرض الحكم الذي يتبناه بما يحجر محل الخلاف فيه دون ما إفاضة، وكذلك عدم اهتمامه بنسبة الحكم إلى صاحبه من علماء المذهب اعتمادا على كون المتبادر نسبتته لمالك، وكذلك لا يقف كثيرا على اختلاف الروايات، أو ذكر الخلاف داخل المذهب⁴⁰، مما يناسب فعلا توسط المتفقه في منهج المقارنة.

أما عن منهجه في ملكته القوية في الاستدلال فيمكن تقسيمها إلى نوعين: أدلة نقلية، وأدلة نظرية، كما يهتم بذكر القواعد الأصولية والفقهية للدلالة على صحة ما يذهب إليه، فيستفيد المتفقه من طريقة الرجل في استثمار نظريات علم أصول الفقه في تطبيقات عملية. ومما يؤكد التأصيل لاستقلالية الاجتهاد في الكتاب والتجرد للحقيقة العلمية المميزة للبناء المنهجي لخصوصية التفكير الإسلامي عامة، و للمنهج المقارن خاصة، أن المؤلف قد يورد حكما في المسألة، ثم يعارضه بناء على أصول مالك كما سبق عند ابن رشد وسيأتي مع ابن عبد البر، ومن الأمثلة على ذلك قوله في باب الزكاة: (إذا وجد المستحق للزكاة في البلد الذي فيه المال، لم يجز نقلها إلى بلد آخر، فإن فعل أساء، والنظر على أصول مالك يقتضي أن يجوز).⁴¹

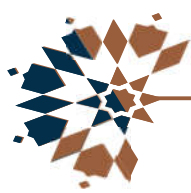
وهذا ما يؤكد ضرورة التنبيه إلى أن من الوسائل العملية لهذا التجرد للحق ضرورة النظر إلى مستند كل اجتهاد، مع قوة المدرك لأصول وقواعد كل قول أو مذهب. والملحوظ أن الدراسة المقارنة التي يعتمدها كثير من الباحثين اليوم تبقى قاصرة عن تهيئة الذهنية الاجتهادية إذا أغفلت هذه الخصيصة، فالذي يقوم به الدارسون والباحثون عامة إنما هو جرد الآراء والأقوال والمسائل المعرفية للفقه لتتبع الأحكام الموافقة لمتطلبات الوقائع، ويبقى الباحث المتفقه، أو الطالب الباحث، في الأغلب عاجزا عن إبداع الأحكام للمستجدات؛ لأنه لم يتمرن على طريقة الاستنباط نظرا لضعف ملكته في إدراك مستند الاجتهاد.

يقول أحد المختصين المعاصرين في نقد الدرس الشرعي عموما، والفقهي على وجه الخصوص: "من الطلبة من يحصل على نقط متميزة؛ لأنه يحفظ منظومات في علم الفقه، وفي علم الأصول، وليست لهم القدرة على استنباط حكم من نص، أو ترجيح خلاف عند التعارض، أو الاجتهاد في مسألة لم يرد فيها

³⁹- الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، قدم له وخرج أحاديثه: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن القيم الرياض، ودار ابن عفاة القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م، 6-5/1. وكذلك: 24/1.

⁴⁰- منهج القاضي، حسين، م س، ص 86.

⁴¹- منهج القاضي، حسين، م س، ص 88.



نص خاص، أو ربط قاعدة فقهية بأحكامها الجزئية، أو قاعدة أصولية بصورها الفرعية.¹ وهو ما أثبتته دراسة حددت هيمنة المجال المعرفي في درس الفقه بالجامعة المغربية بنسبة 92%، وأن نسبة استهداف الجانب المهاري في شخصية الطالب لا تتعدى 5%.² مما يخالف رصانة التفقه في تراثنا الأصيل، ويؤكد ذلك قول الإمام الزركشي: "وليُعلم أن المسائل المدونة في كتب الفقه، ليست بفقه اصطلاحاً، وأن حافظها ليس بفقيه...، وإنما هي نتائج الفقه، والعارف بها فروع، وإنما الفقيه هو المجتهد الذي ينتج تلك الفروع عن أدلة صحيحة، فيتلقاها منه الفروع تقليداً، ويدونها ويحفظها."³ فينبغي لهذا الجانب المشرق المشرق الأصيل من تراثنا الفقهي أن يمتد ليقوم مناهجنا، وليحفز طلبتنا، ولينظم خططنا البيداغوجية والديداكتيكية. وأمثلة لهذا التوجه التربوي والمنهجي-على الأقل-بالورقتين الآتيتين:

ورقة: (ب) 5

ورقة: (أ) 4

ورقة عمل رقم: ...	ورقة عمل رقم: ...
الاختلاف في الولي	عقوبات الحرابة: الخلاف بين المالكية والجمهور في تفسير حرف "أو"
الولي عند المالكية والشافعية ركن من أركان عقد الزواج، بينما هو شرط من شروط الصحة عند الحنفية.	عزيزي الطالب: من أسباب اختلاف الفقهاء في عقوبات الحرابة اختلافهم في حرف "أو" الوارد في آية الحرابة: فهل "أو" للتنوع كما يرى الجمهور، أم للتخيير كما يرى المالكية، ويؤيد المالكية موقفهم بكون "أو" جاءت للتخيير في كفارة اليمين: قال تعالى: (لا يواخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة...) ما رأيك في استدلال المالكية بكون "أو" للتخيير كما في آية الكفارة؟
ما الآثار العلمية المترتبة على هذا الاختلاف؟	

ثانياً: التفقه المقارن للمنتهي من خلال "الاستذكار" لابن عبد البر

المنهج التي يقدمه ابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي القرطبي (ت 463هـ)، من خلال مؤلفاته، ومنها كتابه: "الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار" منهج يكشف عن خطورة نسيان بعض مبادئ التعلم ونظريات التعليم التي أدت إلى ازدهار التربية الإسلامية في قرون السلف⁶. ولذلك دعا ابن عبد البر إلى التجديد والاجتهاد واستنباط الأحكام من مصادرها، وعارض التقليد والجمود، وقد

1- أسس ومسالك اكتساب الملكة الحديثة، سعيد حليم، منشورات البشير بن عطية، مطبعة أنفو برينت، فاس، ط1، 2020، ص15 و38.

2- أثر جودة الأهداف في منهج تدريس الفقه بالتعليم العالي، لطيفة حيروش، رسالة ماستر، المدرسة العليا للأساتذة بفاس، 2016، غير منشورة، ص119.

3- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م، ص38/1.

4- واحدة من مجموع الورقات المشكّلة لمعظم كتاب: دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الجنائيات-تطبيقات عملية، حمزة عبد الكريم حماد، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، أريد، ط1، 2022، ص461.

5- دمج مهارات التفكير في تدريس الأحوال الشخصية، حماد، م س، ص92.

6- ينظر: جامع بيان العلم، ابن عبد البر، 140/1-143.



اتسمت دعوته في التعامل مع الخلاف أو المنهج المقارن؛ من الانتصار للمذهب، إلى الانتصار لاجتماع الأمة واستصحاب روح المواكبة لكل النوازل والمستجدات.

إن من أهداف منهج التفقه عند هذا الإمام المجدد هو مخاطبة نخبة من أهل العلم في مرتبة المنتهي في التفقه في الطريق إلى التحقق بملكات الاجتهاد وبناء الأحكام ونشر العلم وإفادة المجتمع، يقول رحمه الله في مقدمته للكتاب: "أما بعد فإن جماعة من أهل العلم وطلبه والعناية به-نفعهم الله وإيانا بما علمنا-سألونا في مواطن كثيرة مشافهة، ومنهم من سألني ذلك من آفاق نائية مكاتبا؛ أن أصرف لهم كتاب التمهيد على أبواب الموطأ ونسقه" إلى أن قال بنفَس حكيم من الربانية والتواضع: "وأقتصر في هذا الكتاب من الحجة والشاهد على فقر دالة، وعيون مبينة، ونكت كافية؛ ليكون أقرب إلى حفظ الحافظ وفهم المطالع إن شاء الله."¹

أما عن مضمون المنهج ومحتواه في الكتاب، فقد بناه رحمه الله للوصول إلى الحق وتحقيق مقاصد الشرع، بعرضه لأقوال فقهاء الأمصار والمقارنة بينها؛ لأن الاختلاف عنده ليس بحجة، وإنما الحجة في الإجماع، لذلك سلك مسلكا متميزا لتحقيق ذلك، وهو أشبه بما سبق عند ابن رشد والبغدادي، فبيّن أصل الباب الفقهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع، ثم يقوم بتحديد نقطة الخلاف التي تقتضي البحث والنظر في المسألة، بعدها يأتي بأراء العلماء والفقهاء بالتفصيل، فيوازن ويقارن، ويقبل ويرد وينقد الحجج والأدلة بما اطمأنت إليه نفسه وبما توقّر لديه من حجج وبراهين، بالترجيح بين الأقوال تارة أو الجمع بينها أو التوقف، وفي أحيان كثيرة يأتي بأراء يخالف بها آراء المذاهب، وبعد المقارنة والموازنة بينها يصل إلى نتيجة ينص عليها بقوله: قال أبو عمر².

يقول رحمه الله في معرض حديثه عن التشهد في الصلاة وبعد ذكره اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ما نصه: "والذي أقول به-وبالله التوفيق-أن الاختلاف في التشهد وفي الأذان والإقامة وعدد التكبير على الجنائز وما يقرأ ويدعى به فيها، وعدد التكبير في العيدين...، وما كان مثل هذا كله -اختلاف في مباح-كالوضوء واحدة واثنين وثلاثا. إلا أن فقهاء الحجاز والعراق الذين تدور عليهم وعلى أتباعهم الفتوى يتشددون في الزيادة على أربع تكبيرات على الجنائز، وهذا لا وجه له؛ لأن السلف كبروا سبعا وثمانيا وستا وخمسا وأربعا وثلاثا. وقال ابن مسعود: "كبر ما كبر إمامك، وبه قال أحمد بن حنبل" إلى أن قال: "وكل ما وصفت لك قد نقلته الكافة من الخلف عن السلف...، فدلّ على أنه مباح بإباحة توسعة ورحمة والحمد لله."³

¹- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أنور الباز وسليمان القاطوني، دار اللؤلؤة، المنصورة، مصر، ط2، 1441هـ-2020م، ص33/34.

²- المضامين التربوية، فنيش، م س، ص123-124.

³- الاستذكار، الباز و القاطوني، م س، 282/4.



وهكذا ينبغي أن يمتد هذا المنهج الأصيل في التفقه والاجتهاد إلى الدرس الفقهي في زماننا، فأمر التدريس الأكاديمي يجعل من العالم أو الباحث ناظرا في الشيء بصفة مستمرة، مقلبا إياه على كافة الوجوه، ليستخلص الحقيقة، وليعرف كيف يمكن أن يحل إشكالات قد تعرض له أثناء العمل والنظر على السواء. يقول الأستاذ خالد الصمدي: "فالتحديات حقيقية أمام المدرسين لاختيار الأساليب الأكثر وظيفية وقدرة على تشخيص مستوى الطلبة، وتدريبهم على تحقيق الكفايات وتنمية الذكاءات المتعددة، بما في ذلك القدرة على الحفظ والتذكر، أو التحليل، أو التعليق، أو قراءة الوثائق، أو إعداد موضوع، أو تقرير، أو المقارنة بين الأقوال والنصوص"¹.

ويمكن استخلاص خطوات ديداكتيكية لمراحل الدرس الفقهي المقارن امتدادا لأصالته التراثية كما يلي:

الخطوة الأولى إعلان موضوع المحاضرة، والثانية تحرير محل النزاع، والهدف من ذلك إزالة اللبس الذي يحصل بسبب تشابه موضوعين مثلا. وفي الخطوة الثالثة يتم التنصيص على المذاهب التي وقع الخلاف بينها، ثم تحديد سبب الخلاف، مع فسح المجال للتواصل مع الأستاذ وبين الطلبة لتيسير الاستيعاب والفهم والتعبير عن المفاهيم. وفي خطوة ذكر الأدلة يستحسن الاقتصاد في ذكر الأدلة حتى لا تثقل كاهل الطلاب ويعجزوا عن حفظها وفهمها. وفي خطوة الردود والمناقشات ينبغي للأستاذ أن يحرص على ذكر ردود الأئمة على بعضهم وما ورد على أدلتهم من مناقشات؛ لأنه لا يستطيع أن يتوصل إلى المذهب الراجح إلا عبرها. أما في خطوة تحديد المذهب المختار بناء على الردود والمناقشات يستطيع الأستاذ مع طلبته أن يتوصلوا إلى المذهب الراجح لديهم، والأفضل أن يعبروا بالمختار بدل الراجح لأنه ربما يكون هناك أدلة لم يطلعوا عليها ترجح المذهب الآخر.² وتكون الطريقة الأنسب حسب المستطاع هي طريقة المناقشة، ولو بتضمينها في المحاضرة الغالب أسلوبها-اضطرارا لا اختيارا-في أغلب الأوضاع.

ويمكن إجراء تقويمات تكوينية ومرحلية خلال الدرس الفقهي مع الطلبة وفق المنهج المقارن، ومن أهم ما يُلتفت إليه بيداغوجيا هو أن تكون الأسئلة مناسبة للأهداف ومستوى الطلبة، ومن الأساليب أوراق العمل التدريبية انتقيت منها-على سبيل التمثيل- ما يلي:³

ورقة: (ب)

ورقة عمل رقم: ...

المقارنة الثنائية المفتوحة بين التشريع الإسلامي والتشريع الجنائي الوضعي

عزيزي الطالب: قارن بين التشريع الإسلامي والتشريع الجنائي الوضعي من خلال الشكل أدناه.

خاص بالتشريع
الجنائي الإسلامي

خاص بالتشريع
الجنائي الوضعي

ورقة: (أ)

ورقة عمل رقم: ...

سقوط العقوبة بالتقادم

عزيزي الطالب:

اختلف الفقهاء في مسألة: أتسقط العقوبة بالتقادم أم لا؟ ما أسباب الاختلاف في المسألة؟ وما الرأي الذي تراه راجحا، ولماذا؟

¹- البيداغوجية الجامعية في الدراسات الإسلامية و آفاق التكوين والبحث، خالد الصمدي، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2005م، ص40.

²- طرق تدريس مادة الفقه المقارن، عثمان موسى محمد، مجلة العلوم التربوية، جامعة أم درمان، كلية التربية، عدد 6، يونيو 2009م، ص178.

³- دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الجنائيات، حماد، م س، الورقة (أ): ص114. الورقة (ب): ص61.





ودائما في سياق الامتداد لهذا المنهج المقارن الأصيل من خلال هذه المصادر الفقهية الثلاثة -على الأقل- ينبغي للتقويم النهائي أن يستهدف جميع مراحل التفقه، عبر امتحان الطالب في استنباط الحكم الشرعي لنازلة فقهية لم يسبق له أن واجهها من قبل. كما ينبغي امتحانه في نوازل فقهية معاصرة تأصيلا، وتحليلا، واستنباطا؛ لكي يتم استثمار المعرفة الفقهية وتوظيفها ضمن الواقع المعيش.¹

إن مركزية النص في منهج الفقه المقارن، تحيلنا إلى ضرورة تقويم الطلبة في قدرتهم على دراسة النصوص، فيجب انتقاء النص بعناية تامة، فلا يمكن أن يتم تقويم الطلبة في تحليل نص بعيد عن وحدة الفقه المقارن؛ إذ إن هذا المكون يستوجب بطبيعته المعرفية وخصائصه المنهجية أن نقدم للطلاب نصا فقهيا، أو قولاً لأحد أئمة الفقه، أو نصا فكريا أو قانونيا تناول مسألة خلافية، ثم تحفيزه لتحليله وتفسيره وتعليقه، قبل أن ينتقل إلى مستوى المقارنة و الترجيح. ولذلك فاعتماد المسائل محورا للتقويم مفيد؛ بأن يقوم الأستاذ ببيان الأفكار الكبرى الأساسية في تلك المسائل موجهها إلى مظانها في مصادرها ومراجعتها، ويكون على الطالب أن يسعى ذاتيا لاستكمال المعلومات فيها، فيكون إذن قد اطلع في المظان التي رجع إليها على وجهات نظر متعددة وعلى آراء واجتهادات مختلفة فتتكون فيه ملكة من المقارنة والتميز يتمكن بها من تفكير يهيؤه للاجتهد والنقد ويخرجه من دائرة الجمود والتقليد.² وفي ما يلي نموذج لذلك في ورقتين:

ورقة: (ب)⁴ورقة: (أ)³

المهمة رقم:...

أنت خبير في مجمع فقهي وتود المشاركة في مؤتمر علمي يتناول المستجدات في أحكام الطلاق مقل: الطلاق عبر الرسائل القصيرة، والطلاق عبر البريد الإلكتروني، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي... قم بإعداد بحث علمي حول هذه المسائل مستعينا بالمواقع الإلكترونية الآتية وغيرها:

ورقة عمل رقم: ...

أطفال الأنايب- الهدف: التدريب على مهارة حل المشكلات

أنت باحث فقهي ولك موقع إلكتروني مختص بالفتاوى، ورد إليك سؤال من سائل يقول: أنا رجل متزوج منذ سنوات ولدي مشكلة في الإنجاب، وقد قمت بمراجعة أكثر من طبيب وكلمهم أجمعوا على أن الحل هو إجراء التلقيح الاصطناعي؛ هل يجوز لزوجي أن تحمل بأكثر من طفل في المرة الواحدة عبر هذه التقنية؟ هل يجوز تجميد الحيوانات المنوية أو الأجنة لإجراء تلقيح اصطناعي في المستقبل؟ ما رأيك، ولماذا؟

- 1- الأسس العلمية والمنهجية والتربوية للتقويم في الدرس الفقهي الجامعي، مصطفى فرحان، مجلة التدريس الجامعي، م س، ص 157.
- 2- تكوين الملكة في التعليم الشرعي، عبد المجيد النجار، مجلة الأمة الوسط، عدد8، ملف العدد: التعليم الشرعي وسبل ترقيته، اعداد وإشراف: المركز العالمي للبحوث والاستشارات العلمية، طبع الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، شتنبر 2017، ص 158.
- 3- ينظر: تدريس مساقات الفقه الإسلامي في الجامعات وفق استراتيجية الرحلة المعرفية، حمزة عبد الكريم حماد، books-library.online_noo6c416c17586ed5d64b9822-40452، ص 21.
- 4- وهو أحد النماذج المتنوعة للمهمات التي عرضها مؤلف: تدريس مساقات الفقه، حماد، م س، ص 20-21. وينظر كذلك: دمج مهارات التفكير في تدريس الأحوال الشخصية، حماد، م س، ص 192.



خاتمة :

لقد سعى هذا البحث منذ بدايته إلى الاحتفاء بمنهج المقارنة الأصيل في التراث الإسلامي، وإشعار طالب الملكة الفقهية عامة -المقارنة خاصة- بالمنهجية التي تجعل منه باحثا ذا قدرة على النظر في التراث الفقهي والإفادة منه فائدة علمية، مع حسن الاستيعاب وفهم طبيعة الفقه بمختلف مذاهبه ومدارسه القديمة والحديثة، وذلك بمحاولة استثمار نماذج ثلاثة من الكتب الرائدة في بناء وتجديد المنهج الرصين للفقه المقارن، وهي كما جاءت في البحث متتابعة -بداية المجتهد، والإشراف، والاستذكار- لغاية التدرج في استخلاص قواعد علمية ومنهجية وتربوية لتوجيه المنهاج الفقهي المعاصر بيد اغوجيا و ديداكتيكيا.

كما سعى البحث كذلك إلى لفت النظر-من خلال أساليب هؤلاء المؤلفين الرواد- إلى أهمية علم أصول الفقه وما يتعلق به من مباحث اللغة العربية، وعلوم القرآن والحديث، وأسباب الاختلاف، وطرق الترجيح، وغير ذلك مما يجتمع في منهاج تدريس الفقه المقارن، مع تسديد القصد في التعرف والتفهم لمناهج هؤلاء الأئمة في استقراءهم واستنباطهم من المآخذ التي اعتبروها أدلة لتشريع الأحكام، وكل ذلك في سياق محاولة التجديد للدرس الفقهي بإعطاء نماذج ديداكتيكية لتدريب الطلبة على تنمية ملكة الاجتهاد على ترجيح أو استنباط الأحكام، مع تقويم فقههم في حل مشكلات ما يستجد من الوقائع والقضايا المعاصرة.

ومن أهم نتائج البحث :

- المنهج المقارن أصيل متجذر في عقلية الباحث المسلم، انضجه علماء الإسلام في مختلف العلوم بالاستقراء والتحليل والاستنباط وغير ذلك، حتى غدا أداة بحثية رصينة من أدوات التفقه والاجتهاد.

- طبيعة علم الفقه أنه موظف لملكات التعقل والتفهم واستقراء الجزئيات وتحليلها، ومقارنة الأدلة وتقويمها، وإجراء الأقيسة. والمنهج المقارن-دون تعصب لمذهب- هو أعلى ملكات المتفقه، وهو الأنسب في إحكام درس الفقه.

- الملكة المقارنة تنمو وترسخ بالتدرج في اكتسابها والتمرن على أساليب العلماء في تفعيلها، وتبقى كتب "بداية المجتهد" و"الإشراف"، و"الاستذكار" من أحسن ما يرسخ هذه الملكة الكفيلة بإحكام صنعة الفقه ترجيحاً واستنباطاً وتجديداً.

وفي محصلة البحث إجمالاً، يتبين أثر المنهج المقارن في الدرس الفقهي خاصة، وفي تطور البحث الفقهي بصفة عامة؛ إذ يحقق كثيراً من الأهداف والفوائد والآثار التي تُمدد للاجتهاد والتجديد، وتطوير الدراسات الفقهية والمنهجية، فهو ينمي الملكة الفقهية ويوسع المدارك الذهنية من خلال النظر والتأمل في الآراء والأدلة، واستيعاب أكبر قدر ممكن من المسائل والأحكام الشرعية، ثم القياس عليها لتحقيق المواكبة والرقى، والاستمرار في الكشوف المنهجية والعلمية لعمارة الأرض وبناء الحضارة.



فهرس المصادر والمراجع:

- أصالة ابن رشد وعقلانيته في الفقه- من خلال كتابه بداية المجتهد، أحمد مغازي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد8، الجزائر، 2007م.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أنور الباز وسليمان القاطوني، دار اللؤلؤة، المنصورة، مصر، ط2، 1441هـ-2020م.
- الأسس العلمية والمنهجية والتربوية للتقويم في الدرس الفقهي الجامعي، المصطفى فرحان، ضمن: مجلة التدريس الجامعي، المدير المسؤول د. سعيد حليم، عدد 1، مطبعة أنفو برينت، فاس، 1442هـ-2020م.
- أسس ومسالك اكتساب الملكة الحديثية، سعيد حليم، منشورات البشير بن عطية، مطبعة أنفو برينت، فاس، ط1، 2020.
- الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، قدم له وخرج أحاديثه: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن القيم الرياض، ودار ابن عفان القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م.
- أليس الصبح بقريب- التعليم العربي الإسلامي، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون تونس، ودار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ-2006م.
- البحث الفقهي، مصطفى فرحان، ضمن أعمال الندوة الدولية: البحث التربوي وتجديد المناهج التعليمية، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة أنفو برينت، فاس، 2018م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الكتب العلمية، ط10، بيروت، 1404هـ-1988م.
- البيداغوجية الجامعية في الدراسات الإسلامية و آفاق التكوين والبحث، خالد الصمدي، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2005م.
- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري بك، دار الفكر، بيروت، ط8، 1415هـ-1995م.
- تدريس الفقه الإسلامي وأصوله بكليات الشريعة وكليات العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الحسن ليتيم، مجلة التدريس الجامعي، عدد3، مطبعة أنفو برينت، فاس، 1444هـ-2022م.
- تكوين الملكة في التعليم الشرعي، عبد المجيد النجار، مجلة الأمة الوسط، عدد8، ملف العدد: التعليم الشرعي وسبل ترقيته، اعداد وإشراف: المركز العالمي للبحوث والاستشارات العلمية، طبع الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، شتنبر 2017.
- التقويم التربوي في الدرس الفقهي بالجامعة المغربية، مصطفى فرحان، رسالة ماستر، المدرسة العليا للأساتذة، فاس، 2016، غير منشورة.
- تكوين الملكة الفقهية، محمد عثمان شبير، سلسلة كتاب الأمة، العدد 72، ط1، رجب 1420هـ-1999م



- السنة 19، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1431هـ-2010م.
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبالي الزهيري، دار ابن الجوزي، ط7، 1427هـ-2015م.
- دمج مهارات التفكير في تدريس الأحوال الشخصية-تطبيقات عملية، حمزة عبد الكريم حماد، دار الجنان للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2022.
- دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الجنائيات، حمزة عبد الكريم حماد، عالم الكتب الحديث للنشر، الأردن، أريد، ط1، 2022.
- دمج مهارات التفكير في تدريس فقه الطهارة والصلاة، حمزة عبد الكريم حماد، دار الجنان للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2022.
- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، 1358هـ-1939م.
- طرق تدريس مادة الفقه المقارن، عثمان موسى محمد، مجلة العلوم التربوية، جامعة أم درمان الإسلامية - كلية التربية، عدد 6، يونيو 2009م.
- القواعد المنهجية للمقارنة الفقهية ومناهج الفقه المقارن، مها يحيى كاظم ومحمد ناظم المفرجي، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، دراسات إسلامية معاصرة، عدد 34، كانون الأول 2022م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2001م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1414هـ.
- مراجعة لكتاب منهاج تدريس الفقه، لمصطفى صادقي، حمزة عبد الكريم حماد، إسلامية المعرفة، السنة 20، العدد 78، خريف 1435هـ-2014م.
- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1972م.
- المقدمة، ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ-1988م.
- مناهج العلوم عند المسلمين قديما وحديثا، ماهر عبد القادر علي، الناشر: أورينتال، الاسكندرية، جمهورية مصر، 2007م.
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، عبد السميع إمام، ضبطه: محمد فاضلي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
- منهج القاضي عبد الوهاب البغدادي في كتاب الإشراف، علاء محمد حسين، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد 18، 1427هـ-2006م.
- المنهج المقارن في البحث الفقهي، مهند عيسى القواسمة، رسالة ماجستير، نوقشت بالجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، إشراف: الدكتور علي محمد الصوا، السنة الجامعية: 2010م.



- المنهج المقارن وأثره في تطور البحث الفقهي والتواصل المعرفي، عادل عبد الستار الجنابي و أفكار صابر موزان، حويليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، جمهورية مصر، المجلد 50، عدد يناير-مارس 2022، ص 117. <http://www.aafu.journals.ekb.eg>
- المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني، سلسلة بدايات، الشركة المغربية للنشر ولادة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1411هـ-1991م.
- واقع المناهج التربوية في مسالك الدراسات الإسلامية الجامعية-دراسة نظرية وميدانية، يونس محسين، دار الأمان، الرباط، 2020.



Towards Using Debate Logic in Enriching and Developing Educational Curricula

Dr. Widah Moustafa

Ministry of Education and Instruction Algeria

Abstract:

The debate is an intellectual practice that enhances the mental capacity to analyze issues and ideas. It is a cultural activity practiced by individuals, groups, organizations, and various councils. It is not a one-sided thought process; rather, it is an effective and interactive participatory thinking. Its importance also lies in honing the talents of learners and adapting them to increase knowledge production and efficiency. Consequently, it trains them to master the arts of oratory and argumentation aimed at shaping opinions within the framework of respecting differing views, even if they are contrary.

It enhances self-confidence, develops the learner's personality, and enables them to develop scientific and persuasive dialogue methods and techniques. Additionally, it helps in shaping future leaders who possess a sense of responsibility and understand the fundamentals of dialogue.

Keywords: debate, curriculum, education, teaching,

Received: 9/10/2024
Revised: 13/11/2024
Accepted: 19/12/2024
Published: 1/2/2025

* Corresponding author:
oudah.mustapha@gmail.com

Citation: Widah, Moustafa
(2025). Towards Using Debate
Logic in Enriching and
Developing Educational
Curricula. *Dalail Journal of
Humanities*, 1 (2).

الاستشهاد المرجعي:

ويداح ، مصطفى (2025 فبراير)
نحو الاستفادة من منطق المناظرة
في إذكاء وتطوير المناهج الدراسية ،
مجلة دلائل للعلوم الإنسانية، عدد
2، مجلد1.



© 2025 Publishers/ the
International Foundation of
Beacons of Intellect / Research
team: Education, Languages,
and Cultures, Moulay Ismail
University, Morocco.
This article is an open access
article distributed under the
terms and conditions of the
Creative Commons Attribution
(CC BY-NC-ND) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>

نحو الاستفادة من منطق المناظرة في إذكاء وتطوير المناهج الدراسية

د. ويداح مصطفى

وزارة التعليم والتربية، الجزائر

ملخص:

تعتبر المناظرة ممارسة فكرية تنمي القدر العقلية على تحليل القضايا والأفكار، وهي نشاط ثقافي يمارسه أشخاص، وجماعات، وهيئات، ومجالس مختلفة فهي ليست تفكير أحادي بل هي تفكير تشاركي فعال وتفاعلي وتكمن أهميته أيضا في صقل مواهب المتعلم وتطويرها لزيادة الإنتاج والمردودية المعرفية، ومن ثم تعويده على إتقان فنون الخطابة والمحاجة الرامية إلى بلورة الرأي في إطار احترام الرأي الآخر ولو كان مخالفاً. فهي تعزز الثقة بالنفس، وتنبئ الشخصية المتعلم، وتمكنه من تطوير طرق وأساليب الحوار العلمي والمقنع، كما أنها تساعد على تكوين قادة المستقبل يتحلون بروح المسؤولية ويفهمون أبعاد الحوار. الكلمات المفتاحية: المناظرة، المناهج الدراسية، التربية، التعليم.



مقدمة:

تعتبر المناظرة-Debate – و تمثاتها في الفكر الإسلامي عموما وفي الفكر الكلامي الإسلامي خصوصا نوعا مهما من الحجاج الفكري والعلمي الرسين الذي كان يؤسس لمعرفةً تشاركيةً وتصاوبيةً وتعاونيةً بين الأطراف المتحاورين، فكانت على هذا الأساس تنتج مختلف المضامين المعرفية في مختلف شعاب العلوم والمعارف وخصوصا الكلامية منها والفقهية والأصولية، ناهيك عن كون الاعتراض وواجبات الرد على الاعتراض المناظرية شكلت مادة منطقية تفرد بها الفكر الكلامي الإسلامي وهذه المادة لا شك أنها صالحة اليوم أيضا لأن تستثمر في أعمال أصلية تساهم في الاجتهادات المعاصرة التي تشرف على الحوار وعلى التواصل اللغوي بمنظار منطقي.

وفي إطار هذا السياق العلمي والمعرفي طرحنا يقضي بمحاولة إدخال منطق المناظرة وإقحامه داخل النشاط البيداغوجي والتعلمي سواء كان أكاديميا أو في الفئات الأقل عمرا، وهذا بغية زرع فكرة تشاركية وتصاوبية النشاط العلمي والثقافي وبالتالي محاولة لإخراج الطلاب والمتعلمين من عقلية التلقي السلبي البارد دون التفاعل الإيجابي و المشاركة الفعالة في العملية التعليمية والتعلمية، ناهيك عن الحمولة القيمية والأخلاقية التي نجدها ثابرة في أدق تلافيف تفاعلات المنطق المناظراتي الإسلامي والتي لا شك تساهم في إذكاء أخلاقيات وسلوكيات الطلاب التعليمية.

وعليه فالنجاح في هذا الباب يعتبر إسهما كبيرا أيضا في التخلص من إكراهات العقلانية البرهانية الصلبة التي لا تصلح كثير في إنتاج المعارف الإنسانية الاجتماعية والشرعية، كونها تصلح للمعارف الرياضية والعلوم الدقيقة منها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية والدينية التي هي محكومة بدورها إلى عقلانية حجاجية يديرها منطق طبيعي وحجاجي ولا تتحمل التفكير الصلب والرياضي.

إذن فالمناظرة ممارسةً فكريةً تتبرُّ العقلَ البشريَّ ووسيلةً لتحليل القضايا والأفكار، وهي نشاطٌ ثقافيٌّ يمارسه أشخاصٌ، وجماعاتٌ، وهيئاتٌ، ومجالسٌ مختلفة. وتكمنُ أهميةُ المناظراتِ في أنها تساعدُ على صقلِ مواهبِ المتعلم، وتعويدهِ على إتقانِ فنونِ الخطابةِ والمجاجةِ الراميةِ إلى بلورةِ الرأيِ في إطارِ احترامِ الرأيِ الآخرِ ولو كان مخالفاً.

فهي تعززُ الثقةَ بالنفس، وتنمي الشخصية، وتمكنُ من تطويرِ طرقِ وأساليبِ الحوارِ العلمي والمقنع، كما أنها تساعدُ على تكوينِ قادةِ المستقبل. فما المقصودُ بطرقِ التدريس وما معنى المناظرة في السياق



العربي والغربي وهل يمكن استفادة منها في مجال التدريس؟ هذا وغيره ما سنحاول الإجابة عنه في هذه الورقة البحثية.

قبل الدخول إلى حيثيات الموضوع المطروح لا بد لنا من المرور على عتبة المفاهيم الكبرى التي يتأطر بها هذا البحث على غرار مفهوم التدريس والمناظرة وأدوات التدريس.

أولاً: مفهوم التدريس

التدريس في إطاره العام هو عملية تعاونية تشاركية يتفاعل فيها قطبين معلم ومتعلم أو بين المتعلمين والطلاب فيما بينهم وذلك لتحقيق أهداف معرفية وتعلمية معينة ولعل من أشهر التعريفات التي تناولت مفهوم التدريس نجد:

من يعرفه بقوله: "عبارة عن عملية تعليمية يتم من خلالها إيصال المعارف أو المعلومات أو مهارة إلى الطرف الآخر المستقبل لها. وهو عملية تفاعل وتوجيه وممارسة أنشطة متنوعة تعتمد على فاعلية المتعلمين وجهودهم وتوجيه المعلم وإرشاده لأن التعليم لديه إنما هو تعديل للسلوك من خلال الخبرات التي تقدم للمتعلمين وأن دوره في عملية التدريس ينحصر في قيامه بدور العامل المساعد والموجه والمخطط لميراث عملية التعلم" (الحريري، 2009، صفحة 13)

ويمكننا أيضاً أن نضفر بتعريف لتدريس عند كل من دكتور وفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة بأنه "نشاط تواصل يهدف إلى إثارة التعلم وتسهيل مهمة تحقيقه، ويتضمن سلوك التدريس مجموعة من الأفعال التواصلية والقرارات التي تم استغلالها بكيفية مقصودة من المدرس الذي يعمل باعتباره وسيطاً في أداء موقف تربوي تعليمي" (الحيلة، 2009، صفحة 23)

وعليه فإن التدريس هو عملية تفاعلية وتواصلية تجمع بين قطبي التدريس بين المعلم وتلاميذه داخل الصف كما ذكرنا ذلك، حيث يقوم المدرس بنقل وإسناد مجموعة من المعارف والأفكار والمهارات والتجارب إلى ذهن الطالب من خلال اعتماده على التواصل التفاعلي بينه وبين المتعلم وذلك بغية خلق إثارة معرفية والاستكشافية لدى المتعلم وتسهيل مهمة تحقيقه.

ثانياً: مفهوم المناظرة في السياق اللغوي العربي.

صحيح لا يمكن الحديث عن أي إشكالية ما دون المرور على مرحلة التصور الدقيق والتام لتلك المعرفة ومن خلال هذا المنطلق الأساسي يحتم علينا المقام التعريف بألية المناظرة وبيان مفهومها



وعلاقتها بالجدل لتتوضح الفكرة عنها جيدا ومن ثم سقلها وتطويعها بغية جعلها آليو من آليات إيصال المعرفي وخصوصا لدى الطلاب.

قد تنوعت وتشعبت معاني المناظرة في الاستعمال اللغوي العربي ويمكن سبر وجمع بعض من الحمولة الدلالية لمفهوم المناظرة من خلال العديد من المعاجم والقواميس اللغوية نذكر بعضها:

- عند صاحب لسان العرب المناظرة هي: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتباناه. والمنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو سائك، وفي التهذيب: المنظرة منظر الرجل إذا نظرت إليه فأعجبك، وامرأة حسنة المنظر والمنظرة أيضا. ويقال: إنه لذو منظرة بلا مخبرة. والمنظر: الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه ويسره (منظور، 1994، صفحة ج5 ص217).

- في كتاب مجمل اللغة لابن الفارس: نظر: نظرت أنظر، ونظرت الأرض، إذا أرت العين نباتها، ونظر الدهر إلى بني فلان فأهلكهم، وحي حلال ونظر، أي: متجاورون ينظر بعضهم بعضاً، والنظير: المثل، وهو الذي إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء، ونظرت فلاناً بمعنى انتظرتة، ورجل به نظرة، أي: شحوب، وأنظرتة: أخرته، والنظرة: التأخي (القزويني، 1986، صفحة ج1 ص873).

- وقد ورد في معجم الصحاح في اللغة والعلوم: النظر تأمل الشيء بالعين، ويقال حي حلال ونظر، أي متجاورون يرى بعضهم بعضاً. وداري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تناظر، أي تقابل، والنظارة قوم ينظرون إلى الشيء، ونظير الشيء مثله، وحكى "أبو عبيدة" النظر والنظير بمعنى واحد، مثل الند والنديد (مرعشي، 1974، الصفحات ج2 ص580-581).

يمكن الظفر من خلال هذه المعاني المستمدة من القواميس اللغوية أن المناظرة تحمیل في أدق تلافيف معانيها اللغوية معنى التشارك والتناوب والتقابل والتفاعل بين شخصين وهذا ما يرهص إلى معناه الاصطلاحي والصناعي.

ثالثا: المناظرة في الاصطلاح العلماء المسلمين: لقد عرف المسلمين هذا الفن منذ الزمن الأول للإسلام وخصوصا لما بدأت الفتحات الإسلامية للأمم المختلفة ودخول الآخر المخالف في الدين والعقيدة إلى الذات الإسلامية ما استدعى فتح العديد من الورشات للنقاش تحت دائرة ما يسمى بالكلامية (علم الكلام) واستفادة المسلمين مما كتبه اليونان بعد حركة الترجمة غير أن هذا لا ينفي الشق الإبداعي لدى المسلمين وخصوصا في إذكاء هذه الآلية وتطويرها ومن ثم يمكننا سرد بعض التعريفات لهذا الفن عند العلماء المسلمين لعل من أهمها:



- تعريف أبو المعالي الجويني المناظرة بقوله: "فأما المناظرة فمن النظر وكل مناظر نظر وإن كان ليس كل نظر مناظرة من حيث إن المناظرة مفاعلة من النظر هو نظر بين اثنين ... ولا فرق بين المناظرة والجدل، والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة وذلك أن الجدل في اللغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر" (الجويني، 1979، صفحة ص19)

- أما صاحب التعريفات الجرجاني فهي تؤول عنده إلى " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارًا للصواب" (الجرجاني، 1983، صفحة 232) وقد أورد التهانوي أيضا في كشف اصطلاحات الفنون أنها: علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم والآداب الطرق، وتطلق المناظرة أيضا في اصطلاح أهل هذا العلم على النظر من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارًا للصواب. وقيل توجه الخصمين في النسبة بين الشئيين إظهارًا للصواب أي توجه المتخاصمين الذين مطلب أحدهما غير مطلب الآخر إذا توجهها في النسبة، وإن كان ذلك التوجه في النفس كما كان للحكماء الإشرائيين وكان غرضهما من ذلك إظهار الحق، والصواب يسمّى ذلك التوجه بحسب الاصطلاح مناظرة وبحثا (التهانوي، 1996، صفحة ج 2 ص 1652)

أما عند المعاصرين فنجد من أشهر المهتمين بهذا الفن الأستاذ حمو النقاري قد جمع لنا في معجمه "معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية" العديد من التعريفات التي تخص هذا الفن الأصيل في علم الكلام وذلك مع مراعات اعتبارات عدة:

- المفاعلة بالنظر أو المباحثة والمباراة في النظر والنظر هو التفكير أو التدبر أو التقدير أو القياس أو التأمل يكون بين نظيرين أي مثلين وندين أحدهما يناظر الآخر أي يقابله فيكون تقابلهما تناظر (النقاري، 2016، صفحة 498).

- إن المناظرة بحضور البحث فيها تسمى "مناقرة" إن النقر هو البحث والنقير هو التفتيش يقال انتقر فلان الشيء وتنقره ونقره ونقر عنه بمعنى بحث عنه فتش.

- المناظرة بحضور الاحتجاج فيها تسمى "محاجة" لأنها لا تتم إلا بإيراد الحجج (1) (الحجة).

- والمناظرة بتوخيمها الوقوف على الحق تسمى "تحاققا" (2) (الحق).

(1) الرمز (←): يفيد معنى الشرط في المنطق الرمزي والمنطقيات الحجاجية.



- (النظر) فأما المناظرة فمن النظر وكل مناظرة نظر وإن كان ليس كل نظر مناظرة من حيث أن المناظرة مفاعلة من النظر وهو نظر بين اثنين ... ولا فرق بين المناظرة والجدل ... وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة وذلك أن الجدل مشتق من غير ما اشتق منه النظر (النقاري، 2016، صفحة 498).

من خلال ما جمعناه من مفاهيم للمناظرة يتضح لنا أن المناظرة هي تفكير وسجال مثنوي وذلك بقصد البلوغ إلى الحقيقة والضفر بها عن طريق التفاحص والتشارك و التصاوب وتعاوننا بين طرفين أو أكثر فيدعي أحدهم دعوى ليعترض الثاني عليها وهي على خلاف التفكير الواحد الذي يدعي مطلقة الحقيقة؛ وفي إطار هذه الرؤية المخصوصة يسطر لنا طه عبد الرحمن مفهوم للمناظرة بقوله: "هي النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر هو من كان عارضا أو معترضاً وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً وراء الإقناع والاقتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره" (الرحمن، 2000، الصفحات 46-47).

إذن بناء على هذه التحديدات الاصطلاحية تكون المناظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب، إذ من المتعذر أن يحيط المرء بكل المعارف وأن يصل إلى منتهائها بجهد وحده، مما يتطلب تشارك العقلاء في بنائها، وهذا ما أشار إليه طه عبد الرحمن بمصطلح المعاقلة التي كانت تسد في الفكر الإسلامي القديم مسد العقل في التراث اليوناني وهذه الطريقة قد اصطبغت بها أغلب العلوم المليية ولم تقتصر فقط على علم الكلام والتفلسف والفقه وأصوله بل يمكن ملفاتها حتى في الأدب والشعر فالمناظرة هي الأصل في مناهج العلوم الإسلامية وحتى المعرفة النظرية للمتفرد نجده يستحضر الناظر الآخر ويناقشه فيزدوج في نظره متوقفاً جملة من الاعتراضات التي يمكن أن يعترض عليه الآخر فنجد في المؤلف الواحد العديد من العبارات على شاكلة: "فإن قيل.... قنا.... /وقالوا.... قلنا / وقد يقال.... ولكن...." / بل نجد ربما بعضهم قد ذهب إلى أن الناظر مع نفسه هو مناظر فيجرد من نفسه ذاتين ينشأ بينهما محاوره داخلية ومعاقلة جوانبية.

رابعا: المناظرة في الفكر الغربي: (Debate، Dispute، controversy، Polemique، joute oratoire، controverse)، على الرغم من أصالة المناظرة داخل المجال التداولي الإسلامي إلا أن هذا النوع من الفنون لا يعدم وجوده في باقي الثقافات لهذا نجد أن الأستاذ مختار الفجاري يرى أن مفهوم المناظرة عند العرب لا يختلف كثيرا عن مفهوم اللاتينيين فهي "دليل وشكل من أشكال المعرفة وتحققها من خلال المواجهة بين -Disputation- لجنس متباريين يعتمدان سلاح اللفظ ومنهج الخطابة و الاستدلال القائم



على سلطة النص المقدس " (الفجاري، 2009، صفحة 72) ونجد أن المناظرة في العصور اللاتينية الوسيطة كانت تتمحور حول ثلاثة أنواع هي :

أ- المناظرة الجدلية -Disputation dialectique-: تتخذ صورة الجدل المغالباتي الكلامية أمام هيئة تحكيمية.

ب- المناظرة السكولاستيكية -Disputation scolastique-: منهج يستنفذ الوسع للكشف عن حقيقة ما.

ت- المناظرة الكودليبيتيكية -Disputation quadlibetique-: تتخذ غالباً صورة السجلات العمودية بين الطلبة والأساتذة في الحواضر العلمية والجامعات اللاهوتية (الفجاري، 2009، صفحة 73).

من خلال هذه المفاهيم المطروحة عن المناظرة نجد أن المناظرة كوسيلة لتأسي لأي عملية تعليمية أو بنائية للمعرفة كان

خامساً: المناظرة كطريقة من طرق التدريس.

إذا أمعنا النظر في هذه الاستراتيجية سنجد أنه قد تم استخدامها بنجاح في مجموعة متنوعة من التخصصات بما في ذلك علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والتكنولوجيا الحيوية والرياضيات والصحة وطب الأسنان والتمريض والتسويق والعمل الاجتماعي. علاوة على ذلك، تم استخدام المناظرة في شكل مكتوب بشكل فعال في الدورات التدريبية عبر الإنترنت (Jugdev، 2004)

بالنظر إلى المفهوم التي تنطوي عليه المناظرة سواء في السياق العربي أو الغربي يمكننا القول إنها وسيلة أو استراتيجية تكون فيه المعرفة تشاركية فهي تخرج عن إطار التفكير الواحد والذي يخفي خلفه عقلانية استبدادية للمعرفة إلى إطار تفكير تشاركي وعليه ستعتمد هذه الاستراتيجية إن أقصمتها في باب التدريس والتعليم على أنشطة اتصال بين مجموعة من الطلبة مادتها الأساسية مجموعة من وجهات النظر حول محتوى معين (موضوع معين) تنتهي بقبول إحدى القراءات مدعّمة بالحجج والبراهين ومن ثم فيمكن أن هذه الاستراتيجية ستكون أشبه بمسابقة علمية تعليمية تحكمها ضوابط معينة يديرها حكم، تضم فرقا فيها عدة متحدثين، يُمنح أولئك وقتاً محدداً لتقديم حججهم وإثباتاتهم.

يقوم المعلم بدور قائد ومُنظّم وموجه يُدير النقاش ويلخص الآراء بين طرفي المناظرة حيث يتبنى كل طرف وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر الطرف المقابل حول الموضوع المطروح للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفيًا أو إيجاباً بغية الوصول إلى الصواب. ويحاول كل منهما إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع وجود الرغبة التامة بإظهار الحق والاعتراف به لدى ظهوره.



- السماح للطلاب بالتعبير عن أنفسهم وإبداء آرائهم وآراءهم ثم تبادل الأفكار حول طرق الملاحظة والتفسير ما يسمح لهم أيضا بالتحدث مع معلمه وزملائه والاستماع والتفكير والتواصل شفهيًا.

- خلق بيئة تنافسية وتعاونية بين الطلاب والمتعلمين لتقليل الملل والرتابة في الفصل.

إذن استخدام استراتيجيات المناظرة في التدريس وتطبيق تقنيات التفاعل الأفقي والعمودي يساهم في تحسين كفاءة عملية التعلم لدى الطلاب والمدرسين معا. فعندما يشارك الطلاب في مناقشات نقدية وحوارات فعالة، يتم تعزيز استيعابهم للمواد الدراسية وتوصيل المفاهيم بشكل أفضل.

سابعاً: استراتيجية المناظرة في التدريس ووتنمية التفكير الناقد.

لقد أوضح التفكير النقدي وخصوصا مع استصحاب السياق التاريخي الحداثي الذي نعيشه قضية مركزية في طرق التدريس المعاصرة، فهو شرط أساسي ومهم لمصلحة الشخصية، وامتلاك الفرد للمهارات النقدية مرتبط بمجموعة من العمليات العقلية، مثل التذكر ومعالجة البيانات وتحليلها منطقيا و طرح الأفكار البديلة فالشخصية التي تمتلك هذه المهارات لها مستقبل زاهر، حيث تكسبها اقتدارا على اتخاذ القرارات صحيحة والصائبة ومدركة للمعطيات المنظومة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها من المتغيرات في وطنها وفاهمة عصرها (المالك، 2020)

إذن وعليه فاستراتيجيات المناظرة في التدريس توفر فرصاً قيمة لتنمية وتطوير مهارات التواصل لدى المدرسين. من خلال المشاركة والمناظرة مع الطلاب، يتعلم المدرسون كيفية التفاعل بشكل فعال، وكيفية التعامل مع مجموعة متنوعة من الأفراد في الصف. يتعلمون أيضاً كيفية الاستماع الجيد لآراء الطلاب، والتعامل معها بشكل مثلى. تعتبر تطوير مهارات التواصل أحد عوامل النجاح الرئيسية للمدرسين في بناء علاقات طويلة الأمد مع الطلاب وتحفيزهم على التعلم.

ناهيك على تحسين مهارات التواصل، تساعد استراتيجيات المناظرة المدرسين على تحسين قدرات الاستماع والتفاعل مع الطلاب. من خلال المشاركة النشطة في المناظرة، يتعلم المدرسون كيفية فهم احتياجات الطلاب بشكل أفضل والاستجابة لها بشكل فعال. يتعلمون أيضاً كيفية استخدام تقنيات الاستماع الفعالة وتطبيقها في الحصص الدراسية. تعزز قدرات الاستماع والتفاعل لدى المدرسين فرص التواصل الفعال وتعزيز الفهم المتبادل مع الطلاب.

استراتيجية المناظرة في التدريس ليست فقط حول تعليم الطلاب، بل أيضاً تعليم المدرسين. إنها توفر فرصاً ممتازة لتعزيز مهارات إدارة الصف. يتعلم المدرسون كيفية إدارة حوار مناظرة نشط ومنظم،



وكيفية إشراف وتوجيه المشاركة الطلابية بشكل فعال. بفضل هذه الاستراتيجية، يمكن للمدرسين تنظيم الصف بشكل أفضل وإدارة الوقت بكفاءة، مما يؤدي إلى بيئة صفية مثالية للتعليم الفاعل. استخدام استراتيجية المناظرة في التدريس يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحسين كفاءة المدرسين وتطوير مهاراتهم. من خلال تطوير مهارات التواصل، يستطيع المدرسون تحقيق تواصل فعال وبناء علاقة إيجابية مع الطلاب. بتحسين قدرات الاستماع والتفاعل، يمكن للمدرسين أن يكونوا مستمعين أفضل ويستجيبون بشكل فعال لاحتياجات الطلاب. وبتعزيز مهارات إدارة الصف، يمكن للمدرسين تنظيم الصف بشكل أفضل وتحقيق بيئة صفية مثلى للتعليم.

ثامنا: مراحل التدريس بالمناظرة.

تتضمن إستراتيجية المناظرة عدة مراحل وخطوات مهمة يجب الانضباط بها واحترامها وذلك لتحقيق مردودية أفضل وأنجع ويمكن إجمالها كالتالي:

- 1- يبدأ المدرس الحصة بالتمهيد لقضية أو موضوع فيه تضارب واختلاف في وجهات النظر ما يخلق نوعا من الاستفزاز العلمي والمعرفي لدى المتعلمين.
- 2- يقسم المدرس الصف الى مجموعتين، بحيث تحدد كل مجموعة موقف دفاع لجانب من جوانب القضية، وبالاعتماد على الوقت المتوفر يبدأ الطلبة في جميع الاثباتات والأدلة والحجج الداعمة والبحث في الموضوع بجدية وتعمق.
- 3- يجب على الطلاب تحديد النقاط الأساسية لقضيتهم ويبدؤون في إعداد عرض لحججهم للقضية التي يتناولونها مع حرص المدرس المدير للسجلات على استنفاد وسعهم في ذلك.
- 4- يعرض الفريق المؤيد رأيه من القضية المطروحة والفريق الثاني يستمع بأدب واحترام له مع تدوين الملاحظات المهمة، ثم يقوم الفريق المعارض بعرض وجهة نظره المخالفة لرأي الأول.
- 5- يقوم أحد الطلبة من الفريق المؤيد بعرض رأيه حول الموضوع ويؤيد رأي زميله بدليل والحجة محاولا إلزام المخالفين وذلك بعرضه على الطلبة، ومن ثم سيقوم أحد أعضاء الفريق المعارض بدوره بإبداء رأيه المخالف مع الحرص على تنفيذ الرأي الآخر.
- 6- بعد الانتهاء من تقديم الطلبة لحججهم، يناقش المدرس الطلبة مواقفهم من القضية، ويعرضون أدلة إضافية تدعم آرائهم مع الحرص على بيان فساد أدلة المخالف.



7- أخيرا يأتي دور المدرس الذي يمثل قائد للجوقة فيقوم بجمع آراء الطلاب المؤيدة والمعارضة وتصنيفها ثم يعطي الرأي الصحيح مشفوعا بأدلته مع الحرص على خلق الجسور وبيان جوانب القوة والضعف في الرأيين (سعيد، 2016)

تاسعا: تتمين طريقة المناظرة في التدريس وأهدافها الكبرى:

المناظرة كمنهج يمكن أن نرصد له العديد من الإيجابيات الكبرى وخصوصا عائدته المعرفي والتفاعلي على الطلاب فاستثمار آلياته المنهجية المأخوذة من مجالات منهجية متعددة: على غرار المنطق الصوري وفلسفة المنطق والمنطق الطبيعي ومنطق الحوار واللسانيات التداولية المدمجة وغيرها فتح الباب لهذا المنهج ليكون طريقة فعالة وناعجة في إحداث المقاربة المعرفية بين المتعلم والمعلم ناهيك عن عديد الأهداف التي يحققها لنا أثناء العملية التعلّمية والتعلّمية ويمكن جرد هذه الأمور وجعلها على شكل مصفوفة من العناصر كالتالي:

- إذكاء رُوح البحثِ الرّسّين بين مختلف شرائح الطلبة، ودفعهم للاستزادة من تحصيل المعارف والمهارات المختلفة.
- تنمية مهارات الكبرى للتفكير، والفهم والاستيعاب، واستنباط الحقائق لدى الطلبة.
- يتيح استخدام استراتيجيات المناظرة في التدريس للطلاب الفرصة للتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم، مما يدعم تفاعلهم ومشاركتهم الفعالة في الحصص الدراسية. تعد زيادة التفاعل بين الطلاب عنصراً أساسياً لتنمية مهارات التواصل وتطوير الثقة في النفس والتفكير النقدي.
- توعية الطلبة بالقضايا العامة وزيادة إلمامهم بها وبالتالي زيادة استيعاب البيانات العلمية المقدمة للطلاب والمتعلمين.
- تشجيع الطلبة على القراءة الحرة، والاطلاع على المعلومات من مصادرها الأساسية، وجمعها، وتوظيفها في أحاديثهم ومحاوراتهم.
- تنمية مهارات التحليل، والنقد، واستخلاص الأفكار الرئيسة فاستراتيجيات المناظرة في التدريس أداة قوية لتطوير مهارات التفكير النقدي لدى الطلاب. تتيح لهم فرصة لتحليل وتقييم الحوار الطلابي بشكل منهجي ومنطقي. عندما يشارك الطلاب في المناظرات، يتعلمون كيفية التفكير بشكل نقدي واستنتاج أفكار مستقلة فيتعلم الطلاب كيفية تحليل الحجج وتقييمها بناءً على المعايير المنطقية



والأدلة المقنعة. كما يتطرقون إلى تنمية القدرة على النقد واستنتاج الأفكار من خلال تحليل حجج الآخرين وتحليل المعلومات المقدمة.

- تطوير مهارات التعليل والتدليل، والمحاكاة بالمنطق والدليل المقنع وهذا ما يتيح تنمية مهارات الخطابة والطلاقة والقدرة على الارتجال لديهم (سلامي، 2014، صفحة 48).

الخاتمة:

إذن من خلال ما مر معنا فاستراتيجية المناظرة في التدريس لها تأثير كبير على عملية التعلم وتطوير وإخراج الطالب من التفكير الواحدي أو كما قلنا إخراجهم من إكراهات العقلانية البرهانية وتنمي مهاراتهم في الحجاج والدفاع عن أطروحاته وعليه فمن خلال هذه الاستراتيجية، يتم تحفيز التفكير النقدي وتنمية مهارات التفاعل والاتصال لدى الطلاب. ناهيك عن كونها تعمل على تعزيز التعلم النشط وتحفيز المشاركة الطلابية الجماعية في الحصص الدراسية فيحس الطالب أنه مؤسس للمعرفة لا أنه مجرد جهاز لاستقبال المعارف وإعادة استردادها عند الحاجة.

فلا يمكن إنكار أن استراتيجية المناظرة في التدريس تعتبر أداة قوية وفعالة وناجعة في تحسين عملية التعلم وتنمية المهارات لدى الطلاب. من خلال الاستفادة من هذه الاستراتيجية، يمكن توفير بيئة تعليمية تعلمية يسودها التفاعل وروح المشاركة الفعالة، مما ينعكس إيجاباً على نتائج الطلاب ومردودهم المعرفي.

قائمة المصادر والمراجع:

التهانوي، م. ب. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (Vol. 1) ط 1. (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون).

الجرجاني. (1983). التعريفات. (Vol. 1) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الجويني، أ. (1979). الكافية الشافية في الجدل. (Vol. 1) القاهرة، مصر: مطبعة عيسى الباي الحلبي.

الحري، ر. (2009). طرق التدريس التقليدي والتجديد (Vol. 1) ط 1. (عمان، الأردن: دار الفكر).

الحيلة، ت. أ. (2009). طرائق التدريس العامة (Vol. 4) ط 4. (عمان، الأردن: دار مسيرة للنشر والتوزيع).



الرحمن، ط. ع. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. (Vol. 2) الرباط، المغرب: المركز الثقافي العربي.

الزبيدي، م. م. (s.d.). تاج العروس من جواهر القاموس. (Vol. 1) بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

الفجاري، م. (2009). الفكر العربي الإسلامي. (Vol. 1) ط 1. (بيروت، لبنان: عالم الكتب الحديث).

القزويني، أ. ب. (1986). مجمل اللغة لابن فارس. (Vol. 2) ط 2. (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة).

المالك، ع. (2020). برنامج تدريبي مقترح قائم على تنمية مهارات التفكير النقدي كمدخل لتحسين جودة الحياة لدى الشباب الجامعي. مجلة بحوث في التربية النوعية.

النقاري، ح. (2016). معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للفكر والإبداع.

سعيد، أ. (2016). أثر استخدام أنشطة في التفكير الناقد على مراقبة المعرفة في مادة العلوم لدى طالبات الصف السابع الأساسي بمحافظة مسقط. مسقط: مجلة الدراسات التربوية و النفسية.

سلامي، ع. أ. (2014). المدخل إلى فن المناظرة. (Vol. 1) ط 1. (الدوحة، قطر: مؤسسة قطر للنشر).

مرعشي، ن. م. (1974). الصحاح في اللغة والعلوم. بيروت، لبنان: دار الحضارة العربية.

منظور، ج. أ. (1994). لسان العرب. (Vol. 3) بيروت، لبنان: دار صادر.

Jugdev, K. M. (2004). Using the Debate as a Teaching Tool in the Online Classroom. pp. 4-



DALAIL
Journal of Humanities
مجلة دائل للعلوم الإنسانية



مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect



فريق البحث: التربية
واللغات والثقافات.
Education,
Languages
& Cultures.
Research Team.



جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL



المدرسة العليا للإساتذة
ÉCOLE NORMALE SUPÉRIEURE